

عبد الحمولى

راجع مقال خليل مطران في « الموسيقى العربية وعبد الحمولى »  
وهو فصل نقيس من كتاب الموسيقى الشرقية والغناء العربي الذي  
صنّفه قسطندي رزق



# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والثمانين

١ مارس سنة ١٩٣٦

٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٤

## العلم بجاري الطبيعة

في توليد عناصر مشعة

تباري الراديوم

الراديوم أشهر عنصر في طائفة من المواد الكيميائية تعرف بالعناصر المشعة ، وصفها التي تميزها عن سائر العناصر ، هي إطلاقها أنواعاً من الاشعة ، إطلاقاً ذاتياً ناجماً عن انحلال ذراتها . وقد ثبت بالتجربة والامتحان ، ان بعض الاشعاعات التي تنطلق منها ، وبوجه خاص يعرف بأشعة غمما ، له تأثير مفيد في معالجة السرطان

الأ أن هذه العناصر المشعة نادرة في الطبيعة ، ولذلك نجدها غالية الثمن ، حتى ان الغرام الواحد من عنصر الراديوم ، يزيد ثمنه الآن على عشرة آلاف جنيه ، وقد كان قبل عقدين من سنين يبلغ ثلاثين ألفاً أو نحو ذلك . ولذلك يصح القول ، بان الكشف الحديث ، عن تحويل بعض عناصر غير المشعة ، الى مواد مشعة ، تقدّم عظيم الشأن في علم الطبيعة ، وقد يكون ، بل لا يبعد ان يكون ، نقحة جليلة اخرى ، من نقحات العلم النظري لعلم الطب العملية هذا الكشف الجديد ، الذي اثبت ان الانسان يستطيع ان يحوّل بعض العناصر غير المشعة الى عناصر مشعة بأساليب صناعية ، نتيجة النشاط العجيب ، الذي بدا في علم الطبيعة التجريبي ،



ودار حول نواة الذرة ، في الغالب ، في السنوات الخمس الاخيرة . فقد اذيعت الانباء الاولى عن هذا الكشف في ١٥ يناير سنة ١٩٣٤ في رسالة للسيدة ايرين كوري جوليو ( كريمة مدام كوري مكتشفة الراديوم ) وزوجها الاستاذ جوليو ، وقد نالا جائزة نوبل الكيمائية عن سنة ١٩٣٥ جزاء لهما على هذا الكشف العظيم

ومنذ ما اذاع هذان العلمان نتائج مباحثهما الاولى في هذا الموضوع ، اكبتت عليه طاقة كبيرة من البحوث في مختلف البلدان ، فتوسعت فيه ، وايدت بتجاربهما الحقائق التي كشفها الباحثان المتقدمان . وفي مقدمة الذين تناولوا هذا البحث ، و اضافوا اليه ، اللورد رذرفورد واعوانه في جامعة كمبرج ، والاستاذ انريكو فرمي في جامعة روما ، والاستاذ ارنست لورنس في جامعة كاليفورنيا الاميركية وغيرهم . ولكي يسهل على القارئ قدر قيمة هذه المكتشفات الحديثة حق قدرها ، لابد لنا من تلخيص ما كان يعرف عن تركيب الذرة في العشرين السنة الاخيرة ونحوها فالذرة كانت في بدء هذه الحقبة ، وفي خلالها ، تحسب مؤلفة من جزء مركزي كثيف ثقل الوزن يعرف بالنواة ، تحيط به ، وحدة او اكثر من الكهربائية السالبة تعرف باسم الكهارب ( الالكترونات ) . فالنواة تحمل شحنة كهربائية موجبة او اكثر تعدل بها فعل الشحنات السالبة التي تحيط بها ، وكذلك تصبح الذرة متعادلة الكهربائية او محايدة

وكانت العناصر المختلفة ، تختلف بحسب هذا الرأي ، في عدد الكهارب التي حول نوى الذرات . واطلق على عدد الكهارب حول النواة اسم «العدد الذري» . واسندت خواص العنصر الكيميائية الى عدد الكهارب . ورتبت العناصر من اخفها الايدروجين ، الى اثقلها الاورانيوم ، وفقاً لتسلسل الارقام من واحد الى اثنين وتسعين (١ — ٩٢) وكان رقم كل عنصر يدل على عدد الكهارب التي حول النواة في ذرته . فالذرة الثقيلة هي التي نجدها في العناصر المشعة كالاورانيوم (٩٢) ولكنها عناصر نادرة على كل حال . حالة ان العناصر التي كان لها اكبر شأن في بحث الذرة وتركيب نواتها كانت من العناصر الخفيفة الوزن ، لسبب سنيته

والى القارئ جدولاً بالعناصر الستة عشر الاولى وامام كل منها رقم يدل على عدد الكهارب التي تحيط بنواتها اي على عددها الذري



٩	فلور	١	ايدروجين
١٠	نيون	٢	هليوم
١١	صوديوم	٣	ليثيوم
١٢	مغنيزيوم	٤	بريليوم
١٣	الومنيوم	٥	بورون
١٤	سليكون	٦	كربون
١٥	فضفور	٧	نروجين
١٦	كبريت	٨	اكسجين

يتضح للقارئ الملم تماماً بسيطاً بتركيب الاشياء التي تحيط به ، ان هذه العناصر كثيرة الوجود ، في الهواء الذي نتنفس والماء الذي نشرب والخشب الذي نصنع منه كراسينا ومكاتبنا والورق الذي نكتب عليه ونطبع صحفنا وكتبنا والحجر الذي نبني منه بيوتنا

وهكذا تبين للعلماء ان بين الكهارب التي حول نواة الذرة ، وخواص العنصر الكيميائية ، صلة وثيقة . الا ان ذرات العنصر الواحد قد تختلف وزناً او كتلة . فكيف يفسر ذلك ؟

ان كتل الذرات في عنصر واحد قلما تختلف اختلافاً كبيراً ، بل ان اختلافها على كل حال لا يؤثر تأثيراً عظيماً ، في تصرفها الكيميائي . ولذلك لا يهم الكيميائي ، من الوجهة العملية ان يميز بين الذرات المختلفة وزناً في عنصر واحد ، لان الاختلاف غير كبير ، ولانه لا يؤثر كثيراً في الخواص الكيميائية

الا ان الاختلاف في الكتلة ، في ذرات عنصر واحد ، يعني اختلافاً في بناء النواة . ولذلك يمكن ان نحسب النظائر المختلفة مواد مختلفة لا مادة واحدة ( النظائر ترجمة لفظ Isotopes وبه يراد طائفة من ذرات عنصر ما تختلف كتلة عن طائفة اخرى من ذرات العنصر نفسه ) ولعل أشهر مثال على ان اختلاف الكتلة يؤثر تأثيراً ظاهراً في تصرف الذرة وخواصها الكيميائية عنصر الايدروجين . فمعظم ذرات الايدروجين كتلتها ١ ولكن هناك ذرات ايدروجين كتلتها ٢ وهي نادرة . اي ان ذرة من نظير الايدروجين النادر ترزن ضعفي ذرة من الايدروجين المألوف . ولما تناول العلماء دراسة هذا النظير ، تبين لهم ان له خواص كيميائية تختلف عن خواص الايدروجين المألوف . لذلك اطلقوا عليه اسماً خاصاً به فدعاه علماء اميركا « دوتيريوم »



Deuterium ودعاهُ علماء انكلترا «دبلوجين» Diplogen . وقد كان مكتشف هذا النظير الاستاذ هارولد يوري ، احد علماء جامعة كولومبيا الاميركي ، فنال جائزة نوبل الكيائية عن سنة ١٩٣٤ وكان لاكتشافه ، مقام خطير ، في المباحث الكيائية ، وفي المباحث الطبيعية كذلك الخاصة لطبيعة نواة الذرة .

كان معظم التقدم في طبيعة الذرات ، محصوراً حتى مطلع سنة ١٩٣١ في دراسة الكهارب حول النواة ، بل ان البحث في هذه الكهارب ، حال دون اي تقدم يذكر في فهم طبيعة النواة وتركيبها . ولما كانت المسائل المتعلقة ببناء الذرة معقدة كل التعقيد ، فقد كان من حسن الطالع ، إمكان قسمتها الى قسمين ، احدهما يدور حول طبيعة الكهارب ، والاخر حول طبيعة النواة . ومع ان العلماء جمعوا حقائق كثيرة عن طبيعة النواة ، في خلال السنين التي تلت الكشف عن الراديو ، الا أننا نستطيع ان نقول ، ان البحث الحديث في دراستها ، بدأ حقيقة سنة ١٩٢٨ . ففي تلك السنة وحواليها ، حاولت جامعتان من علماء اميركا تطبيق قواعد الميكانيكا الموجية على ذرات العناصر المشعة لتفسير انحلالها وانطلاق دقائق الفا منها وهذه الدقائق كما يعلم القارئ نوى ذرات الهليوم . وكانت الجماعة الاولى مؤلفة من الاستاذ غرني والاستاذ كوندون Condon — وعنه تنقل هذا المقال وقد نشره في مجلة السيشفك اميركا عدد يناير سنة ١٩٣٦ — في جامعة برنستون . وكان على رأس الجماعة الثانية الاستاذ جامو G. Gamow الذي قام ببحثه مستقلاً عن الجماعة الاولى . فقد اثبت هؤلاء الباحثون ، انه اسهل على الدقائق الصغيرة ، ان تتحرق نوى الذرات مما كان يظن .

وكان للنجاح الذي اصابته هذه المباحث النظرية في تفسير بعض ظاهرات الاشعاع الطبيعي فائدة كبيرة ، لانها بينت ان إحداث تغير في تركيب النوى باطلاق دقائق مكهربة عالية الضغط الكهربائي عليها ، ايسر مما كان يظن . فقد كان الرأي حتى ظهور هذه المباحث ، ان الدقائق التي تطلق على نوى الذرات ، يجب ان تطلق عليها بطاقة عدة ملايين من الفولط ، فاثبتت هذه المباحث ، ان اطلاقها بطاقة أقل من ذلك كثيراً ، كافٍ لاحداث التغير المنتظر في بناء النوى وشرع العلماء بعد ذلك في برنامج واسع النطاق ، آتية اطلاق دقائق مكهربة بكهربائية عالية الضغط على نوى العناصر وقد ظلت هذه الطريقة الوسيلة المقدّمة على غيرها في دراسة النواة . وعمادها



استحداث تيار من الايونات ، من الايدروجين او الدوتيريوم مثلاً . والايونات هي ذرات وقد فقدت كهرباً أو أكثر من كهربائها التي تحيط بالنواة . فتصبح الذرة بعد انفصال كهرب أو أكثر عنها ، وهي مكهربة كهربائية موجبة . فاذا أطلقت هذه الايونات في مجال كهربائي عالي الضغط ، جذبتها القوى الكهربائية السابقة جذباً عنيفاً ، فتكتسب سرعة عظيمة اي تكتسب زخماً Momentum وطاقة Energy وكذلك يتحول تيار الايونات ، الى تيار من الدقائق المكهربة العظيمة الطاقة ، فتوجه الى لوح ، من المادة التي ترام دراساتها فاذا يحدث حينئذ ؟

من المعروف عند علماء الطبيعة ، ان قطر النواة ، لا يزيد  $\frac{1}{10000}$  جزء من قطر الذرة . ولما كانت الذرات التي تتألف منها مادة اللوح الذي توجه اليه الايونات صغيرة جداً ، فمن العبث ان يحاول الباحث ان يوجه تيار ايوناته الى ذرة بعينها ، دع عنك نواة بعينها . وعليه فمن الواضح ان طائفة كبيرة من مقذوفات هذا التيار تصطدم بمادة اللوح ، وتخترقها من دون ان تقرب قريباً كبيراً من احدى نوى الذرات . هذه المقذوفات تختلط عند اختراقها لمادة اللوح ، بكهرب الذرات — وكهربائيتها سالبة كما تعلم — فتبطل كهربائية الكهارب كهربائية المقذوفات الموجبة ، فتفقد المقذوفات زخمها وطاقتها وتستقر . وكذلك تستقر معظم هذه المقذوفات من دون ان لمس احدى نوى الذرات في اللوح الذي وجهت اليه او تقرب منها

على انه من حظ بعض الايونات ، او هذه المقذوفات المكهربة ان يكون توجيهها الى النوى اسدً وأحكم ، فتقترب منها ، ولكنها في اقترابها تجد قوة تبعدها عن النواة ، وهي قوة التدافع بين دقيقتين مكهربتين كهربية واحدة . فالايون كما يتنا موجب الكهربائية وكذلك نواة الذرة ، فالميل عند اقتراب الاول الى الثانية ، هو ميل الى التدافع . فيحرف مسار المقذوفة حول النواة . فبعد ان تكون المقذوفة سائرة بزخم عظيم في خط مستقيم تنحرف وتسير في خطٍ منحني . الا ان هذا الانحراف يقل كثيراً ، بازدياد طاقة المقذوفات وسرعتها اي انه كلما زادت الطاقة الكهربائية التي تقذف المقذوفات ، يقل انحرافها بفعل الدفع الكهربائي . ثم ان الانحراف الناشئ عن الدفع الكهربائي ، اقل في العناصر التي ارقامها الذرية صغيرة منه في العناصر التي ارقامها الذرية كبيرة . وهذه الحقيقة تفسر لنا ، ما عجبنا له عند القراءة عن هذه



المباحث ، وهو ان البحث يكاد يكون محصوراً ، او هو حقيقة محصور في الليثيوم والبريليوم والبورون والالومنيوم وغيرها من العناصر التي ارقامها الذرية صغيرة (راجع الجدول في هذا المقال) بعد التغلب على جميع هذه العوائق ، تصل بضع مقذوفات من ملايين المقذوفات الى النواة وتصدّمها. اما ما يكون من أثر هذا الاصطدام فهو موضوع البحث . والمقدر ، ان مقذوفة واحدة من عشر ملايين مقذوفة ، او مائة مليون مقذوفة ، تصيب نواة واحدة ، اي ان احتمال اصابة الهدف تختلف من ( ١ : ١٠.٠٠٠.٠٠٠ ) الى ( ١ : ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ )

وتختلف الاساليب المستعملة في توليد الطاقة الكهربائية العظيمة لاطلاق المقذوفات باختلاف المعاهد . ففي بعضها تستعمل تيارات كهربائية عالية الضغط من رتبة مليون فولط او اكثر ، فتمكن العلماء من الحصول على مقذوفات سريعة عظيمة الطاقة يستطيعون توجيهها الى نوى الذرات ، على نحو ما كان اللورد رذرفورد يوجه دقائق الفا المنطلقة من الراديوم من نحو عشرين سنة . اي ان رذرفورد كان يعتمد على مقذوفات تنطلق من تلقاء نفسها من العناصر المشعة وأما علماء اليوم فيصنعون قذائفهم غير معتمدين على الطبيعة

ومن هذه الاساليب اسلوب بارع ابتدعه الأستاذ لورنس احد علماء جامعة كاليفورنيا فانه اخذ تيارات من نوى الايدروجين الثقيل ، واطلقها في حقل كهربائي ، بطاقة عشرة آلاف فولط فقط ، ولكنه استنبط طريقة طريفة لاسراعها *accelerate* في هذا الحقل ، حتى اذا بلغت ممتهى الاسراع الممكن كانت طاقتها من رتبة مليوني فولط مع ان الطاقة الاساسية التي دفعها كان ضغطها عشرة آلاف فولط فقط. فاذا صارت طاقتها مليوني فولط وجهت الى لوح من الالومنيوم او الصوديوم او اي مادة يراد البحث فيها

هذا هو ملخص الطريقة بوجه عام فما هي النتائج ؟

اسفرت التجارب في خلال السنوات الاربع الاخيرة ، عن تحويل العناصر باحداث تغيير في تركيب نواها ، في طائفة من معامل البحث العلمي في اوربا واميركا . ويصحب هذا التحوّل في معظم الاحيان ، انطلاق مقادير كبيرة من الطاقة بتحوّل المادة الى طاقة الحركة . وهذا التحوّل من المادة الى الطاقة هو ما تنبأ به اينشتين سنة ١٩٠٥ ولكن ليس ثمة امل ما الآن ، في استعمال هذا الفعل الطبيعي مصدراً لتوليد الطاقة من المادة . نعم ان كل مقذوفة تصدم النواة ، تولّد طاقة



عظيمة ، بالقياس الى طاقة حركتها ، ولكن اذا قيست هذه الطاقة المولدة بمجموع الطاقة التي تنفق في اطلاق جميع المقذوفات التي لا تصيب نواة على الاطلاق ، وجدنا اننا من الخاسرين . يضاف الى هذا اننا الآن لا نستطيع ان نأجم الطاقة الناشئة عن اصطدام المقذوفة بالنواة ، لنستعملها في ما يفيد

الا ان بعض التحول في نوى الذرات يتم ببطء اي ان الذرات التي تصطدم بالمقذوفات تبقى تشع الطاقة اشعاعاً بطيئاً اي انها تصرف كأنها ذرة عنصر مشع كالراديوم مثلاً . واول مثال اكتشف من هذا القبيل اكتشفته مدام ايرن كوري جوليو ، كريمة مدام كوري ، وزوجها الاستاذ جوليو . فانهما اطلقا المقذوفات على عدة عناصر ، منها عنصر الالومنيوم . وكانت مقذوفاتهما نوى عنصر الهليوم منطلقة بطاقة عظيمة ، فأصبح الالومنيوم بذلك عنصراً مشعاً . نعم إن التجارب السابقة كانت قد اثبتت ان اطلاق مقذوفات من هذا القبيل على الالومنيوم تقضي الى اشعاعات مختلفة تطلق من الالومنيوم . ولكن الظاهرة الجديدة التي اكتشفها جوليو وزوجته كانت ان الاشعاع استمر بضع دقائق بعد وقف اطلاق المقذوفات . فتبين لدى البحث ان الالومنيوم كان يطلق كهارب موجبة ( بوزيترونات ) . والهوزيترونات تشبه الكهارب المألوفة ، الا ان شحنتها الكهربائية موجبة بدلاً من ان تكون سالبة

فلما فحص الهليوم المشع بأساليب البحث الكيميائي والطبيعي المعروفة ظهر ان ما حدث للالومنيوم كان كما يلي : انه عند اطلاق نواة الهليوم على الالومنيوم ، تصيب احدى نوى الهليوم المنطلقة نواة الالومنيوم فتندمج الواحدة في الاخرى ، ويطلق منها على اثر الاندماج نوترون . والنوترونات كما لا يخفى على قراء المقتطف هي دقائق ليس لها شحنة كهربائية وكتلتها مثل كتلة نواة الايدوجين اي ( ١ ) وقد اكتشفها الاستاذ شدوك الانكليزي سنة ١٩٣٢ . اذاً عند ما تصطدم نواة الهليوم بنواة الالومنيوم تضاف شحنة نواة الهليوم الى شحنة نواة الالومنيوم فيصبح عدد الشحنات على نواة الالومنيوم ١٥ اي يتحول الالومنيوم الى فصفور . وعدد الشحنات الموجبة على النواة في ذرة الفصفور ١٥ كما ترى في الجدول . ثم عند بحث هذه الذرة الجديدة من الفصفور ثبت انه فصفور لا عهد للعلم به من قبل واذن فهي ذرة غير مستقرة لذلك تميل الى الانحلال في بضع دقائق بعد تكوينها ، فتطلق بوزيتروناً والبوزيترون شحنة موجبة واحدة من



الكهربائية فتبقى نواة الذرة الجديدة وشحنها ١٤ وهي شحنة نواة السلكون . هذه النواة مستقرّة وعندها يقف كل تحوّل . فالألومنيوم تحوّل باطلاق هذه المقذوفات عليه الى فصفور غير مستقرّ فالى سلكون

هذا مثال من امثلة عديدة تناو لها البحث بعد ما اكتشف الاستاذ جوليو وزوجته هذه الظاهرة وقد استعمل بعض الباحثين نوى الايدروجين المألوف والايدروجين الثقيل (الدوتيريوم) ومن العناصر التي اطلقت عليها نوى الدوتيريوم عنصر الصوديوم . وزعيم هذه التجربة الاستاذ لورنس الاميركي بجامعة كاليفورنيا

فماذا يحدث في هذه الحالة ؟ تجذب نواة ذرة الصوديوم نواة الدوتيريوم التي تصيبها ، فتندمج الاثنان ، وينطلق بروتون اي نواة ذرة الايدروجين المألوف . اي ان دقيقة وزنها نصف وزن نواة الدوتيريوم تنطلق على اثر الاندماج ويبقى النصف الآخر في نواة الصوديوم . فيزيد وزن نواة الصوديوم واحداً عما كان . ولكن شحنته الكهربائية تبقى على ما هي اي انه يبقى صوديوماً . هذه النوى من الصوديوم التي يحدث لها ما تقدم مشعة وتبقى تشعّ مدة اطول من مدة اشعاع الألومنيوم الذي اطلقت عليه نوى الهليوم . ويمتاز الصوديوم المشعّ على الألومنيوم المشعّ في انه يطلق اشعة غمّا وهي عظيمة الطاقة من قبيل الاشعة السينية . ولا يخفى ان لاشعة غمّا فعلاً في معالجة بعض النواحي السرطانية ، ولذلك اتجهت الانظار في جامعة الاستاذ لورنس الى امكان استعمال هذه الاشعة المنطلقة من الصوديوم المشعّ في علاج السرطان بدلاً من الراديوم او جنبا الى جنب معه

ويعلم القراء ان الراديوم يفقد نصف فعله بعد انقضاء ١٦٠٠ سنة عليه ولكن الصوديوم المشعّ الذي اصبح مشعّاً بفعل الانسان ، يفقد نصف فعله في ١٥ ساعة وثلاثة ارباعه في ٣٠ ساعة وسبعة اثمانه في ٤٥ ساعة وهكذا . لذلك لما رحل الاستاذ لورنس من كاليفورنيا الى شرق الولايات المتحدة الاميركية ، ليحاضر ، في هذا الصنف من المواد المشعة ، تمكن زملاؤه في كاليفورنيا من اعداد صوديوم مشعّ وارساله اليه بالطيارة فعرضه على جمهور العلماء الذي استمعوا له



# الموسيقى العربية

## وعبدہ المحولى

خليل مطران

(١)

مات عبده فمات فن وزال آخر شعاع من عصر توارت شمسه في ظلمة الأبد . فقد كان اسماعيل شمساً في سماء مصر . وكان كل ذي شأن من معاصريه ككوكب يستمد منه نوره . فلما أفلت لحقت بها تلك الانوار يتلو بعضها بعضاً الى ان تم الزوال بوفاة صدّاح تلك العظمة الشّماء وغرّب ذلك الملك العظيم

وكثيراً ما كان عبده يبكي لحناً من الحان ذلك العهد فيمثله لنا من خلال مدامعه الجارية ونغماته الشّجية كأنه زينة مُنارة بألوف المصاييح حافلة الجماهير الفرحين الطروبين . وكان مصر دار ذلك العرس تضحك بالانوار لمستقبلها العابس . وكان الامير أمير الزمان يومه وغده . وكان الوفود من عرب ومن عجم اعوان دولة تشاد . وانما كانوا هدمّة امل رفيع العماد . وكان « عبده » منه على اريكته بشير السعادة الخالدة في ذلك الاستقلال الزائل . فاذا فرغ من انشاد صوته ورجعنا الى انفسنا نظرنّا حولنا فرأينا دولة اليوم ورجال هذا الزمن . ولم يثبت لدينا من حقيقة ذلك الحلم الرائع إلا ذلك المغني المنتحب على حالٍ حالت . ونعمة زالت . ودولة دالت . ولقد كان في مصر قبل انقضاء هذه الاشهر الاخيرة مغنيان هما « عبده » « وعثمان » فاليوم نحن ولا مهنىء في الفرع . ولا معزي في الترح . الا ما كان من قبيل رجوع الصدى الذي يتردد حيناً بعد هتاف الهاق

كان عبده مبتكراً يخفق اللحن خلقاً من حاضر ما يوحى به اليه فيجسّر به المهرة ويطرب السامعين ما يشاء التطريب بالنعمة والاعجاب بقدرة مبتدعها . وربما كسر القيد ونقض القاعدة



وندَّ عن المؤلف . فطار وحلق . وقد بكم العود ، وعيَّ القانون ، وأنصت الناي . مطلقاً صوته يمرح في سماء التطريب . فن وثبة النسر الى المحدار السيل . الى خطف البرق . الى تعريد القمرى الى نوح الحمامة . الى انين الجدول . كل هذا والصوت عال منخفض . جهوري خافت . رنان مرخف . مشبع ضليل . والنغمات تجتمع اصولاً وتنفرد فروعاً . وتنثنى وتنفرّد وتتداني وتتباع وتواصل وتتفاضل مفضية بعضها الى بعض متسلسلة على مقتضى سلامة الذوق والمهارة الفنية منتهية الى القرار وكان « عثمان » مؤلفاً بارعاً في ترتيب الالحن . بصيراً بأخذ النغمات من مواضعها وجمعها على نسق مستحب . كلفاً بصناعته جاداً في اتقانها إرادة ان يستعصم عنه طلاوة الصوت بحسن الاسلوب ولطف السياق . ولهذا كان لا يغني منفرداً . ولا يطلق صوته إلا على اجنحة الآلات . فاذا لحّن اغنية وسمعها الناس لأول مرة خرجت متفنة صحيحة الوضع رائعة للسمع . ولكن يبدو عليها اثر اعنات الفكر ويُسْتَم منها ربح الشمع المذاب في السهر على تخريج اجزائها . وتوجيه ضروبها . والملاءمة بين رناتها ومعانيها . على ان هذا لا ينفي ان « عثمان » كان ضريب « عبده » وانه أثبت بنتيجة عمله ان لحسن التأليف مكاناً بجانب الابتكار وان للاجتهاد منزلة قد تعادل منزلة الاختراع . بل ان المجتهد قد يكون ذا فضل على المخترع بما يهيئه له من مواد الابتداع . ومن الحق ان يُقال ان « عثمان » كان في اخريات هذه السنين واضع معظم الالحن فيأخذها « عبده » عنه ويكسوها من الحلل والحلي ما تشاء بديته الخاصة به فينهاي سوقه حسان اذا هي ملكات بتيجان . وبينما هي اشخاص ترمقها عيون المعجيين ، اذا هي ارواح تنفسها قلوب المحيين وعلى هذا كان « عثمان » يجدد للناس روح « عبده » و « عبده » يسمع الناس علم « عثمان » فهما العاملان المتكاملان احدهما بالآخر على ما بينهما من تحاسد وتباغض وتباعد هذه صفة « عبده » مغنياً وتلك منزلته التي لم يدانه فيها من ارباب فن الموسيقى الا « عثمان » أما اخلاقه فكانت اخلاق كرام الناس وبها شرف قدر مهنته التي كانت الى عهده تعد من المهن الوضيعة . فقد كان انيس الحضر . كارهاً للغيبة راغباً في مجالس الظرفاء المتأدين ، محدثاً ذكياً لا تفوته شاردة ولا واردة من طرف الكلام جوّاداً جود الامراء متلفظاً ودبلاً كأنه ابدأ في حضرتهم وفيّاً لاصدقائه لا يرضن عليهم بما فيه تقع لهم ورضى . مجاملاً لذوي قسهِ محسناً اليهم لا يبنض منهم إلا من ركب الدنيا واخذ بما يسميه شرف الحرفة ولو كتب الله له فسحة في الاجل لعاش عيشة مقيدة بنظام . ولكنه كان مطلق هوئ النفس كما هو شأن النوابغ ولا شك في ان نعم الله الكثيرة قد حسبت عليه رحمة الله رحمة واسعة

( ٢ )

اما وقد اشرنا بما يقتضيه المقام من الايجاز الى منزلتي « عبده » و « عثمان » فيجعل بنا



نعماً لفائدة هذا المقال ان نتكلم على فن الغناء العربي كما هو الآن ونبحث فيما اذا كان ينبغي ان يبقى كما استخلفنا عليه هذان الفقيدان او ان يعدل ويكيف بحيث يصبح أتم تأثيراً في النفوس وأصلح لأن يشربها ما هي في حاجة إليه من الحلال الشريفة والفضائل

فالموسيقى فيما اشتهر من تعريفها انما هي تأليف اصوات تحدث طرباً في قلوب السامعين . والطرب قد يكون سروراً وقد يكون شجواً ومعناه في الحقيقة الانفعال الذي تولده الانغام في النفس ايّاً كان

ومن اوصاف الموسيقى انها في بناء الاصوات كفن العمارة في تشييد الابنية وتأليف اجزاها والمناسبة بين رسومها ونقوشها وتقاطيعها وتحليتها يسميه الافرنج بموسيقى البناء على ان اساسها المناسب كما هو أساس كل فن نفيس وهذا المناسب في الموسيقى يعرف اصطلاحاً بالايقاع، والايقاع قديم قدم الموسيقى غير ان المغنيين من العرب حصروه في نغمة نغمة مما يغنون . فكان في حقيقته مفضياً الى الملل بخلاف الافرنج فانهم استخدموه وسيلة للتنقل من نغمة الى نغمة ولاعطاء كل نغمة جميع الرنات التي يتم بها طربها التاجم عنها بذاتها او باجتماعها مع سائر الانغام التي يتألف منها الصوت

ولاغرو ان يكون مغنونا على مثل هذا الجهل الذي ابقى الموسيقى العربية على حالها الفطرية فان شعراءنا — الالبعضهم — وكتّابنا عدا القليل منهم — لا يزالون الى الآن ارقاء الجناس ، وعبيد مراعاة النظر ، وخدمه السجع ، وذبحاحي المعاني الجليلة وناسخي الحقائق ، وماسخي الصور الجميلة في الطبيعة ، وجاحدي وجدانات النفس وانفعالات الحس ليقندوا بأمة هم تركوا عاداتها واخلاقتها ، وهجروا خيامها وصحاريها وأنكروا ملابسها وما كلفها ومشربها ، ولم يحتفظوا بشيء من خلاصها ومزاياها . ولم يستبقوا منها الا النسبة اليها . فلا هم يحسنون تقليد ادبها ولا هم يترعون من لغتها لهم لغة خاصة فصيحة ذات اساليب ومصطلحات وألفاظ تمكّنهم من التعبير عما يحتاج ضمائرهم ويخامر نفوسهم بما ينطبق على الواقع ويكون صدقاً حقيقياً لما يشعرون به كتب اعرابي في صدر منظومة له « قفا نبك » فلم يستهل واحد منهم منظومة بعد ذلك الا وهو واقف بالك . ونظم آخر اياتاً كثيرة بروي واحد سميت قصيدة قنبره في ذلك كل ناطق بالضاد من صحراء الجاهلية الاولى العريقة في الهجوية الى ساحة المعرض العام بباريس في أجمع زمان لاسباب الحضارة وكل كتب القصيدة على ذلك النمط . وذكر احد ظرفائهم ان الارجوزة حمار الشعر فلم يروا عقب ذلك ارجوزة الا ولها اربع قوائم تمشي عليها . وهكذا هم يتقيدون بسلاسل التقليد . وكتّاب اللغات الاجنبية يذهبون كل مذهب في اختراع التراكيب وابتداع الاساليب التي يظهر معها كل خفي ويتجسم كل روحاني ، وتشمل كل صورة ، ويصور كل شعور



فهم ابناء عصرهم ونحن ابناء العصور الحالية . وهم يحيون بما ينظرونه ويحسونه . ونحن نحيا بما نثقله حتى في التصور والحس

ومعلوم ان الموسيقى شقيقة للادب مطبوعة على غرارها فكيف كان الادب تكون الموسيقى . وهي الآن منحلة في الشرق لانه منحلط والمحطاطهما على قدر . فكلاهما يجب نقده وتقيجه واخراجه الى ما تقضي به الحاجة الماسة . والا فأي مصلح للامة يكون اقوى في البيان ؟ وأي بيان يكون اشد وقعاً في النفس من الذي توصله اليها النغمة وتمزجها بها مزجاً ؟

على ان الاصلاح الذي نبتغيه ميسور اذ يكفينا ان نبداً بتطبيق الموسيقى العربية على الموسيقى التركية تطبيقاً تدريجياً الى ان يالفها الذوق ، وتوضع لها قواعد ، وترسم علامات ، وبغنى الدور الواحد بنغمة واحدة وألفاظ واحدة في المنتديات وفي البيوت وفي الاسواق . فاذا وصلنا الى هذه الدرجة انسقنا بحكم السير الطبيعي الى ما هو اعلى فأعلى . وهكذا فعل الاترك . اذ اخذوا عن الاروام الذين غناؤهم اقرب الى الغناء الشرقي . فأصبحوا الآن ينشدون في ملاعبهم اجل الروايات الموسيقية الاجنبية بألفاظ تركية وقد لا يمضي زمن حتى ينشئ بعضهم رواية موسيقية متقنة فيبلغون بها الغاية

وكان المرحوم « عبده » قد شرع في نقل شيء عن الموسيقى التركية . ومنها أخذ الالهات الطويلة التي يصاعده فيها جمهور المغنين وهي احسن ما في غنائنا الان . غير انه لم يتسن له معين على احداث الرموز التي هي اساس علم الموسيقى والتي بغيرها لا تكون الانعام الا فوضى . واذكر اني شكوت اليه يوماً هذا القصور وقلت له . ان الرموز الموسيقية موضوعة منذ نف وخمسة آلاف سنة . وانها اول ما رسمت في الهند وفي الصين . فمن الحجل ان تكون مصر سيدة الموسيقى في الشرق الآن ولا يستطيع اثبات لحن من الحانها على صحيفة يعلم منها اخواتنا القاصون او ابناءؤنا الا تون اي فن كان قننا في التاجين وما كان « عبده » وكيف كان اسلوبه ؟ وهل كان جديراً بالحل الذي احل فيه من اكرام الناس ؟ فأجاني : انه كان يود ذلك وانه سعى ما سعى للوصول اليه فلم يفز بطائل . وانه لم يجد واحداً في القطر يستطيع ان يعرفه معنى لحن من الالحان الاجنبية تركية كانت او غير تركية . وان كل ما حصله من معنى الاترك وأدخله في المعنى العربي كان سماعياً اجتهادياً رائده فيه موافقة الذوق المألوف ، ومراعاة الاصطلاح المعروف لا جرم ان عملاً كهذا ليس مما يقوم به فرد اوعى صدره ما اوعى من المعارف الموسيقية المختلفة . وبلغت ثروته ما بلغت من السعة . وانما هو عمل شركة او جمعية تستقدم اساتذة من الاستانة لتخريج جمهور من ذوي الفطرة الموسيقية والاصوات الحسنة على مبادئ هذا الفن . وتعليمهم حقيقة مقصده وشرف غرضه ، وتدريبهم على التأليف فيه كل بما يوحي اليه علمه وعقله



وترشده اليه ملكته كما يفعل ذلك الذين يدربون على الانشاء ، وتأتج مثل هذا التدريس أين من ان اطيل الكلام عليها فحسبي الاشارة

اما اذا بقيت الموسيقى على ماهي عليه الآن فانها بلا ريب تلذنا وليكنها تمثلنا ابدأ باخلاق الرعاة القوضى وان كنا في أزياء المدينين الحضريين لان هذه الاصوات الانفية ، وهذه الانات المرآية ، وهذه النفثات الصدرية لا تصدر عن بأس وحزم ولا تدل على شرف وعلم

(٣)

بقي ان نصف كيف ينبغي ان تكون الموسيقى العربية ليحسن تصورها الذين يروهم من الموسيقى الافريقية دوي الطبل وقعقة النحاس وطنطنة المثنات الحديدية ، وخوار المعازف المعدنية ، الى ما يماثل ذلك مما يختلط على ذهن جاهله ويسوء وقعه في نفسه لعدم ادراك معناه . وانما الموسيقى في اصطلاح الغربيين فن كالكتابة او الرسم سوى انها تمثل لنا بالصوت ما يمثله لنا الانشاء بالالفاظ التي تستثير في مخيلتنا تصور مقصوداتها وما يمثله الرسم بالصور التي تطبق على مرئياتنا وبدهي ان كلا من هذه الفنون لا يرينا مما يماثله إلا جانباً ويدع لنا الجانب الآخر تتممه بما تخيله أو نعلمه أو نشعر به ، فالكتاب اذا حدث عن عاصفة مثلاً وصف لنا شمساً حمرة كالجمرة في كبد السماء يحيط بها قمام يغتاها الى ان تنطفئ فيشمل الظلام ويكون مهيباً . ونشر سحاب سود كثيفة ترسل في الجو رعوداً مليئة الدوى ثم صادعة ، وبروقاً ملطفة اللعان ثم ساطعة ، واطلق ريحاً هجوميًا عاصفة تمر على البلد الموصوف قهدهم واهية مبانيه وتذري رماده وتجت اشجاره العاتية وتصفع وجوه زجاجه بالبرد وتجري بطرقه سيولاً فاذا ابلغ السهول منتهاه وصف لنا في خلال هذه الروائع كلها طفلاً يتيمًا هائمًا على وجهه وقد لجأت الناس الى مساكنها جزءاً ، وقد اطمأنت الاطفال بين ايدي آبائهم وامهاتهم في ما منها وانما يقف ذلك الطفل الصغير في ذلك الموقف الرهيب ليحرك في قلبنا وتر حنان ورفق خلال خفقان الهلع وثورة الدهشة فنقرأ هذا الوصف رأى تكلم الشمس وافوها وانتشار السحاب السود ولمع الوميض المتالي وتقلع الاشجار . وتقوض الجدران على التوالي وسمع زئير الرعد القاصف وهدير السيل الجارف . وركض الزمهرير العاصف وركوع البناء الواقف . ورأى في اثناء هذا الحادث الجلل دهشة ذلك اليتيم الخائف وسمع خفقان قلبه الصغير الواجب كأن ما قيل حاضر بين يديه وكأنه منه على كتب ينظره بعينه ويسمعه بأذنيه مع انه في الحقيقة لم ير ولم يسمع من ذلك شيئاً . فالكتاب رمز له بما يليه عنده هذه التصورات الشتى ويجمعها على الشكل الذي أحبه فم له ما أراد على قدر مهارته وللالفاظ في بلاغ قصده رنة لا تكرر . وللتراكيب امتزاج بالنفس لا يجحد . ولاصوات الحروف لعب بالدماع والقلب لا ريب فيه . ولكن كل هذا ليس إلا من المتهات . فاذا قدرنا بعد



هذا ان رساماً تولى تصوير هذا المشهد فغاية ما نستطيعه تمثيل قدّة كالهلال في الشمس الحمراء في جهة الافق . وتكدس طبقات من الغيوم القائمة في صدر السماء . وتحدير سحوط كنسج المنوال من المطر الغزير . واقامة أمواج من الزبد في الطرق السائلة بالوحد والماء تلاطم من الحجارة اشباه انياب العجوز الفلجاء ، وامالة حائط وصرع شجرة وتقصف اخرى ، وتكسر زجاج ، ووقفة طفل بالي الاطراف في موقف الحيرة والجزع بعينين مجلاوين وقد سالت منهما دمتان . ولكن الرسام رقب هذه الاجزاء ويحكم وضع كل معنى مقصود في اللون الذي يلونه حتى انك لتسمع الرعد وانت تنظر البرق وتحس الدمار وانت ترى آثاره وتشعر بخفقان قلب الطفل وانت ترى الانفعال البادي على وجهه والدمعتين المتسلسلتين من مقائيه

وصفوة القول ان الكتابة فن منبه للتصور والحس رمزاً . وان الرسم فن منبه لها نظراً . فكان والحالة هذه لا بد من فن متمم لهذين الفنين لينبه التصوير والحس سمعاً . وهذا ما بنيت عليه الموسيقى منذ بضع مئات من السنين في اوربا على اعتبار انها فن نفيس مثلها قابل لتأدية المعاني التي يؤديها . وقد وصلت الآن في تلك البلاد الى هذه الغاية . واصبحت عاملاً من اكبر عوامل تقدمها العجيب

فلنصف الآن كيف تتخيل تمثيل الموسيقى للمشاهد الذي ذكرناه آنفاً وان لم تكن ممن لهم رأي في هذا الفن . هنا اسأل الصديق الذي يقرأ هذه السطور ان يتخيل انه اجاب دعوتي وصحبني الى دار غناء لأريه بسمع أذنيه ما نظره في الرسم بعينه . فنحن الآن اذن جالسان في تلك الدار على كرسيين متجاورين . وهذه امامنا مجالس الضارين والعازين

انظر ايها الصديق أن عدد هؤلاء نحو المئة امام كل منهم دفتر فيه رموز الاصوات التي ينبغي ان يحدثها في الاوقات المعينة له . وهذا كل ما عليه . وعلى الاستاذ الذي فوق المنصة ان يتنبه لعامة الترتيب ويمنع الشذوذ . اجمع حواسك الآن واصغ بكليتك فقد أشار الاستاذ بان يبدأوا ماذا تمثل لك هذه السحابة من النغمات التي تخرج من الاوتار مضطربة سريعة مبتدئة من القرار ؟ أليس هذا أول نهد الريح المنذرة بالهجوم ؟ أو ليس فيها ما يشعر ببرد الزمهرير ؟ أسمع كيف تترقى صاعدة متدافقة كأنها علت فوق الارض ذاهبة في الجو كلما جازت شوطاً زادت قوة واتساعاً الى ان تتخيلها بلغت السحاب ؟ هذا تنبيه يسمو بالفكر على مثل البساط الروحاني ليوصله الى الافق الأعلى ويشهده حادثاً جليلاً فقد دنت الغيوم من الشمس فاعرة فاها . وانضمت اصوات المعازف النحاسية الى نغمات الاوتار وعلت الصيحة الى منتهىها . حتى اذا غال السحاب الضاري جانباً من الشمس وادماها بانيا به صكت الصنوج هذه الصكة الفجائية المنكرة التي ختمت بها حكاية الحال . فكان الشمس قد انشقت كالقطعة المحمية من النحاس الرنان . وكأنها انشطرت شطرن



وتوارت بالحجاب . وبعد هذا تأمل كيف تراجعت اصوات تلك الصيحة هابطة تدريجاً الى أن  
انقطع خوار المعازف ، واستقلت رنات الاوتار تنحدر كرش المطر في اول انهماره  
الى هذا المقام انتهت الانذارات

انظر كيف اخذ جمهور النغمات يخرج من عامة الآلات متموجاً تموجاً ثقيلاً كأول تحرك  
البحر ليهيج . أسمع انسكاب الوابل الشديد وتدفق الميازيب وعصفات الريح الطويلة التي تبدأ مثل  
اران النادبة وتنتهي مثل غفمة الأسد الجائع الذي جاس يأكل فريسته ؟ أسمع قرع  
الحجارة تحت السيول ؟ أسمع تقصف الاشجار المتكسرة ؟ أسمع وقع الصخور وتهدم الجدران  
بشمل كل ذلك دوي الرعد الذي يحدثه الطبل ويفرعه الصدى الى عدة رعود صغيرة متتالية  
بجذبها الطبلان الصغيران تحت النقر السريع المتتابع . أليس لكل صوت من أصوات هذه العاصفة  
ما يحاكيه إما في آلة او في جمع صوتي آتين على ترتيب معلوم ؟ ألم ترسم البرق خلال غضب الرعد  
ورسم الشجرة الواقعة خلال تقصفها وهي تتكسر على مناته بها ؟ أو لم تر نواحي السيول واعرافها  
البيض خلال وكفها وتهديرها وصعودها وتحذرها ؟ . هذا منتهى ما يكون هول العاصفة

اسمع الآن كيف أخذت هذه العناصر الجملة تتناوب مراوفاً بين بعضها والبعض . السري في ذلك  
من جهة ان يستبقى في النفوس شعور باستمرار العاصفة وقد تراخت قليلاً بعد الشدة كما هو شأن  
العواصف ومن جهة اخرى التمهيد لاسماع الناس أنه ذلك اليتيم في حيرته وخوفه . هذه أنه  
اليتيم تطلق من أوتار ذلك العود الضخم القائم كالامير بين الآلات كأنه سرير داود بين اسرة  
الملوك في زمانه . أشعر بما فيها من لذة وحنان ؟ ألسنت مدركاً من نفسك انها زفير طفل حزين ؟  
أما في هذه الآونة عثرات اشبه بعثرات قدم الطفل المتحير في خفتها وعدم انتظامها ؟ ولكن هنا  
انقطعت النغمة اللطيفة وعاد الانذار بالهول . سيستأنف جميع ما سمعته من الصيحات والجلبة غير  
أنه ملطف كأنه مسموع عن بعد ومن وراء حجاب كثيف . ولم هذا ؟ لأن ما يستأنف ليس

اصوات العاصفة بالذات بل صداها في دماغ ذلك اليتيم المروع الضعيف

هذا بيان واحد من الف من الامور التي تصلح لها الموسيقى ويكون موقعها عن النفوس بها  
كوقعها من النفوس بالرسم والكتابة . ومن المعاني ما يكون تأثيره بالموسيقى أشد وامتن ، على  
أن لكل من هذه الفنون مزيته التي لا تجحد في تنشيط العزم وازالة الملل . فان المرء  
بسعيه وبصره لا بأحدهما

فالى هذه الغاية الشريفة من اصلاح فن الموسيقى ينبغي ان تتجه الرغائب العامة في مصر فان  
« عبده » كان خير مغنٍ لزمانه وعهده عهد صباة ورخاء . اما نحن فان اردنا النهضة من الحطة  
التي نحن فيها فينبغي لنا مغنٍ يهض عزائمنا الخائرة ويرفع أبصارنا الى السماء



# المقامة الكبيكية

تصنيف

مستغفر الحريري والهمذاني

أمين الربحاني

حدثني العُمة قالت :

كنت في مكتبة المدينة، اتغلغل في الكتب الثمينة، فعثرت على سفرٍ من الاسفار، مغلفٍ بالغبار هو « بلوغ الادب ، في الضحك والطرب » . وقد كنت في غمٍّ واكئاب ، فاستبشرت بذلك الكتاب ، ورحت امنّي النفس بالكنز المكنون ، في الفكاهة والمجون ، وانا اقول لها : كفالك الكدح في الورق المصقول ، من مؤلفات كبار العقول . هذا كتاب في الضحك فابشري ، ولا تستصغريه ولا تستكبري ، فالضحك من نعم الحياة ، لسائر الخلوقات ، حتى للعثّ والمكروبوات

ثم زينت حنجرتي ، وشحذت ناقرتي ، ودخلت الكتاب ، من اول الابواب ، ففقرت منه بضع صفحات ، في الاصول والغايات ، وكنت كمن ينشد ابا الصنّاجة في جنازة . فخرجت مسرعاً الى العراء استنشق تقي الهواء

بعد ذلك استشعرت الامل ، وعدت الى العمل ، فدخلت الكتاب العويص المعاني ، من الباب الوسطاني ، وشرعت اقرم فيه ، قرّم الشريه بل قرّم الفقيه ، فنفذت من خلال غباره الى حواشي اسراره ، وتعثرت هناك بمدّرم وحجاره ، بل سقطت بين فصليه ، كمن أغغمي عليه ، فبادرت اليّ الشقيقات ، بالمرأوح والمنعشات ، فأفقتني من شر النكبات



ثم شعرت بنشاط تجدد ، وعزم تسدد ، فهجمت هجمات متوالية ، على بروج العلم العالية ، بل طفقت احفر تحت اساسها ، نكايهً بجبرها وقرطاسها ، فهدرت وهي تهبط عليّ ، فصحت : اليّ اليّ ! ان في هذه الابراج جنّاً يجلجلون ، ويضحكون ويطهقون

وهناك بين الردم رأيت سراجاً ضئيل النور ، وسمعت صوتاً كهو التاعور ، فاذا بجنبي من اقزام الجن ، يطمى ويئن ، بدا صغيراً وغداً في لحظةٍ كبيراً خطيراً . وجهه كالسنكيسار<sup>(١)</sup> المفتوح ، والاحرف فيه كالقروح ، متنهٌ صغير الحد ، وهامشهٌ يياض يمتد ، وفي رأسي الصفحتين عيان مستطيلتان ، هما العنوان . وفي اسفلهما تزاحم وتلف الحواشي ، كالشعر في لحة التجاشي . ومن وسطه تبرز الاقلام ، كأنها السهام . يدها محبرتان ، وساقاه محدلتان طويلتان ، تخهما رجلان مستديرتان ، كأنهما دولابان . فكان يدرج في مشيه كالدولاب ، وكلما تكلم سقط من فيه الكتاب تلو الكتاب

وقف هذا المخلوق العجيب في نور السراج الكئيب ، ثم صاح بي ، وهو يدرج من صوبي : كفالك فضولاً وافتراء ، يا ابنة الصوف والفراء !

فتشجعت وقلت : احسنت احسنت ، ومن انت ؟

فقال ، وهو ينفخ كريح الشمال : انا كبنكج رب الكتابة والكتاب ، وحاكي الكتب والمكاتب . احميها للطالب والسالك ، واحفظها من المهالك ، ومن غوائل امثالك ، ولكي رأيتك للعلم طالبة ، وبالتفقه راغبة ، فحنت اعينك لبلوغ الادب ، في علم الضحك والطرب . فاعلمي ، وفت شر العيون ، ان الذين لا يضحكون ، في ما يكتبون ، هم للزمان ، البواصر والآذان . فلا تعجب اذا كان العلماء ، للضحك اعداء . فان حياة الانسان ، لأشجان كلها واحزان . فهل يضحك المنكوب والحزون ، وهل في التطريب ما يطرب المظلوم والمغبون ؟ أو لم يقل الفيلسوف الشهير ، مشرّح السنابير ، ان الضحك دليل على ضعف العقل والتفكير ؟ أو لم يقل العالم بترهات الانام ، الاستاذ ابو كلام : كلما تغفلت في اسرار الحياة ، بعدت عن الضحك والمضحكات ؟ أو لم يقل احد الاختصاصيين ، بالجنون والمجانين . . .

(١) كتاب نفهم كبير في تراجم الصالحين واعمالهم يقرأ في المكتائس



قالت العُثَّة : وبين كان كَبْسَكَجْ يُخطب خطبته ، ويعزز بالدلة حجته ، احسست بشيء يضبط عليّ ، عند مَذْرَوِي ، فانسلت من حضرة ذلك الغول ، وانا اقول : ما اثقل العلماء ، وما ابلد الحكماء ، اولئك الذين لا يرون في الحياة ، غير الدود والحَيَّات . فقد نشدت في العلوم ، ما يكشف الغموم ، فاذا بالسفر الجليل ، كالحمل الثقيل ، على قلب العليل

فقلت ، وما أطلت : أفلا يضحكك من لا يضحكون ، وهم في خرائب الضحك ينفبون ؟  
أولاً ترين النكتة في النقاب ، الكثير الاثقاب ؟

فغمغمت تلك الوداعة ، وقالت متواضعة : مثل هذا التفكير . هو دون عقلي الصغير . ولكني مضيت في الامر ، انشد في الكتب الصداجة والزمر . فلقيت الكتاب ، الذي يضحك حتى اليوم في الغاب ، ويطرب حتى الغراب . والغريب في عنوانه ، انه لا ينيء بشيء من بيانه ، وهذيانه ، هو « فصل الخطاب ، في علم الاكثاب » . واني اشهد بكبيج الدميم ، انه كتاب كريم ، يلقى في بحر من الجبور ، ويرفعك الى سماء الطرب والسرور ، فينسيك كل هم ، ويجدد فيك حتى البشرية والدم ولقد طربت بآياته ، في اول صفحة من صفحاته ، وفيها ان الاكثاب ، هو رأس الاسباب ، في بلاء الشيوخ والشباب . وفي غيرها الحديث الشريف ، والقول الطريف . فقد روي عن كان مثال الورع والوداعة : « روّحوا القلوب ساعةً بعد ساعة » . وقال ابن اسحق لمن ترّجّوا ، وبوزر الوقار رزحوا : « لقد طرب الصالحون وفرحوا » . وفي الصفحة الاخيرة ، هذه الدرّة الصغيرة : « الوجه العبوس ، بدهن الضبّ مغموس »

بعد هذا الخطاب ، عادت العُثَّة الى الكتاب ، تقضم في صفحاته ، وتلمظ بطياته ، وهي تحسب الحياة كل الحياة ، ساعة من اللذات . وبين هي في ذلك النعيم ، ظهر كَبْسَكَجُ الظِّلِّيم ، فصاح بها قائلاً : اتحقّرني ، وتفرّين من ظل عرني ! ألا ومن يرى الاقلام ، وركب الالفاظ والكلام ، سأسحقك سحق الكراويه ، يا ابنة الطنافس الغاويه !

ثم تناول بطرفي الباهم والسبّاه ، كتاب الغم والكآبه ، ونفخ فيه نفخة صفرت ودوت ، فطارت العُثَّة وهوت ، فظفر اليها وهي امامه ، ثم درج عليها وفي فمها ابتسامه ، وتوارى وهو يقول : من عاش قليلاً ، كمن عاش طويلاً . وفي بواكر اللذات ، تحمّد النهايات



---

---

# الحركات الاستقلالية

في مصر القديمة

للمركز نور حسن كمال

---

---

لا يخفى ان تاريخ مصر القديم يضم حوادث اربعة آلاف سنة أي منذ ابتداء ظهور الحضارة على سواحل البحر الايض المتوسط لما كان العالم عائشاً في ظلمات الجهل والوحشية ولعل أهم ما يستوقف نظر الباحث في هذا الموضوع ما اتاب البلاد من غزو الاجانب واختلاطهم بالمصريين وتأثير ذلك في الازدهار والاخلاق الوطنية

وكان القطر في مبدىء مدنيته منقسماً الى عدة امارات صغيرة مستقلة اخذت تلتئم تدريجاً حتى تكون منها مملكتان عظيمتان احدهما بالوجه القبلي والاخرى بالوجه البحري . وامتازت المملكة الاخيرة بسرعة تقدمها في الحضارة . ومنذ عام ٤٢٤١ قبل الميلاد لقبت مصر « بأرض القطرين » نسبة الى جزئها البحري والقبلي . وحوالي عام ٣٤٠٠ ق . م . انضم هذان الوجهان تحت سلطة الملك مينا فكان هذا الملك اول من حكم ارض مصر مجتمعة واول ملوك الاسرة الاولى المصرية . واعتبر المؤرخون عهد مينا هذا حداً فاصلاً في تاريخ مصر القديم اذ قسموه الى قسمين . القسم الاول ويرجع تاريخه الى ما قبل الأسر والقسم الثاني ويعرف بحكم الاسر . وقد اثبت لنا المباحث والحفائر الاثرية ان زمن حكم الاسر جاء نتيجة مباشرة لرقى وتقدم تدريجي في حضارة الزمن السابق

والفضل في رقي الحكم المصري مدة حكم الاسر الاولى التي تقدر بحوالي اربعة قرون يرجع الى ضم سائر جهاته تحت حكم الملك مينا وسلالته الذين اتخذوا مقرهم في بادىء الامر مدينة طيبة بالقرب من العراة المدفونة . ثم انتقلوا بعد ذلك الى منف . وفي هذه المدينة ارتقت حضارة البلاد وزاد عمرانها وقوى نفوذها فسمي الاثريون هذا العهد « المملكة القديمة » . وفي هذا العهد تجلّت حكومة البلاد وادارتها الداخلية بأجلى مظاهر الكمال . واخذ النفوذ المصري يمتد الى ما وراء حدود المملكة



ولما تولت الاسرة السادسة الحكم سنة ٢٦٢٥ ق. م ساست القطر حتى عام ٢٤٧٥ ق. م وفي عهدها اخذ يدب في نفوس حكام الاقسام شعور الاستقلال والكبرياء . وكانوا قد احتفظوا بمراكزهم الادارية لا سرهم منذ زمن الاسرة الخامسة . بهذه الطريقة مهد هؤلاء الحكام الطريق لتجزئة القطر المصري الى امارات مستقلة صغيرة وشمل نفوذ السلطة المركزية بالبلاد هكذا تمكن حكام الاقاليم المصرية من اسقاط يدهم الفرعوني المالك في اواخر حكم الاسرة السادسة حوالي سنة ٢٤٠٠ ق. م . ومن دواعي الاسف اننا لم ننته الى كيفية تطور تلك الامور وغاية ما وصل اليها عن ذلك العصر قائمة باسماء ملكية اعتبر ( مانيو ) اصحابها ملوك الاسرتين السابعة والثامنة المنفيين . وقال انهم حكموا مدة لا تزيد عن ثلاثين سنة . اما الاشخاص المسؤولون عن هذا الانقلاب العظيم فلم ننته اليهم لآن . لكننا نظن انهم كانوا معادين للملوك المملكة القديمة . لا لهم نهىوا المعابد وخرّبوا الهياكل والمقابر والنقوش والرسوم البديعة بنظام وتدمير . وحطموا التماثيل الجرانيتية الجميلة والصوانية وألقوا بعضها في الابار . لذلك لا يبعد ان كان ذلك العصر عهد فوضى وخراب عجز فيه ملوكه وامراؤه عن تشييد مقابر او آثار لهم نستدل منها على حوادث زمنهم

لكن المعروف ان مثل هذا الانقلاب الفجائي لا يحصل عادة الا من غزو اجني عن طريق الدلتا غالباً . وهذا الغزو سبب تقهقر حكام متف العظيمة الى ( اهناس ) الحفيرة . قال الاستاذ ( پتري ) ولعل الملك ( خيان ) الذي جاء عنه انه حكم القطر طراً مثل الهيكسوس كان احد الملوك الاجانب الذين غزوا القطر وابدوا سلطانه بعد حكم الاسرة السادسة . وقد نسب بعض الاثريين هذا الملك الى عهد الهيكسوس . لكن ( پتري ) عارض في ذلك واعتبره اسيوياً غزا مصر عن طريق تل بسطة ( قرب الزقازيق ) وحكم في الوقت نفسه شمال جزيرة العرب والعراق ومصر بدليل تمثال الاسد الذي وجد بالعراق واسم ذلك الملك العظيم منقوش عليه . زد على ذلك ان القاب هذا الملك مثل « امير الحيال » و « ضام الاقاليم » تشير ايضاً بطريق غير مباشر الى بدويته واتساع ملكه

ووصلت الينا رواية لا يبعد انها من تلك الازمنة جاء فيها ان ساحراً يدعى ( اپور ) انذر فرعون مصر بحصول اضطرابات وقحط في المملكة يصير فيها الغني فقيراً والفقير غنياً . ثم يغزو البلاد قوم اجانب فيقلب النظام رأساً على عقب . وبعد ما سرد الساحر كثيراً من هذه الاخبار المحزنة قال انه سيأتي بعد ذلك رسول « يطفئ نار ذلك اللهب فيمدحه الخلق ويعتبرونه راعيهم لسلامة قلبه . ويبقى هذا الرسول يلم شعث الضال من قومه فيلتف الناس حوله ويعضدونه بكل قواهم لينجيهم من بلائهم ومصابهم . . . . . فيدفع الضرر بذراعيه بقوة . . . . . »



والظاهر ان طرد الاجانب من مصر وقتئذٍ ورد النظام الى القطر وارجاع السكينة والطمانينة اليه انما يرجع الى اماره اهناس الواقعة جنوبي الفيوم وهي مركز عبادة حوريس منذ مبدأ عهد الاسر. واول من ارتقى عرش مصر من هؤلاء الاهناسيين هو (إخثويس) واليه ينسب حب الانتقام والجبروت والغلظة اكثر مما تنسب الى سواه. وجاء في نقوش اسيوط ان حالة القطر المصري كانت وقتئذٍ سيئة وان ملوك اهناس قاوموا ذلك السوء وحاولوا ازالته. فكان «كل موظف يدير عمله كالعتاد بلا مشاجرة ولا مطاحنة... وبطل قتل الطفل جوار امه وسفك دم الرجل قرب زوجه ووقف فعل السوء.... وضرر الرجل لبيته». وجاء بمقبرة اخرى «اذا جن الليل مدحني كل من نام في الطريق لانه أصبح آمناً كالذي يقطن داره. ذلك لان فرع الائمة من جنودي كان حامياً له في وحدته»

هذه هي اقدم رواية لغزو الاجانب لمصر واضمحلالها ثم تقوقها عليهم اوطردها اياهم واسترداد استقلالها سالماً بالتالي

بعد ذلك اخذت شمس طيبة تبرغ تدريجاً لاول مرة في افق التاريخ فأخذ حكامها ينافسون ملوك اهناس ودار بين الطرفين نزاع انتهى بفوز طيبة وانتقال مقاليد الحكم الى حكام الصعيد وتولت بعد ذلك الاسرة الثانية عشرة الحكم وساست الامارات الصغيرة بالحلم والدهاء فتقدم القطر كثيراً ولبست البلاد ثوب التمدن والنعيم لمدة تيف على مائتي سنة تقريباً أي من سنة ٢٠٠٠ الى سنة ١٧٨٨ ق. م. ويعرف هذا العصر عند الأثريين «بعصر الآداب» لأنها باغت فيه اعظم شأوها. فالشعر والنثر بلغا اقصى درجتهما من حيث المتانة والجودة كما ان الحفر والعمارة تقدمتا بدرجة مذهشة

وفي سنة ١٧٨٨ ق. م. سقطت الاسرة الثانية عشرة واشتعلت في البلاد نار ثورة داخلية انتهت بانقسامها وتفرق كلمتها وتطاحن امرائها على العرش. بعد ذلك استولى على البلاد قوم من مملكة اسيوية شاسعة سماهم (مانيتو) هيكسوس حكموا القطر المصري مدة قرن تقريباً واتخذوا في اثنائه مدينة (أواريس) أو (هواره) الواقعة شرقي الدلتا مركزاً لهم. وذلك حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد. اما (هواره) فأصلها بالمصرية القديمة — حا أوار — ومنها اشتقت اواريس وهواره (راجع تاريخ الشرق الادنى للاستاذ المرحوم هول Hall ص ٢١٧)

وليس من الصعب معرفة موطن امبراطورية الهيكسوس وأصلهم وأخلاقهم. اذ الغالب ان رواية (مانيتو) ان هؤلاء القوم فينيقيون صحيحة. والثابت ان اهالي بلاد العرب كثيراً ما هاجروا الى سوريا. ولذلك لا يبعد ان هذين القطرين اتحدا بعد مجهودات حرية تحت ادارة حاكم قوي وكوّننا مملكة واحدة. ويرى الاستاذ (كنج King) ان اصل الهيكسوس من بلاد



العرب هاجروا الى الشمال اثر عوامل داخلية ومن هناك غزوا مصر . وقد حدثت بعد ذلك هجرات شمالية مماثلة لهذه بدأت من تلك الاصقاع وانتهت بغزو ( بابل ) وتأسيس المملكة الارامية وانتشار الاسلام . ومما يعزز ذلك تلقيب المصريين للهيكسوس بلقب ( عامو ) — ويعني اصحاب العصاة الملتوية — وهو اللقب الذي اطلقوه غالباً على عرب الصحراء ( راجع تاريخ بابل للاستاذ كنج ص ١١٩ )

واتضح لنا من الآثار ان السوريين الذين أتوا الى القطر المصري أيام الاسرة الثانية عشرة كانوا متمدنين راقين . كما ان حروب الفراعنة في سوريا بعد طرد الهيكسوس من مصر أثبتت وجود حضارة عظيمة هناك . والظاهر ان انهيار صرح امبراطورية الهيكسوس العظيمة ترك بعض تأثيراته في أهالي فلسطين وسوريا استمرت عدة اجيال بعد بسط النفوذ المصري عليها من ذلك يتضح ان امبراطورية الهيكسوس سامية الاصل . وقد عثر على جُعبَل لفرعون من عهد الهيكسوس عليه اسم ( يعقوب حر ) — اي ( يعقوب آل ) اشارة الى احتمال تبوء احد رؤساء بني اسرائيل الملك في تلك العصور الغامضة . وهذا الامر يتفق مع احتمال دخول بني اسرائيل مصر وقتئذ . واذا صح هذا الاستنتاج كان عبرانيو مصر عرباً تابعين لامبراطورية الهيكسوس . ولا يبعد ان يكون وجود هؤلاء العرب بمصر سبباً في تلقيب تلك الامبراطورية « بدولة الرعاة » . ولا يبعد ايضاً ان تكون نظرية ( يوسيفوس ) القائلة بأن بني اسرائيل قوم من الهيكسوس فيها شيء من الحقيقة وان لم تكن هناك أدلة على صحة ذلك

اما كلمة « هيكسوس » فأصلها بالهيرغليفية ( حكاو خاسوت ) واللفظ الاخير لا يبعد انه كان يُلفظ في عهد المملكة الحديثة ( ١٥٥٠ — ٧١٢ ق . م . ) ( شاسو ) . وعلى ذلك فيكون اسم الهيكسوس بالمصرية القديمة في العهد المذكور ( حكاو شاسو ) وهؤلاء حكام البلاد الاجنبية وهي صفة اطلقها المصريون على الاجانب من عهد الاسرة السادسة ( ٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق . م . ) حتى العهد اليوناني ( ٣٣٢ ق . م . ) وعلى ذلك فلفظ هيكسوس هو في الاصل ( حكاو شاسو ) ويستدل من رواية ( مانيتو ) والنصوص القديمة ان الهيكسوس فرضوا الجزية على انحاء القطر المصري كله . وقد عثرنا على بعض آثار للهيكسوس جهة جبلين باقليم الشلال الاول ولذلك لا يبعد ان دخول الهيكسوس الى مصر كان تدريجياً أشبه شيء بهجرة غير مصحوبة بحروب او منازعات . لكن ( مانيتو ) اخبرنا انهم لما دخلوا مصر استولوا على منف ( جوار سقارة ) وانهم اتخذوا هواره — او اريس — جوار بور سعيد — قاعدة لمكهم بمصر لقربها لآسيا . وكان ملك الهيكسوس وقتئذ يدعى ( خينزر ) وقد ولى وزيره المدعو ( انجو ) حاكماً على مصر يدير امورها وينظم معابدها والغالب ان حكم الهيكسوس لم يزد مدته على مائة وخمسين سنة في



مصر (١٧٠٠ — ١٥٥٠ ق. م.) وبديهي ان معظم ملوك مصر المعاصرين لهيكسوس كانوا بمثابة ولاية تحت حكمهم وقد اثار حكم الهيكسوس في المصريين شعور البغض لهم حتى طردوهم وتخلصوا منهم والمعروف عن هؤلاء القوم انهم ادخلوا الخيل الى القطر المصري لأول مرة ودرّبوا المصريين على الحروب العظيمة ، وعليه فالمصريون مدينون لهم بكثير من ارشاداتهم النفيسة وتعاليمهم القيمة مهما عظم مقدار الخسارة والتلف والضيق الذي حلّ بالبلاد في عصرهم

\*\*\*

اما كيفية طرد الهيكسوس فتتلخص في ان مصر كانت مقسّمة وقت حكمهم الى عدة اقسام تحت ادارة « ملوك مصر » على مارواه مانيتو . وان كل ملك من هؤلاء كان منفرداً ومستقلاً بادارة اقليمه تحت اشراف الهيكسوس . ولا يخفى ان مثل هذه الحالة اضعفت نفوذ المصريين كثيراً امام عدوّهم الاجنبي . لكن ملوك طيبة وبعض حكام اقسام مصر اتحدوا بعد ذلك وجمعوا قوتهم وشبّوا حرباً على العدو وربما كان ابرز هؤلاء الملوك هو المدعو (سكنرع الثالث) (١٦٠٠ ق. م.) وقد عثر المرحوم كمال باشا على مومياء ضمن كنوز الدير البحري الكبرى وهي الآن محفوظة بالمقبرة الفرعونية بالقاهرة وقد وجدت بهذه المومياء جروح شنيعة مميتة بالرأس اثر نضال وزاع قبل الوفاة يرجح انه حصل وقت حرب المصريين مع الهيكسوس . ولو امكن عمل قائمة ثمر فالية لمن ضحوا بأنفسهم في سبيل بلادهم لآتى هذا الملك في اولها . لانه ناضل بنفسه بين جنوده بل وتقدمهم حتى تمكن العدو من اصابته في رأسه فهشم جمجمته في خمسة مواضع (راجع كتاب المومياء الملكية للاستاذ اليوت سميث ١ — ٣) . وتعدّد الاصابة دليل على شدة عناد هذا القائد وقوة ايمانه بواجبه نحو وطنه

ولما توفي هذا الملك تبوأ كرسي الملك بعده ابنه (كاموس) الذي اضى ينفذ خطط سلفه لانقاذ وطنه من براثن العدو . وبهذه الطريقة وضع لنا اسلافنا انموذجاً تقتدي به يتلخص في امام العمل الوطني الشريف كلُّ بحسب قدرته . لانه ما لم يدرك كله لا يترك جله . بهذه الطريقة جاء دور (كاموس) بطل الكفاح ومثال القائد من حيث النشاط والامانة والاخلاص . فآتى بأعمال جليلة تكسف اعمال (چان دارك) و (جورج واشنطن) وغيرها . لكنها للاسف مجهولة بين من يجب عليهم الالمام بها . كان من حظ (كاموس) ان تمكن من كسر شوكة الهيكسوس لأول مرة وشلّ نفوذهم بالوجه القبلي . فأثبت بذلك لأهل وطنه امكان قهر العدو والغلب عليه . بل وطرده من الوطن . حصل ذلك شمال مدينة الاشمونين بمصر الوسطى وكان الهيكسوس وقتئذٍ تحت قيادة القائد (تي) (راجع مجلة العاديات المصرية ج ٥ ص ٣٩)



وأهم مرجع تاريخي لأعمال هذا الملك العظيم هو النص الوارد على لوحة كارنافون رقم ١ التي اكتشفت بطيبة (لوقصر) عام ١٩٠٨ ميلادية والتي يرجع تاريخها الى حوالي عام ٥٠٠ بعد حكم (كاموس) المذكور فقد جاء بهذا اللوح ان الملك (كاموس) خاطب مجلس اعيان مملكته في السنة الثالثة من حكمه قائلاً ضمن خطبة طويلة :-

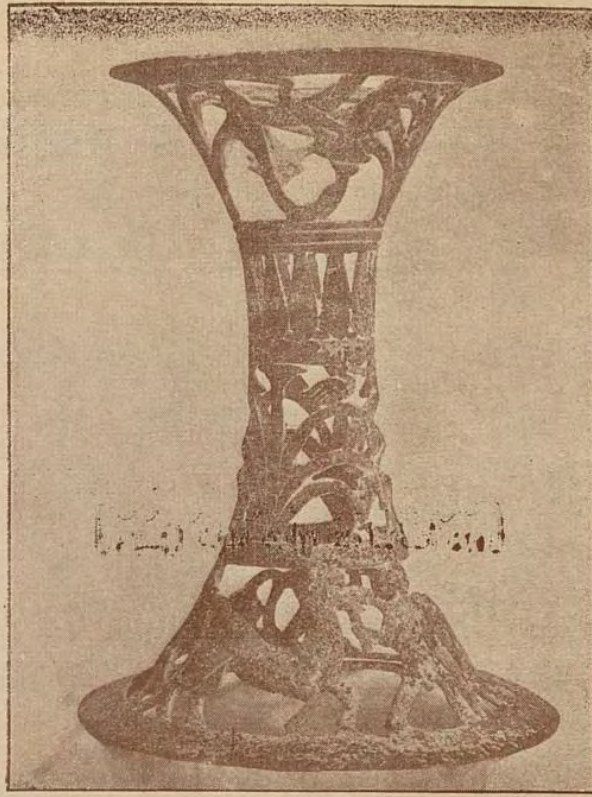
« انظروا الى العدو لقد وصل الى الاشمونين ومنع كل انسان من الراحة لانه استعبدكم وأذلهم اذلاً. لقد اخذت على نفسي مناضلته حتى ابقر بطنه لان امنيقي هي تحرير مصر وسحق الاسويين ». وورد بعد ذلك على لسان جلالته « لقد ركبت السفن النيلية يتقدمني فيها جيشي المتأجج حمية . . . . وأرسلت جواسيسي لاتمكن من سحق العدو . . . . وأمضيت اليوم في مدينة (نفروسي) — وهي مدينة قديمة تقع شمال الاشمونين بيضعة اميال — اناضل (تي) ابن (أبو فيس) ولم اتركه يفلت مني . هكذا رددت العدو الذي استولى على مصر . . . . وأمضيت الليلة في سفيني وقلبي جذل . فلما طلع الفجر انقضضت عليه كالنسر . فما وافت ساعة تعطير الفم (اي ميعاد الافطار) حتى كان النصر مكتوباً لي . فهدمت جدرانها وفكت برجلها واضطرت زوجته الى الهرب نحو ساحل النهر . وكانت جيوشي كالاسود . . . . ها ! لقد اخذ اقليم (نفروسي) يسقط في ايدينا . . . . »

\*\*\*

الى هنا انتهت عبارة لوحة كارنافون فلم تتمكن من معرفة مدى تقدم قوات (كاموس) وهل هي تابعت سيرها حتى (منف) او ارجأت الاستيلاء على هذه المدينة الى وقت آخر. وعلى كل حال فكاموس هو اول فرعون نفذ ارادته بالقوة وقسداً . ولا تزال جثة هذا الملك العظيم محفوظة بمقبرة الفرانة بالقاهرة ومعها مصاغه وأسلحته الحربية

ولحكمة ارادها الله توفي (كاموس) قبل اتمام عمله الذي تنهياً له اعظم تهيب وبذر بذوره بين اضلاع ابنه (اهمس) اول ملوك الاسرة الثامنة عشرة على قول ماينتو. تولى اهمس العرش عام ١٥٨٠ ق. م. تقريباً وكان حكمه اولاً محصوراً في الوجه القبلي بقسم طيبة . وبعد ما اثبت لاهالي اسوان عزمه على مراعاة حسن الجوار كاجداده ولى وجهه نحو الهيكسوس . ولم تصل الينا نصوص اهمس الاول عن ذلك الكفاح . وكل ما اهتمنا اليه في هذا الصدد هو تلك النقوش الواردة على جدر قبر ضابط مصري من جهة الكاب كان مولياً لملوك طيبة واشترك معهم في مهاجمة الهيكسوس . وهذا الضابط يقال له (اهمس) ووالده تدعى (إبانا) ووالده (بابا) هذا كان موظفاً في حكومة (سكترع) (الثالث) السابقة الذكر





(كأس من بروتز وزجاج وجدت في انبيا ويرجع الى ١٤٠٠ ق . م )



( تمثال امرأة تسحق القمح من كلس وجد في الحيزة سنة ٢٥٠٠ ق . م )

[ تكرر بهذه الصور الدكتور بشر فارس  
وقد أتيها عند زيارته مدينة ليلش ]





( رسم على قطعة فخار يمثل فتاة عند تدوير يرجع الى ١٢٠٠ ق. م )



( تاج من نحاس مزين بورد من خشب وجد في الجيزة ورجع الى ٢٦٠٠ ق. م )



واليك ترجمة ما قاله اهمس بن ابانا عن سيرته ايام الملك اهمس الاول : —  
 « قضيت ايام شبابي في مدينة الكاب وكان ابي ضابطاً في جيش جلالة ملك القطرين  
 البحري والقبلي سكنزح المرحوم . وكان يسمى ( بابا ) وهو ابن ( روينيت ) . ولما توفي وظفت  
 مكانه في سفينة تسمى ( القربان ) وذلك ايام الملك اهمس الاول . وكنت اذ ذاك شاباً لم  
 أزوج فلما تزوجت وصارت لي اسرة نقلت الى الاسطول الشمالي لما شوهده في من الشجاعة  
 والاقدام » . من هذا يتضح انه نقل من اسطول الكاب وارسل شمالاً لمحاربة الهيكسوس .  
 وبعد ان صار ضابطاً بحرياً انتظم ضابطاً برّياً في حرس الملك الخاص . وقد اشار الى  
 ذلك بقوله « وكنت اتبع الملك في سيره حيثما اقلته عجلته ولما حاصر الملك مدينة ( اواريس )  
 اظهرت له بسالة وأنا احارب على قدمي فعيني جلالته في السفينة المسماة ( ضوء منف ) .  
 ثم حارب جلالة الملك في مياه ترعة ( يزدكو ) جهة ( اواريس ) وقد حاربت وقتئذ بيدي  
 فأحضرت يداً مقطوعة من رجال العدو برهاناً على شجاعتي واقدامي . فبلغ ذلك الخبر  
 رسول الملك فأنعم عليّ جلالة الملك بعد ذلك بنشان الشجاعة الذهبي . ولما قامت الحرب مرة  
 ثانية في هذا المكان دخلت النزاع وحاربت بيدي وأحضرت يداً أخرى ( من أسير ) فأنعم عليّ  
 جلالة الملك مرة ثانية بالنشان الذهبي لشجاعتي . في ذلك الوقت العصيب قامت ثورة عظيمة في  
 اقسام مصر جنوب الكاب تطلبت ذهاب الملك اهمس الاول شخصياً مع ( اهمس ) ابن ( ابانا )  
 لقمعها . وقد اخبرنا عن ذلك اهمس ابن ابانا بقوله « فحضر الملك وحارب قسم مصر جنوب  
 هذه المدينة ( الكاب ) واسرت حينئذ رجلاً حياً زلت به الى البحر قابضاً عليه كما نني سائر في  
 طريق المدينة وعبرت به النيل فعلم بذلك رسول الملك فأنعم عليّ جلالته بمكافأة ذهبية مضاعفة  
 ولما خمدت الثورة رجع الملك مصحوباً باهمس بن ابانا الى اواريس . قال اهمس المذكور ما  
 زجنته « فسقطت اواريس في قبضة جلالة الملك . وهناك اسرت رجلاً وثلاث نسوة فكان  
 المجموع أربعة وهبهم لي جلالة الملك عيداً » وكان ذلك عام ١٥٨٢ ق . م . وهو أقدم عيد  
 استقلال معروف في تاريخ الامم

\*\*\*

قال اهمس ابن ابانا بعد ما ذكر سقوط اواريس « ثم حاصر جلالة ملك مصر مدينة  
 شاروهن ( شرحان ) — بجنوب فلسطين — لمدة ثلاث سنوات واستولى عليها » ويعتبر هذا  
 أول حصار طويل معروف من نوعه في التاريخ . هكذا تتبع الملك اهمس الاول عدوه  
 بعد خروجه من مصر حتى قذفه في فينيقيا حيث لم تقم له قائمة بعد



وقد كان حكم الهيكسوس وطردهم من مصر عظة كبيرة للمصريين افهمتهم لاول وهلة معنى الاستعمار وسياسة البطش . فأنشأوا جيشاً عظيماً منظمًا استعملوا فيه العجلات الحربية مستعينين على جربها بالخيول التي جلبها الهيكسوس الى القطر المصري وقت غزوتهم له . فتحولت مصر بذلك الى امبراطورية حربية . شأن كل امة تتحد كلمتها . وتلم شعبتها وتتولى تحرير نفسها بيديها

\*\*\*

ويجدر بنا في هذا المقام ان نذكر فضل السيدة المصرية في هذه الحركة العظيمة الوطنية ومقدار كفاحها وعظم تأثيرها النفساني في حكام مصر وقتئذ . اذ لا يبعد مطلقاً ان تكون القوى المعنوية بين المصريين وقتئذ راجعة الى تشجيع الجنس النسائي . ومثل هذا المجهود المزدوج كثيراً ما يشاهد في مواقف الدول الاستقلالية مهما تباينت عناصرها . لكن في مصر وقت طرد الهيكسوس كانت الزعامة النسوية في قبضة الملكة (آحوتب) زوجة (سكمنرع الثالث) الذي مات شهيد الوطن في حومة الوغى كما ألمعنا سابقاً وقد رزق منها (كاموس) و (اهمس الاول) و (نقرتاري) فلما توفي الزوج قام الابن الاكبر بدوره . ولا يبعد مطلقاً ان يكون ذلك تحت تأثير والدته حباً في القصاص من اجل دم الوالد . ثم اتى دور (اهمس الاول) الذي تزوج بأخته (نقرتاري) الشهيرة والتي كان لها شأن كبير في الحركة الوطنية حتى عبدها قومها على حد سواء مع زوجها . وقد عثر على تابوتها بالدير البحري

ولا بد ان الملكة (آحوتب) عُمِّرت فوق المائة سنة . وكان في امكانها ان تتولى الحكم بنفسها . لكنها تركته لاولادها ليكافحوا في سبيل بلادهم كفاح الابطال وهي من ورأهم تشد ازهم وتراقب احوال مملكتهم الداخلية . فيالها من والدة حكيمة رشيدة لقد شهدت الملكة (آحوتب) كل حركة الاستقلال من اولها الى آخرها ورأت بعينها انتقال مصر من الحضيض الى العلياء ومن الذل والعبودية الى السؤدد والجبروت وهكذا كتب لها المولى ان تفتح عينها اولاً على بلدها وهو في حالة الهوان وأن تغضضها آخرأً ووطنها حراً باسطاً سلطانه على ممالك آسيا والسودان بفضل مجهودها ومجهود زوجها واولادها . فأفعم بهذه العائلة وأكرم بشهامة رجالها ونسائها

ولما توفيت هذه الملكة حنطت جثتها بكل احترام ووضعت في تابوت ذهبي خاص ومعها حليها وهدايا التي قدمت لها في حياتها من زوجها واولادها . وكان هذا المصاغ معتبراً أنخر ما عرعل عليه من الآثار الى عهد قريب ويتكوّن من أساور وخواتم ومروحة ذهبية ومراة من البرز ذات اليد الانوسية وغير ذلك



## بين الحقيقة والخيال

لراهمى الراعى

- أنتَ من أنت وما أنت أيها الخيال  
— وأنتَ من أنت وما أنت أيها الحقيقة  
— أنا الحقيقة وكفى  
— وأنا الخيال وكفى  
— أنا المعلوم المحدد الملموس ولي اتباعي  
— وأنا المجهول الذي لا حد له ولا تطاله يد ولي اتباعي  
— أنا كلمة الله في خليقته  
— وأنا خليقته في رأسه قبل ان أخرجها منه فأراها النور  
— أنا الجوع والشبع والظلم والماء والرداء  
— ليس في ذلك ما يدعو الى الفخر والمباهاة  
— أنا جسد المرأة ووصالها  
— وأنا جمالها وسرّها وفتنتها وقلبها وسحرها ووحيا . . . انا ما تراه فيها  
ولا يؤخذ منها  
— أنا الأبدية والأرقام  
— هي قيودك أيها العبد ، أما أنا فلا حدّ لي ولا قيد يقيّدني  
— أنا الراقد وسريره  
— وأنا الحلم ووثيقته  
— أنا الحياة والموت  
— وأنا وراءها النعم والجحيم



- أنا الكأس وخمرتها  
 — وأنا السكر والعريضة  
 — أنا المنطق والجبر والهندسة واللاهوت  
 — وأنا الشعر  
 — أنا سقراط وأفلاطون وأقليدس  
 — وأنا هوميروس وفرجيل ودانتي وميلتون  
 — أنا اليقين  
 — وأنا الشك  
 — أنا العقل الجميل  
 — وأنا الجنون الجميل  
 — أنا الحجر الذي تراه بارزاً في البناء  
 — ولكن البناء اخذه من مقالعي فبناؤه لم يقيم في الأرض إلا بعد أن تحيَّاه  
 — أنا الحكمة والعدل والفضيلة والبطولة والشرف والإباء والكرامة والمجد  
 — هي كلمات انتزعها من قلبي وقتت تتادين أنها لك . . . هي كلمات طنانة رنانة  
 قذفت بها أرحامي فجاءت على صورتي ومثالي خيالاً لا حدَّ له ولا تعريف  
 — أنا الكنيسة والصلاة  
 — وأنا لهيب العقيدة  
 — أنا العصفور وجناحه وغصنه وصيَّاده  
 — وأنا لونه وتغريده  
 — أنا قلم الكاتب ومداده  
 — وأنا وحيه وإلهامه  
 — أنا نصف التاريخ



— وأنا نصفه الآخر

— أنا القناعة

— وأنا الطموح

— أنا الصخرة الراسخة التي لا تنزعزع

— وأنا الموجة الهائجة التي لا تستريح

— أنا الحقيقة

— وأنا الخيال

— أنا الانسانية

— وأنا الروحانية

— أنا قمر الليل

— وأنا اشباحه

— أنا العود ووتره

— وأنا أنثته ...

— وظل الخيال والحقيقة ينقران على هذا الوتر ليلة كاملة ...

— وطلع الفجر وهما يتجادلان ويستشيطان غضباً ويتنازعان السيادة .. وأنا

اتفرج عليهما واسمع لحديثهما العالي

— وأشرقت الشمس فأقبلت عليها أسأها أن تقول كلمتها فأعرف مَنْ من الاثنين

أؤثره على الآخر : الحقيقة أو الخيال ..

— فأطرقت الشمس برأسها قليلاً ثم النقت اليّ وقالت :

— أنظر الى وجهي وأشعّتي : أنا النار والنور، وهكذا أنت فنارك خيالك ونورك

حقيقتك فكن للشمس المشرقة فيك ولا تعجب لشطريك اللذين يتنازعان السيادة في

رأسك فكل منهما عظيم في دائرته وقوي بنفسه



# تركة التاريخ

في نفوس الشعوب الضعيفة

لعبد الرحمن سُكُرى

تختلف الاخلاق باختلاف الامم الى حدٍ كبير وليس معنى هذا ان امة تخلو افرادها من صفة حميدة او ذميمة فكل الصفات حميدها او ذميمةا في كل نفس وفي كل امة وانما تختلف مقادير تمكن الصفات من النفوس. والحكم على اخلاق نفس او امة انما يكون بحسب ما فيها من الصفة سواء كانت حميدة او ذميمة فاذا كانت الصفة ضعيفة لم تكن مما توسم او توصم به واذا كانت شديدة كانت من خصائصها. والتاريخ هو مجموع العوامل التي أثرت في نفوس الافراد والامم من عوامل جغرافية واجتماعية وغيرها وهو يدلنا على ما تتصف به النفوس وما يغلب عليها من الخصال وما لا يغلب عليها. فعند دراسة التاريخ لا بد من دراسة مؤثرات الجغرافية البشرية اذ لكل بيئة خصال واخلاق مرجعها الى طبيعتها فترى البدو على خصال غير خصال الحضرة وترى سكان الحياض موسومين بخصال يرجع اثرها الى طبيعة ارضهم ومناخهم وحاصلاتهم. فالشجاعة والكرم والحد والصدق والثبات واضدادها يمكن ردها الى البيئات التي تنبت فيها كما ينبت النبات ويمكن تمييز البيئات تنشأ فيها. ويستطاع معرفة مدى اثر البيئة في حياة القوم الاجتماعية ثم ان حياة القوم الاجتماعية هي مجموعة مؤثرات منها ما يزيد او ينقص من اثر المؤثرات الجغرافية. وقد ينتقل قوم من مكان الى مكان مغاير للاول فتختلف صفاتهم النفسية بمرور الازمان او قد يختلف بعضها وضوحاً وشدة وثباتاً او ضعفاً وانحلالاً وقد تغلب على نفوس القوم صفات من مكانهم الجديد وهي قد كانت أقل وضوحاً في مكانهم القديم وقد يكتسبون في مكانهم الجديد انواعاً اخرى من الصفات والقوانين والشرائع وأنظمة الحكم لها آثار في الحياة الاجتماعية بعيدة المدى طويلة العمر باقية على التاريخ فتنبى في النفوس صفات القوة او صفات الضعف وهي وليدة المؤثرات الجغرافية الى حدٍ كبير اذ تختلف النظم والشرائع والقوانين كاختلاف البيئات الجغرافية ولكن اختلاط تلك البيئات واتصال شعوبها يؤديان الى انتقال القوانين والنظم من مكان الى مكان على مرور الازمان الا ان انتقالها أسرع من انتقال الاخلاق والصفات من النفوس. فالنظم والقوانين تنتقل بالهجرة او الغزو او المصاهرة أو



التعلم او المحاكاة . وقد تترك المؤثرات الاجتماعية أثرها حتى بعد زوالها فتبقى الآثار أحيالاً في بعض الاحياء وقد يزول بعضها ويبقى البعض أو قد تبقى كلها معدلة محورة

واذا نظرت الى شعب درج في عصور التاريخ المختلفة على العزة والمنعة والقدرة وجدت فيه صفات تختلف عن صفات الشعب الذي درج في عصور التاريخ على ضد تلك الحالات . وقد تبدل عزة الشعب الاول وتزول فتبقى فيه صفات العزة عهداً طويلاً وقد تبدل حالة الشعب الثاني وتزول ذلته كما تزول شرائعه القديمة فتبقى فيه صفات نشأت من العصور القديمة فتظهر في نفوس آحاده صفات وضعية حتى ولو ظهر الشعب بمظهر العزة والتهوض . لان الحكم يكون بالصفات المتأصلة في النفوس وبمظاهرها في حياة الناس ويكون الحكم على مثل هذا الشعب لا محالة برده هذه الصفات الى مسياتها القديمة . ولا مناص من ذلك ولا يمكنه ان يخفيها عن احد او ان يرغم احداً على القول بذهابها الا اذا استطاع ان يتخلص منها وصحت عزمته على ذلك

وانخذ العدة للنجاة منها . اما ادعاء العزة والظهور بمظهرها والغضب من وصف ما ظهر منه مما يحسب انه قد خفي فلا يزيد الا تمادياً في صفاته القديمة واعتزازاً بها وهو يحسب ان انكارها خلاص منها كما يحسب الكاذب ان انكار كذبه يجعله صادقاً في حين تكون صفاته القديمة كالطابع او الحتم لا مفر له منه . وكل ما يمكن ان يقال فيه انه شعب تبدلت احواله فظن انه قد تخلص من آثارها او هو يغالط نفسه من العجز ويحسب ان في مغالطة النفس تحاصفاً منها لعجزه عن الاخذ بأسباب التخلص . وحسبانه هذا قديكون اما من الجهل بشؤون الحياة والعالم والتاريخ وأما لانه يعز بمخلفات وضعية يقيمها في الظاهر ولكنه يعز بها لانها صارت نفسه ومن الذي لا يعز بنفسه ولا يظلمها بطلاء العزة ولا يتخذ من صفات الذلة قوة وعضداً وهي قوة وعضد كما سنوضح الا انها قوة تمنع الضعيف من الفناء ولكنها لا تنهض به . فخصال الذلة انما نشأت كي تقي الدليل من شر سطوات القوي ولكنها لم تنشأ كي تنهض به الى مرتبة الثاني . وهذه الخصال هي الحسد والمكر والكذب والخداع والتعاون على الدس والغيبة والنميمة والرياء والبذاءة والقسوة والتفارق والنفس . وسنوضح لماذا نشأت هذه الصفات في الاذلاء كي تقيم سطوات المقتدر واذا اجتمع في وسط من الاوساط أثر هذه الصفات التاريخي وأثرها الناشئ من ضرورتها بسبب ازدحام السكان وما يكون بسبب ازدحام السكان من التقاتل على الرزق كانت هذه الخصال في أشد حالاتها وأرذل درجاتها وأحط مميزاتها وظواهرها وقد نشأت هذه الخصال من سنة الاستعاضة في الطبيعة وهي سنة عامة في الطبيعة التي تعوض على المرء صفة بدل التي يفقدها فاذا فقد القدرة عوضته هذه الصفات كي يدركها القدرة ويحمي نفسه . وانما مثلها مثل الجرائم التي تنشأ في الجسم كي تحارب الجرائم الاخرى الساطية عليه التي تريد ان تقتاله . والطبيعة تعوض الحيوان عما يفقده فالاعشى يعوض عن بصره خيالاً واحساساً لما حوله وكذلك النفوس المستضعفة تعوض على مرور الزمن من



المكر والكذب والحسد والنفاق والبذاءة ما تصول به اذا صالت وما تدرأ به القدرة وهذه صفات مشاهدة في الشعوب الضعيفة التي تعاني أثر العصور القديمة وقد ينتهي أجل الذلة التي سببت هذه الخصال فلا تزول بزوالها لان هذه الصفات تكون قد أصبحت طباعاً موروثاً جيلاً بعد جيل وقد تكون مقطوعة الصلة بالضرورة التي دعت اليها في أوساط الاذلاء عند ما كانت هذه الصفات قائمة مقام القدرة أما القدرة نفسها فتشاهد مصحوبة بضد هذه الصفات لان المقتدر في غنى عنها فالأذل في حاجة الى الكذب كي يخفي به عيوبه ويكي يخط به من قدره منافسيه في الحياة . اما المقتدر ففي قدرته حماية تسهل عليه الاعتراف بالخطأ اذا أخطأ وفيها ثقة تأبى الا أن تنافس الاجادة بالاجادة وتأبى الا أن تناضل القوة بالقوة لا بالكذب والمكر والدس والغيبة والغيرة والغيرة والحسد واللؤم وغيرها من الصفات التي ياجأ اليها العاجز بحكم نفسه او بحكم ماضيه وماضي قومه او حاضره . فهذا الاجاز له الألبان يناضل بأمثال هذه الصفات وهذا أمرٌ بدهيٌّ . ولا شك ان هذه الصفات هي درع العاجز وسلاحه في معترك الحياة وتكون عوضاً له من القدرة . وسنة الاستعاضة هذه في الطبيعة ليست مشاهدة في حياة الانسان فحسب بل في حياة الحيوان والنبات ايضاً وقد تنتهي الذلة التي سببها فتبقى صفاتها وهذا هو ما يضل الباحث اذ يرى عند غير الذليل كذباً وحسداً ومكرراً وخداعاً ونميمةً وغيبةً وقسوةً وغشاً فيراها عند العزيز وعند المقتدر او عند من يظهر بمظاهر العزة والقدرة فيفضل عن سبب نشأتها وعن حقيقة استفحالها في نفوس الاذلاء وظهورها فيهم اكثر من ظهورها في نفوس الاعزة المقتدرين وتستفيض كتب القصص والتاريخ التي تدل على استفحال هذه الصفات في نفوس الارقاء ايام كان الرق شائعاً . فالكذب والغيبة والغيرة والدسائس صفات تقرأ لها نوادر كثيرة في حياة الارقاء وقد شوهدت غلبتها في الامم الذليلة بحكم ماضيها او حاضرها وفي الاوساط التي تعثرها الذلة بسبب التقائل على الحياة الناشئة من كثرة السكان وازدحامهم . وشوهدت اضداد هذه الصفات في اضداد هذه البيئات واذا انتقل انسان من بيئة ماضيها اعتراه الذلة الى بيئة اعز أحسن أن آحاد البيئة الاعز أسرع الى تصديق محدثهم من آحاد البيئة الاذل لان الرجل في الثانية تعود أن يكذب وأن يسمع الكذب فهو لا يسرع الى تصديق محدثه إلا لهُوى في النفس او اذا ادعى التصديق وهو مكذب . ومن أجل ذلك يدعي الرجل في البيئة الاذل أنه أذكى من الرجل في البيئة الاخرى لانه يظن إلى خداع الخداع ويسري الظن بالقول والعمل حتى ولو كانا صالحين . بينما قد ينخدع الرجل في البيئة الاعز لانه لا يفترض الكذب في الناس قدر افتراض الاول وهذا هو السبب الذي جعل آحاد البيئة التي تذب فيها صفات الذلة يدعون الذكاء النادر لاعمهم وقد يدعون القدرة والعزة لان الكذب والحسد والغيرة والغيبة والمكر تقوم القدرة في حياة العاجز بحسب سنة الاستعاضة في الطبيعة التي وصفناها . وقديماً قال مؤلف الخرافة القديمة عن آلهة الخرافات (عبثاً تحاول الآلهة ان تتغلب على قوة الجمل



والغباء ( فجعل للجهل والغباء قوة وكانه قد فطن الى سنة الاستعاضة الطبيعية التي وصفناها وما يصدق في حياة الانسان يصدق في حياة الحيوان أيضاً لان الحاجة واحدة فالتغلب اضعف من الاسد وهو أيضاً أكثر مكرأ ودهاء وكذباً. وبذاعة اللسان انما نشأت في أول الامر لتجني الضعيف من سطوات القوي وتشمل البذاءة اللغات الخيفة والدعوات المفزعة وهجر القول وكلها اشياء قد يتجنبها المقتدر ويزهد في ان يناضلها وهو لا يزهد في ان يناضل القدرة بالقدرة. ويعرف ذلك الاذل فيحتسي بها. ولا يزال البذاءة أقرب إلى السنة الاذلاء والارقاء وذوي العاهات. والمرأة اذا فقدت حياءها كانت أبرع في الشتائم من الرجل واسرع اليها منه. ثم تدرج الناس إلى استخدام البذاءة في غير ذلة خصوصاً في الاوساط التي يشتد فيها التناحر على المعاش او على الظهور في الحياة وليكنها في اولها ناشئة من سنة الاستعاضة الطبيعية واجتماع هذه الصفات كلها واستفحالها في شعب قد يحرمه السعي لتمكين اضدادها من صفات القوة في نفسه اعتزازاً بصفات الذلة لما قد يظهر فيها من الذكاء الرخيص كما اوضحنا ولانها استعيص بها عن القدرة فظن انها قدرة وقوة وعلى قدر تمادي المجتمع في صفات الذلة هذه يكون بعده عن براقي الرقي والنهوض مهما فاخر بالنهوض لان صفاته هي صفات التخاذل والاثرة والغش التي تحيط الاعمال العامة وتمنع من الثقة المتبادلة بين آحاده. ولا يفتن القوم الى ان صفات الذلة هذه وان كانت قد حالت بينهم وبين الفناء لا تصلح للنهوض فهي أداة بقاء لا أداة ارتقاء وهي إذا التبست عليه واحتلطت بأضدادها كانت كما يختلط الامر على الانسان فلا يميز بين الوقاحة الناشئة من فقدان الحياء وبين الشجاعة المصحوبة بالحياء والاولى من صفات الاذلاء بالرغم من مظاهرها وهي اشد ما تكون في الرقيق اذا تحكم وفي المرأة اذا بذلت فاذا تدبرنا كل هذه الامور علمنا ان تركة التاريخ في النفوس كثيراً ما تكون تركة مثقلة بالديون

اذا نظرنا في تاريخ مصر القديمة ونقوشها التي تصف اخلاقها رأينا النقوش في اواخر الامبراطورية الحديثة تصف صفات الضعف التي ذكرناها وتتدد بها وتلوم عليها واذا راجعنا تاريخ الدولة البيزنطية الاغريقية الرومانية رأينا فرقاً كبيراً بين الرومان في اول نشأتهم عند ما كانت صفات القوة النفسية ظاهرة موصوفة مأثورة عنهم مذكورة في كتب تاريخهم وبين الرومان والاغريق في اواخر عهدهم عند ما صاروا الى صفات الضعف النفسي من مكر وكذب وكيد وتحاسد وتخاذل وتنابد وغيبة وغيمة وغش ونعني ان هذه الصفات صارت أوضح اثرأ في حياتهم وتاريخهم وقد كانت ولا شك موجودة من قديم الزمن شأنها في كل زمن ومكان وليكنها تمت وكان نموها كي تكون كدروع يقي بها الضعيف القوي شأن نموها دائماً في النظم الفاسدة والايوساط المختلة. على ان نمو هذه الصفات وتكاثرها كان له اثر كبير في زوال هذه الامة وقلتها فهذه الصفات المنحطة هي أداة بقاء الى حد ما وليكنها اذا تكاثرت اضعفت جسم الامة وأدت الى زوالها



# كوندياك وديدرو

وأثرهما في فن التربية<sup>(١)</sup>

لحسن كامل

﴿فلاسفة القرن الثامن عشر﴾ تقدم فن التربية في القرن الثامن عشر تقدماً كبيراً. ويرجع أغلب الفضل في ذلك الى مجهودات فلاسفة هذا القرن. ويلاحظ الباحث ان التربية لم تنق بعد القرن السابع عشر موضع اهتمام رجال التعليم فحسب بل اصبحت الشغل الشاغل لكبار المفكرين الذين أخذوا في دراسة مسائلها العويصة. وتوسع بعضهم في هذه الدراسة حتى وصل الى حد التعمق. ويكفي ان نعرف أنهم ناقشوا كل ما عرض له روسو من مسائل التربية لكي يتبين لنا أنهم لم يتركوا ناحية من نواحيها الهامة إلا ودرسوها دراسة وافية. وسنرى أن هذه الدراسات — على الرغم مما فيها من اخطاء — قد اظهرت للناس حقائق كانوا يجادلونها حتى ذلك العهد

## كوندياك

﴿كوندياك (١٧١٥ — ١٧٨٠)﴾ كان كوندياك عالماً نفسانياً ماهراً نافس لوك الانكليزي في ميدان الفلسفة. ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه هذا الاخير من المنزلة في عالم التربية. ومع ذلك فان له كتاباً نفسياً عنوانه دراسات Cours d'études يحتوي على ثلاثة عشر مجلداً جمع بين دفتيه دروسه في تربية تلميذه فرديناند حفيد لويس الخامس عشر ﴿تغلب روحه الفلسفية﴾ من الخير أن تسود روح الفلسفة نظريات فن التربية. ولو كان كوندياك قد اقتصر على تطبيق الرأي القائل بان فن التربية هو مجموعة قواعد مستنتجة من علم النفس لتجنب ما وجه اليه من نقد مرّ. ولكنه راح يحشر في التربية مبادئ فلسفية بحتة لا تتفق — على الرغم من صحتها النظرية — مع فن تربية الرجال فيقول مثلاً «ان طريقتي في التربية

(١) الجانب الاول من فصل في «فلاسفة القرن الثامن عشر وأثرهم في تطور فن التربية» لحسن كامل مدرس اللغة الفرنسية بـ مدرسة القبة الثانوية الاميرية. والجانب الثاني يشتمل على بحث في هافيتيوس وكنت



لا تشبه في شيء أساليب التعليم المتبعة . ولكنها تلخص في ضرورة أن يمر الطفل بما مرّ به العلماء ورجال الفن . « . ومعنى آخر يجب أن يلاقي الطفل ما لا قاه التقدم الانساني من بطء ونخبط وان يفعل ما فعلته الشعوب من قبل !... »

ولا ريب في أن ثمة قسطاً من الصحة في خطأ كوندياك . فالعلوم والفنون بدأت بملاحظات خاصة . ثم ارتفعت بعد ذلك الى مستوى المبادئ العامة . ولسنا نعارض في ضرورة انتاج هذه الخطوة بنفسها في التربية . فمن الخير أن نبدأ بان نقدم للطفل وقائع خاصة ثم نقوده — خطوة خطوة من ملاحظة الى أخرى — الى القانون الذي يهيمن على هذه الوقائع ويخلصها . ولكن هناك بون شاسع بين طريقة الاستنباط التجريبية هذه وبين مبالغات كوندياك . فليس من المعقول بتاتا أن نلغي تماماً طريقة العرض التركيبية (la méthode synthétique d'exposition) تلك الطريقة التي تلخص في ضرورة الاستفادة من تجارب القرون الغابرة لتعليم الحقائق الثابتة مرة واحدة ومن الخرق أن نحاول إرغام الطفل على أن يبدأ بمفرده عمل القرون مرة ثانية

وأعجب من هذا أن هو اجس كوندياك الفلسفية جعلته يتوهم إمكان اعداد الطفل للتحليل النفسي منذ بدء دراسته فهو يقول : « يجب أن يعرف الطفل منذ البدء ما له من مواهب . وأن نشعره بالحاجة الى إستخدامها » أي ان أول ما يجب أن يفكر فيه الطفل هو التحليل النفسي ومعنى هذا أن كوندياك لا يريدنا أن نعمل على ان يكون الطفل يقظاً بل يريد أن نبدأ بفهامه ما هي اليقظة ! والخطأ في هذا ظاهر . اذ كيف نفكر في أن نجعل من الطفل عالماً نفسانياً صغيراً وان تكون دراسة علم النفس الخطوة الاولى في التربية . أن هذا العلم « هو اكثر العلوم دقة وأصاحبها لحام مختلف الدراسات وتوجيهها » ؟ ...

« ضرورة التباحث مع الطفل » كان روسو قد انتقد فكرة لوك في وجوب « ان نتباحث مع الطفل وان نعمل على أن يستخدم عقله » . فاراد كوندياك أن يرفع من شأن هذه الفكرة وبعيد ثقة الناس بصحتها فقال . « انني اعتقد أن ملكة استخدام العقل تنمو بنمو الحواس . وعلى ذلك فكما أننا نستطيع أن نستخدم حواسنا منذ الطفولة فاننا نستطيع استخدام عقولنا ايضاً منذ هذه السن »

وأساس خطأ كوندياك في هذه الفكرة أنه لا يعترف للملكات الفكرية بطابع خاص بل يقول بان مصدرها جميعاً الحواس . وعلى ذلك فهو لا يفرق بين الاحساس المجرد وبين عملية استخدام العقل . وليس هناك بين المفكرين من وافق كوندياك على قوله « بان موهبة الطفل في الفهم لا تقل عن موهبة الرجل الكامل » وكل ما هنالك ان للطفل منطقاً غريزياً يساعده على إمكان البدء في استعمال عقله . ولكن هذا الاستعمال الطفلي لا يمكن أن يطبق الا على ما ألفه الطفل من



الاشياء المحسوسة الملموسة ، ومن الخطأ ان نحاول توجيهه الى إستخدام عقله في تمييز الاشياء العامة المجردة أو الحكم عليها

﴿ دروس مبدئية ﴾ ونحن نلخص هنا التعاليم الاولى التي يعطيها كونديك لتلميذه تحت عنوان « دروس مبدئية » وعناصرها هي : ١ : طبيعة الافكار : ٢ : عمليات النفس : ٣ : العادات : ٤ : التمييز بين الروح والجسد : ٥ : معرفة الاله

يعجب كل رجال التربية كيف فكر كونديك في وضع هذه النظريات الفلسفية العالية في متناول طفل في السابعة من عمره لما يدرس بعد قواعد النحو والصرف في لغته ! .. ومهما اكد لنا كونديك صحة رأيه فليس من شك في ان خير ما يعرض على الطفل في هذه السن هو بعض الخرافات النافعة وبعض الاقاصيص التاريخية اذا امكن . ويدعي كونديك انه بعد ان علم تلميذه كيف يدرس الطفولة ويفكر في خواصها وجدانها قد تكون أسهل ما يمكن ان يدرسه الطفل من الموضوعات واكثرها اثارة لحب الاستطلاع عنده ! ! ! .

﴿ فن التفكير ﴾ فاذا نصج عقل الطفل بفضل ما درسه من تحليل نفسياني وآراء عامة في التقدم البشري أصبح في نظر كونديك صالحاً لان يدخل مدرسة عادية يسير فيها بحسب نظام الدراسة العادي . وهنا نجد لكونديك بعض الآراء المقبولة . فقد كتب يقول مثلاً : « ان دراسة قواعد النحو والصرف مجهدّة اكثر منها نافعة اذا لقنت للطفل منذ نعومة أظفاره » . ولعل من أغرب الغرائب أن يكون هذا هو رأي كونديك في قواعد النحو والصرف وهو الذي يعتقد ان دراسة نظريات علم النفس في متناول الاطفال ! ! ! .

ويريد كونديك ان يبدأ تلميذه بقراءة الشعر (الفرنسي طبعاً) ويفضل المؤلفين المسرحيين وخاصة راسين ويقول في ذلك « ان على الطفل أن يجيد معرفة اللغة أولاً ولا بأس من أن يدرس القواعد المجردة بعد ذلك » . وقد كتب كونديك نفسه مؤلفاً في قواعد النحو والصرف عنوانه « فن الكلام » . ونصح تلميذه بقراءة ثلاثة من كتبه الاخرى وهي « فن الكتابة او البلاغة » و « فن استخدام العقل او المنطق » وأخيراً « فن التفكير » . وقد اصبحت هذه المؤلفات قديمة على الرغم من ان فيها فصولاً متمعة للغاية وقد عني كونديك في كتابها بتسيق الافكار اكثر من عنايته بتتبع الاسلوب

﴿ اجزاء اخرى من كتاب « دراسات » ﴾ . يظهر ان غرض كونديك الوحيد هو ان يجعل من تلميذه رجلاً مفكراً . وعلى ذلك فهو لا يريد ان يبدأ تلميذه دراسة اللغة اللاتينية الا بعد ان يتكوّن ذكاؤه بحيث لا يجد في هذه الدراسة الا صعوبة واحدة هي صعوبة حفظ الكلمات . وكونديك لا يستسيغ كثيراً اللغات القديمة . ولا يرى ان معرفتها شأناً جوهرياً .



وهو يريد استبعاد اللغة اليونانية تماماً . ولكنه يعلق شأنًا عظيمًا على الدراسات التاريخية ويقول في هذا الصدد عن تلميذه حفيد لويس الخامس عشر : « بعد ان عرف الامير كيف يفكر اصبح غرضه الاساسي الالمام بالتاريخ »

﴿ التفكير الشخصي ﴾ عرف كونديك مكانة التفكير الشخصي ومقامه . فوضع كفاءة الحكم على الامور فوق قوة الذاكرة . وقد يكون فيما سنذكره من كلام كونديك ما يرفع من قيمته كمرّب بعد ما وجهناه اليه من نقد كثير

يقول كونديك : قد يكون للتربية التي يقصد بها تثقيف الذاكرة نتائج باهرة . ولكن هذه النتائج لا تدوم الا مدة الطفولة . وكل من لم يحفظ الا عن ظهر قلب جاهل . ومن لم يتعلم كيف يفكر لا يعد متعلماً او هو نصف متعلم وهذا اقبح بكثير . « ويقول ايضاً : « لا تكون المعلومات نافعة الا اذا كانت ثمرة من ثمرات التفكير . ونحن نعرف الاشياء التي نستطيع ان نذكرها عند الحاجة معرفة اتم من تلك التي لا نستطيع ان نذكرها اذا اردنا . وعلى ذلك فلا يكفي ان تزود الطفل بالمعلومات بل يجب ان نتركه يبحث وينقب بنفسه ليعلم نفسه بنفسه . وان مسألة ارشاد الطفل لهي اهم المسائل . فاذا كان ارشادنا له منتظماً تكوّنت عنده آراء صحيحة وتمكن من فهم نتائجها وعلاقة بعضها ببعض »

ويخرج كونديك من كل ذلك بأن تربية الرجل نفسه بنفسه افضل كثيراً من تربية الغير له ﴿ نقده للاسراف في التبعد ﴾ وقد كتب كونديك صفحات رائعة ضمنها نصائح لتلميذه الامير محذراً اياه من الاسراف في التبعد . ونحن نكتفي بأن نذكر منها هذه الكلمات : « مولاي حذار من الاسراف في التبعد . فان من شأن الدين الاعمى ان يصرفك عما يجب عليك القيام به من الفروض الدينية . واياك ان تصلي دائماً مجرد ان الصلاة واجبة . واعلم ان الفسوسة سيمتدحون تردك على الكنائس لتنتهي بأن تحل محلهم ويحلوا محلك »

### ديدرو

﴿ ديدرو ( ١٧١٣ — ١٧٨٤ ) ﴾ مؤلفات ديدرو خيالية اباحية في بعض الاحيان . وقد يدهش من لم يقرأ له الا هذا النوع من المؤلفات ان يرى اسمه بين اسماء المربين . ولكن هذه الدهشة لا تلبث ان تزول اذا ذكرنا ان ديدرو كان كثير التنقل في ابحاثه يجب ان يجد مواضعاً . فبينما تجد له دراسات دسمة مجعدة . تجد له ايضاً دراسات اخرى سهلة مسلية

﴿ مؤلفاته في التربية ﴾ وعلى اي حال فليس هناك محل للريب . فقد اهتم ديدرو بمسائل التربية فعلاً ووضع كتابين فيها اولها في عام ١٧٦٣ وعنوانه « تفنيد كتاب هلفيتيوس عن



الانسان» وثانيهما في عام ١٧٦٦ وعنوانه «برنامج الجامعة» وهو الكتاب الذي وضعه تلبية لطلب كاترين الثانية وضمنه برنامجاً كاملاً للتعليم

﴿صفاته كمرّب﴾ لم يكن لديدرو الشخصية الطبيعية التي تسمح له بأن يكون مربياً كاملاً ولكن رجاحة عقله وميزاته الاخرى الطبيعي منها والمكتسب جعلته محلاً لثقة كاترين الثانية تلك الثقة التي ظهرت في تكليفه وضع برنامج لتنظيم تعليم الشعب الروسي

وديدرو الى جانب ذلك مفكر عالم متمكن في شتى العلوم . وقد عرف بشغفه العظيم بالأدب وظهر هذا الشغف في اشتراكه في اعمال «الموسوعة» الفرنسية . كما انه كان شديد التعلق بشكسبير وبالنظم الحديث ولكنه كان في الوقت نفسه شديد الميل الى الأدب القديمة الفؤاذية حتى لقد قيل ان قراءة اغاني هوميروس كانت في نظره كترتيل الصلوات في نظر القساوسة ﴿ضرورة التعليم﴾ ويمتاز ديدرو عن معظم معاصريه وعن روسو نفسه بعقيدته الراحسة في اثر التعليم من الوجهة الخلقية فهو يقول : «ان التعليم يرقق الاخلاق ويساعد الانسان على فهم واجبه فهماً صحيحاً . وهو يقضي على الرذائل او يخفيها» . ويستنتج ديدرو من ذلك ان التعليم ضروري للجميع لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير . ونادى ديدرو بضرورة فتح ابواب المدارس لجميع الاطفال على ان يتعلموا فيها القراءة والكتابة والحساب وتعاليم الدين المتعلقة بالاخلاق والسياسة بل انه طالب بأن يكون التعليم اجبارياً ومجانياً بحيث «يجد الطفل في مدرسته خبزاً لتغذيته بجانب ما يجده من كتب لتعليمه»

﴿فكرة التعليم العام﴾ وكان رأي ديدرو ان يعهد للدولة في ادارة شؤون التعليم . ويقول ان هذه هي الوسيلة الوحيدة التي يصبح بها نظام التعليم مستنداً الى اساس قوي متين . وكان مثله الاعلى ان يرأس الجامعة رجل من رجال الدولة يعهد اليه في شؤون التعليم العام بأسرها على ان يهيمن بنفسه على الامتحانات ويعين نظار المدارس ويفصل الطلبة والاساتذة والمدرسين

﴿نقد معاهد العلم الفرنسية﴾ وكانت المدارس الثانوية تسمى اذ ذاك كليات الفنون . وقد وجه ديدرو اكبر قسط من اهتمامه الى نقد الطرق المتبعة فيها . واليك شيئاً من هذا النقد : «لازال رجال التعليم يدرسون في كلية الفنون ما يسمونه الادب الجميلة وليست هذه الادب الا لغتين متيتين لا ينتفع بدراستهما الا عدد قليل من الافراد . والاغرب من هذا انهما تدرسان ستة أو سبعة أعوام من دون أن يصل الطالب الى اتقان إحداها . ويدرسون أيضاً البلاغة وهي فن الكلام قبل تدريس فن التفكير أي أنهم يحاولون تعليم التلاميذ طرق تميمق العبارة قبل أن يفكروا في نزويدهم بالأراء الصحيحة . ولا يزالون يدرسون المنطق ويرغمون الطلبة على أن يحشوا رؤوسهم بدقائق فن أرسطو ونظريته في الاستنتاج التي لا فائدة منها بتاتاً . ولا يزالون يدرسون



الاخلاق . ولا أعرف بالضبط ما يقولونه للطلبة عنها . ولكنني أعرف أنهم لا يقولون كلمة واحدة عن ملكات القلب والعقل وصفاتها . ويدرسون أيضاً ما يسمونه علم ما وراء الطبيعة فيرون بذلك في رؤوس الطلبة مسائل تحوطها الاشواك ولا تؤدي دراستها إلا إلى التشكك والتعصب . ويدرسون علم الطبيعة فيعثرون جهودهم في مناقشات عن المادة . يدرسون كل ذلك ولكنهم لا يقولون كلمة عن التاريخ الطبيعي ولا عن الكيمياء ولا يذكرون إلا بضعة كلمات عن علم وظائف الاعضاء وتجارب الاجيال السالفة والجغرافيا

\*\*\*

﴿الاصلاحات التي يقترحها ديدرو﴾ وبعد أن وجه ديدرو كل هذه الانتقادات الى التعليم في أيامه أخذ يشرح ما يقترحه هو من اصلاحات . فجاء بعضها معقولاً والبعض الآخر خاطئاً كان لديدرو رأي — أخذه عنه فيما بعد أوجست كونت والمدرسة الواقعية — وهو أنه يجب أن تربط العلوم وترتبها بحيث يكون كل علم قائماً على أساس ما سبقه من العلوم ويسهل في الوقت نفسه دراسة العلم الذي يعقبه على أن يكون رائدنا في هذا الترتيب فائدة كل علم بالقياس الى الآخر . ولقد وزع ديدرو الدراسات المدرسية على أساس هذه الفكرة وهو يقول أن ترتيب العلوم من وجهة الترتيب يختلف عن ترتيبها المنطقي . وذلك لان الاتصال الطبيعي لعلم من العلوم بالعلوم الاخرى يعين له مكاناً خاصاً يختلف عن المكان الذي يجب ان يشغله للفائدة التعليمية التي تعود من وجوده في هذا المكان

ولكن ديدرو ينسى أنه في توزيع الدراسات لا يجب الأخذ بمبدأ الفائدة التعليمية فحسب بل المهم أن ترتب العلوم بحيث تتفق وتقدم سن الطفل ونمو استعداداته الذهني ﴿تفصيل ديدرو للعلوم﴾ وعلى الرغم من أن شغف ديدرو بالعلوم لم يكن أكبر من شغفه بالأدب إلا أنه لم يعط للتربية الادبية ما أعطاه للتربية العلمية من الشأن . وقد أخذ بهذا المبدأ بعده كوندوريسيه وأوجست كونت . وديدرو يفضل العلوم الى حد أنه يخصص الخمسة الاعوام الاولى للدراسة في كلية الفنون لتعلم الرياضيات والميكانيكا وعلم الفلك والطبيعة والكيمياء . ويترك ثلاثة الاعوام الباقية لدراسة النحو والصرف واللغات القديمة

ويقول أحد علماء التربية أن خطأ ديدرو في هذا الرأي لا يقتصر على أنه غرض كثيراً من ندر الأدب وانتقص من قيمتها بل أنه وزع الدراسات العلمية نفسها توزيعاً خاطئاً فوضع الرياضيات قبل الطبيعة واعتبر دراسة الجبر اسهل من تعلم القراءة . وانه من الخطأ ان يحجج انتباه الطفل بارغامه على دراسة مسائل عديدة مهمة مجردة تاركين بذلك حواسه من دون عمل . وأن نرجى الى ما بعد ذلك دراسة التاريخ الطبيعي والطبيعة العملية وهي الدراسات التي توافق



الاطفال باعتراف ديدرو نفسه فهو يقول عنها أنها تمرين مستمر لحواس النظر والشم والذوق كما أنها تمرين نافع للذاكرة

ولا يكفي لاغتفار خطأ ديدرو أن نعرف أنه يتكلم عن طلبة كلية الفنون وهم طلبة في سن الثانية عشر إذ أنه لا ريب في أن عقل الطالب في هذه السن ليس من النضوج بحيث يستطيع أن ينصرف تماماً ستة أعوام أو سبعة لدراسة استنتاجات العلوم الرياضية الباردة ﴿ رأيه في ماهية الآداب ﴾ وموقف ديدرو من الآداب القديمة مدهش حقاً فيها تراه يرجي دراسة هذه الآداب إلى سن التاسعة عشرة أو العشرين ولا يخصص لها في هذه السن إلا عاماً واحداً تجده يتكلم عن القدماء وخاصة عن هوميروس في حماسة شديدة غريبة فيقول مثلاً « ان هوميروس استاذ عظيم أدين له بكل مالي من قيمة ان كان لي قيمة . وان دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية هي السبيل الى اكتساب سلامة الذوق »

فكيف نفسر هذا التناقض الغريب في موقف ديدرو ؟ هناك من المؤلفين من يقول بأن ديدرو كان يعتقد ان الآداب الجميلة لا تصلح إلا لتكوين الخطباء والشعراء وانها لا تصلح لانماء ملكات الفكر . ولما كانت هذه الدراسات نوعاً من الزخرف فهي لا توافق الا أقلية صغيرة من الطلاب ولا يمكن لهذا السبب أن تسبق دراسات الغرض منها التربية العامة للناس جميعاً ويقول آخرون ان ديدرو كان يجهل ان هاتين اللغتين اداة عجيبة للتمرين العقلي وانهما اضمن الوسائل وأكثرها سهولة لاكتساب صفات الدقة والوضوح وصحة الحكم وهي صفات لازمة لكل اعمال الحياة

\*\*\*

﴿ رأي مارمونتيل ﴾ ويظهر ان ديدرو كان يعتقد أن دراسة اللغات هي مجرد استدراك مجموعة من الكلمات وانها لذلك لا تصلح إلا لتمرين الذاكرة وتقويتها ولكن مارمونتيل وهو أحد معاصري ديدرو الذين لم يصلوا الى مرتبته في النبوغ وجه الى رأيه هذا نقداً مرّاً وكان اصوب منه في الحكم على فائدة دراسة اللغات عند الصغر . فقد قال :

ان عملية انتقاء الكلمات واستعمالها ، تلك العملية التي تقوم بها اثناء النقل من لغة الى أخرى ليست تمريناً مفيداً لذاكرة فحسب وإنما هي عملية تقتضي تحليل الافكار . وان دراسة اللغات هي دراسة لفن تمييز الفروق الضئيلة بين الافكار ومجزئة هذه الافكار لفهم دقائقها والعلاقة بينها وان حفظ كلمات جديدة من لغة اجنبية ليصحبه دائماً اكتساب آراء جديدة ولذلك فاني اعتقد أن تلاميذ السنين الاولى الذين يدرسون اللغتين اليونانية واللاتينية يتعاملون في نفس الوقت بمبادئ في الفلسفة أعظم ثروة وأكثر اتساعاً وفائدة مما يتصور الانسان



# سياحة الى باطن النجوم

لفخري معلوف

دائرة العلوم الطبيعية بجامعة بيروت الاميركية

قد يعجب القارئ الكريم ، اذا لم يكن ملماً بعلم الفلك ، من نص هذا الموضوع . وكأني به يقول ، ما عسى هذا الكاتب ان يحدّثنا عن داخل النجوم ، أترأه يطلق خياله العنان فيطلع علينا بمأجمة شعرية تصف لنا ما في بواطن الاجرام من احوال ، طمعاً في ان يحل من الخلود محلّ ملتن او دانتي او المعري . والأفك كيف له ان يزعم الحصانة العلمية في مثل هذا البحث وهو يتناول بقعة من الكون هي اقصى ما يكون عن عالم الحس والادراك المباشر .

مهلاً أيها القارئ العزيز ، فقد تقنّع قبل ان نأتي على آخر المقال ، بان هذا الموضوع ليس بغريب عن عالم البحوث العلمية في محاولة اصحابها استجلاء غوامض الكون . وسرى فيه عمل الخيال في فرض ما يمكن ان يكون عليه باطن النجوم ، ثم ترى عمل الفكر الاستنتاجي في تتبع ما يجب ان ينتج حتماً فيما لو صحت النظريات ومتابعة هذا الاستنتاج الى ان يتصل بعالم الحس والادراك المباشر ، وكذلك ترى النظرية التي كانت من قبل محتبّة تحت حجب لا تحترق ، ماثلة امام محكمة الاختبار ، المحكمة التي لا يقر العلم سواها

\*\*\*

﴿ كيف ندرس النجوم ﴾ كلنا يعلم ان نور الشمس عند ما تنكسر في منشور زجاجي ، ينحلّ الى ألوان قوس قزح . وسبب ذلك هو ان النور الابيض مزيج من ألوان مختلفة . واختلاف الالوان معناه اختلاف موجات النور التي تحدث تلك الالوان . ولما كانت زاوية الانكسار تتوقف على طول موجة النور المنكسر . فالالوان المختلفة تنكسر على زوايا مختلفة فيقع أطولها ، وهو الاحمر ، على جانب وأقصرها ، وهو البنفسجي على الجانب الآخر ، وتدرّج بقية الالوان بينهما . وقد اصطلح العلماء على تسمية مجموعة هذه الالوان باللطيف



على اننا لو فحصنا طيف الشمس فحصاً دقيقاً لوجدناه غير مستمر كما يبدو لاوّل وهلة، وانما تقطعه خطوط سود دلالة على ان هنالك موجات ذوات أطوال معينة لم يمكنها ان تتخلص من جو الشمس اذ امتصتها بعض المواد التي هناك . فكل خط اسود معناه موجة مفقودة وكل موجة مفقودة دلالة على مادة معينة موجودة في فلك الشمس . ولما كان من الامور اليسيرة في المختبر معرفة الموجات التي يمتصها كل عنصر، تمكن العلماء من تعيين العناصر التي يتألف منها جو الشمس بواسطة الخطوط السوداء في طيفها . وكذلك تمكنوا من تعيين المواد الموجودة في اجواء النجوم بدراسة اطيافها

لا يكفي ان تبوح هذه الاطياف بسرّ المواد التي تتألف منها اجواء النجوم ولكنها تقضي لنا اسراراً اخرى لا تقل عنها شأنًا : من ذلك انها تخبرنا عن شدة الحرارة في سطوح هذه الاجرام . واليك كيفية ذلك : اذا احمينا قطعة من الحديد على النار ارتفعت حرارتها حتى تصل الى درجة الاشعاع . اذ ذاك نرى نوراً احمر منبثقاً من الحديد فاذا مضينا في احماها رأينا ذلك النور يميل الى الالبيض فالى الازرق . هذه التجربة البسيطة ترىنا ان هناك علاقة بين حرارة الاجسام وبين لون النور المنبثق منها ، ولذلك يتمكن مراقب القبة الزرقاء بالعين المجردة من التمييز بين النجوم من حيث الحرارة ، فكلما مالت النجمة الى الاحمرار كانت اقرب الى البرودة وكلما مالت الى الزرقة دلّ ذلك على شدة حرارتها . على اننا لو اردنا ان نحري هذه التجربة بدقة لحللنا النور المنبثق من الحديد الى طيفه ولوجدناه يقتصر في بادىء الامر على الاحمر فقط ثم كلما ارتفعت الحرارة اتسع الطيف وظهرت فيه الموجات الصغيرة بالتتابع . فدرس الطيف اذن يمكننا من تحديد درجة الحرارة في الجسم المشع

ترى اذن ايها القارئ الكريم كيف ان هذه الاشعاعات الضئيلة التي يحملها لنا الاثير من الاجرام القسوة تحمل رسالات بينة لقوم يعقلون . ولقد اصبح تحليل الاطياف ودرسها ( Spectroscopy ) علماً قائماً بذاته

اطلت الشرح قليلاً في هذه المسألة على الرغم من كونها لا تتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع البحث وما ذلك الا على امل ان افوز بثقة المطالع بالابحاث الفلكية فلا يحسبها كما يفعل الكثيرون مجرد تخيلات وافترافات . بل يرى كيف انها تقوم على اختبارات حسية لا تدع مجالاً فسيحاً للريب . على ان الرجوع بكل المسائل الى جذورها كما فعلت بهذه يجعل من مقالنا كتاباً جسيماً . ولذلك سأقتصر في اغلب الاحيان على ذكر النتائج راساً

لا اخالك تعجب بعد الآن اذا اخبرت ان عالم الفلك يمكنه ان يعيّن حرارة اي نجم تراه بدقة يعجز عنها الطبيب في تعيين حرارة عليله . ولو اتسع امامي المجال لأقنعك ايضاً انه بواسطة



نظرية نيوتن في الجاذبية تمكن العلماء من تعيين اثنال عدد كبير من النجوم بدقة يعجز عنها ميزان العطار . ثم انه بمعرفة مقدار الطاقة المذبذقة من النجم مع معرفة الحرارة على سطحه يمكن تعيين حجم ذلك النجم . وبمعرفة الحجم والقل لجرم واحد يتعين معدل كثافة المادة في ذلك الجرم

\*\*\*

﴿ ماذا نعرف عن النجوم ﴾ يعتقد العلماء ان النجوم تتألف من ذات العناصر التي تتألف منها الشمس . على ان النظام الذري الذي هو اساس اختلاف العناصر المعروفة على الارض ، لا يثبت في ظروف الضغط والحرارة في باطن النجوم ، بل ان الذرة تنفك الى اجزائها فتستقل كل واحدة منها بحركتها . وهذا يعرف بفعل التأين ( Ionization ) وقد كان من نتيجة ذلك ان العناصر الثقيلة لا تظهر في النجوم الحارة ولكنها تبدأ بالظهور المتتابع كلما مال النجم الى البرودة . فلو اقتطعنا قطعة من اي نجم كان وتركناها تبرد حتى تصل الى حرارة الارض لكان لنا منها مواد لا تختلف عن عناصر الارض في شيء

ولقد ادّى درس خصائص النجوم من مثل اثنالها وحراراتها وكثافتها الى نتائج لا تخلو من غرابة كما انها تبعث على التفكير في ما عسى ان تكون اسبابها . من ذلك ان هذه الخصائص لا تصل بالنجوم الا في آماذ معينة ولتين وجه الغرابة في ذلك لا بد لنا من مثال يقربها من مدركاتنا المألوفة . لو سألناك عن مدى احجام الحجارة لما رأيت لسؤالنا معنى . وذلك لان الحجارة ذات احجام لا ضابط لها نعرفها لتناهيا في الكبر او الصغر . فيمكننا ان نجد حجراً ، او على الاقل تخيله ، من اي حجم كان . اما لو كان غير ذلك اي لو ان الحجارة لا تكون الا بحجم لا يصغر البندقة ولا يكبر البرتقالة لكان هنالك مجال للسؤال عن سبب هذا الانحصار ولكننا نبحث عنه في نوااميس الطبيعة . على ان هذا الحظ ان قاتنا في الحجارة فهو لم يفتنا في امر النجوم فانها ذوات آماذ معينة لا تتعدّاها من حيث القل والحجم وشدة الحرارة وشدة اللعان

ثم ان العلماء اكتشفوا علاقات بين هذه الخصائص مما يدل على النوااميس الصريحة التي تقيد النجمة في تطورها وتحفز بالباحث الى استجلاء تلك النوااميس . واليك مثلاً على ما نعي بهذه العلاقات . اننا نعلم ان هنالك نجومًا عديدة حرارة سطحها حوالي ٥٠٠٠ درجة مئوية (ستغراد) ونعلم ايضاً ان هنالك نجومًا عديدة لها عشرة اضعاف قطر الشمس ولكننا لا نعرف نجمة واحدة لها هاتان الخاصتان معاً . مثل هذه المواقفات لا يمكن ان تنسب الى الصدفة وانما هي من المعالم التي تهدينا الى حقيقة النجوم وطريقة تكوينها

ثم ان هنالك احداثاً غريبة نعرفها في عالم النجوم . من ذلك نجوم ذات لمعان متغيّر يتضاءل نورها ثم يزايد وهي تسير في تغييرها على نمط واحد وفي مدّة ثابتة لا تتغيّر مما يدعو العالم المفكر



الى السؤال عن سبب قلق هذه النجوم واذا توفّق الى الجواب عاد يسأل عن سبب ثبات النجوم الاخرى وعدم تغيّرها . وهناك نجوم اخرى تكون الواحدة منها في بادىء امرها ضئيلة غاية في الضآلة تكاد لا تدرك بأعظم المراقب واذا بها تتحوّل فجأة الى نجمة من اشد نجوم السماء لمعاناً فكان انفجاراً هائلاً حدث فيها وتبعه انهيار غير عادي من الطاقة الحرّرة . هذا ايضاً من الاحداث الفلكية التي تنتظر حلاً في نظريات العلماء عن تكون باطن النجوم

عساك تدرك الآن ايها القارئ العزيز ، بعد انعام النظر في ما مضى ان بحثنا في تكون بواطن النجوم ليس من نوع التخيلات الشعرية التي لا تدحض ولا تؤيد ، بل ان نظرية يمكنها ان تعلل لنا سبب اختيار النجوم للاماد المحدودة التي تختص بها من حيث الثقل والحجم وشدة الحرارة وشدة اللمعان ، وتظهر لنا علاقات هذه الخصائص بعضها ببعض منطبقة على ما نعرفه عنها بالمشاهدة ، وتطلعنا على اسباب الاحداث التي تعرض للنجمة في بعض اطوارها — اقول ان مثل هذه النظرية لا يمكن ان تكون خلواً من بعض انوار الحقيقة

\*\*\*

نظرية ان النجوم كتل غازية ﴿ يقدر العلماء وزن الشعاع الذي يترك سطح الشمس (والشمس احدى النجوم العادية) في اثنائية الواحدة بأربعة ملايين من الاطنان، هذا المقدار الهائل من الطاقة يفات من سطح الشمس وينطلق في الفضاء موجات كهربية بسرعة ثلاثمائة الف كيلو متر في الثانية . على ان هذه الاشعاعات لا تتكوّن على وجه الشمس كما يبدو لاوّل وهلة ولكنها تولد اولاً في الاعماق السحيقة ولا بدّ لها قبل تحرّرها النهائي من صرف بضعة مئات من السنين في عراك مستمر مع جزيئات المادة التي تتكوّن جسم النجمة . فينأى نراها منطلقة في اتجاه معين اذا ما تصطدم بذرة من ذرات المادة تمتصها وتسير بها ثم يحدث ما يجعلها تنفلت ثانية من قيد هذه الذرة لتسير الى مغامرة ثانية . مثل هذا التصادم قد يحدث لها الف مرة في (١٠) من الثانية ويستمر مدة لا تقل عن بضعة مئات من السنين ولا ينتهي الاّ بأن تصل هذه الموجة صدفية الى سطح الشمس فتطلق بسلام الى اللانهاية ما لم تقع في قبضة جرم آخر كالارض مثلاً وهذا نادر جداً

واذا ذكرنا ان موجات النور وما شاكلها من الامواج الكهربية ، تحدث ضغطاً في جهة اتجاهاها وان هذا الضغط ، وان يكن زهيداً بالقياس الى مقادير الشعاع الضئيلة التي تضطر الى قياسه بها عند سطح الارض فانه متى بلغ تلك المقادير الهائلة في النجوم كما ذكرنا يصبح ذا



شأن لا يستهان به ، بل انه بحسب نظرية ادنغتون Eddington من العوامل الرئيسية في تكون النجوم على ما هي عليه

في مقدمة الذين بحثوا امر تكون النجوم الفلكي الشهير لاين ( Lane ) الذي نشر بحثه سنة ١٨٧٠ فقد عالج لاين النجمة على انها كتلة غازية ولكن في زمانه لم يكن يعرف نجوم لها كثافة تلائم مع الكثافات التي نعرفها للغازات . فعدل كثافة الشمس مثلاً ١٠٤٤ غرام للسنتيمتر المكعب اي اكثر من كثافة الماء بأربعين في المائة . ولذلك نظر العلماء الى اجاث لاين على انها ذات شأن نظري ولكنها لا تنطبق على الواقع . غير انه بعد زمن لاين اكتشفت نجوم ذات كثافات غازية بل ان منها ما تبلغ به اللطافة الى حد هو اقرب الى الفراغ المطلق من اي فراغ يمكن احداثه على سطح الارض . مثل هذه الاكتشافات شجعت الباحثين الحديثين على درس الكتل الغازية ثقةً منهم ان مثل هذا الدرس ان لم ينطبق على جميع النجوم فهو ولا شك منطبق على بعضها

نسائر أدنغتون في تفكيره . فهو يفرض كتلة غازية كروية الشكل ويأخذ طبقة كروية من هذه الكتلة على بعد معين من مركزها . في النجوم العادية ذوات الاحجام الثابتة نفل هذه الطبقة على حالها دون تقلص او تمدد مما يدل على ان القوى المختلفة التي تعمل عليها انما هي في توازن . ما هي تلك القوى ؟ هنالك اولاً قوة الجذب المركزية التي لو تركت لتعمل وحدها لاحدثت تقلص الكتلة وبتدّت كيانها . وهنالك قوة الدفع الناجمة عن مجرى الاشعة وهي اشبه شيء بريح عاصفة في قلب النجمة . وهي لو تركت لتعمل وحدها لنثرت النجمة في الفضاء اللامتناهي وبتدّت كيانها كذلك . وهنالك اخيراً قوة الضغط الغازية في داخل النجمة وهذه ايضاً لو تركت لتعمل وحدها لادت بالنجمة الى الانتشار اللامتناهي . اذن فالنجمة الغازية ليست غير توازن بين هذه القوى

وضع ادنغتون المعادلات التي تمثل توازن هذه القوى وتابع نتائجها الرياضية فأدت به الى ناموس يربط شدة لمعان النجمة بكتلتها او بمقدار المادة المتجمعة فيها . وقد عزّز الاختبار نتيجة هذه المعادلات فان النجوم اللطيفة وجدت مؤيدة لهذه العلاقة بين الكتلة وشدة اللعان

وقد احبّ ادنغتون ان يختبر مقدار شدوذ النجوم ذوات الكثافات العظيمة عن هذا الناموس الغازي ( العلاقة بين الكتلة وشدة اللعان ) فكانت النتيجة المدهشة ، وذلك ان كل النجوم العادية كائنة كثافتها ما كانت لاتحيد عن ذلك الناموس . ما عسى هذا ان يعني ؟ أيمن ان تكون النجوم ذوات الكثافات المعدنية غازية في تصرفاتها ؟ هذا ما سنتناوله في مقال تال ان شاء الله



# خيري

## الشاعر والفنان

لحليم متري

أدركه الموت منذ أسابيع في لبنان رحمة الله عليه  
لم يستطع أن يغالب الموت وان يظفر من الحياة بالشفاء . بل استبطأ الموت حيناً ، يوم  
اعتزم الرحيل الى لبنان ، فترك مصر معتلاً ليأخذ حظه من الصحة والنشاط . فاذا استقر هناك  
عاد إليه هذا الشبح الخيف متقدماً نحوه رويداً رويداً ، متهمزاً فرصة كهذه الفرص التي ينهزها  
الماكرون . فاذا ألحت عليه العلة وضعف الامل في الشفاء ، فقد جثم الموت على فريسته وعاد  
كأنه لم يشعر أحداً بسوء ولم يختطف من المصريين شاعر الفرنسية الموهوب وفنان الموسيقى  
البارع الذي عرفته فرنسا ومجده قبل أن يذيع اسمه في وادي النيل  
أردت أن أدعوه كما أحب وكما كان يفرض اسمه على أصحابه من الادباء والفنانين فرضاً .  
كان رحمه الله قوي النفس والشعور ذكي القاب في عينيه هذا البريق الذي يدل على عبقرية الفنان .  
إذا تأملته تصورت شاباً زاخراً بالحياة مليئاً بالقوة . وإذا ما جلست إليه لحت وجهاً يفيض  
احساساً بالوجود واستقصاءً لمكنوناته وانك لتحكم عليه للنظرة الاولى بأنه شاعر او فنان وأنه  
لا بد وان يمت للأدب بصلة . يتحدث اليك في رفق ولين . تحس حديثه عذباً حلواً فيه هذه  
الجوانب التي تجب للسامع الاسترسال والتعمق والرقّة والتي كانت تتيح للشاعر ألواناً متباينة من  
الآراء والخواطر

نشأ الشاعر خيري في جوّ اريستوقراطي من هذه الاجواء المشبعة بالتقاليد فظل طيلة حياته  
محافظاً شديد الحرص على التقاليد الاجتماعية . على انه في نزعاته العامة كان يكره هذا النوع من  
المحافظة . وكان يمج هذا الضرب من الاريستوقراطية . كانت هذه المحافظة تنسب اليه وبشاء هو  
ألا ينسب اليها . كان اذن ديموقراطياً بل حراً الى أقصى حدود الحرية . لم تجن الاريستوقراطية



على حياته فتفسدها . وأما كانت الارستوقراطية عوناً للشاعر على هذه العزلة التي يمنح اليها بعض الشعراء والأدباء

نشأ خيري إذًا في هذا الجو فأرسله ذووه في حداثته الى المدارس الفرنسية فشبَّ وهو مولع باللغة الفرنسية والأدب الفرنسي . وكان يقبل الى هذه المجالس الأدبية التي كانت تعقد في دار أبيه . وهناك تعرّف بالشاعر المصري الحيد « اسمعيل صبري » الذي كان يتبادل وياه أحاديث الأدب والشعر . ثم تشوَّق الى معرفة أديب الفرنسية المصري وشاعرها الأمير « حيدر فاضل » وكثيراً ما دعاه الأمير الى قصره ، فتوطدت بينهما هذه المعرفة التي قامت على الأدب . وهكذا بدأ شاعرنا — خيري — في شبابه الأول يدرس شؤون الأدب ويستوعب حياة الشعراء والأعلام ويعتشى المجتمعات الأدبية التي تضم طوائف مختلفة من الناس ليشهدوا كل ما يُطرق فيها من موضوعات الأدب والفن . حتى اذا قدَّر له أن يسافر الى باريس قبل الحرب تعرّف بجهرة الأدباء والشعراء والصحفيين وعاش هناك فترة طويلة نشر في أثنائها كثيراً من نقاشات راعته ونتاج عبقريته شعراً فرنسياً عليه هذه المسحة الشرقية الوضاعة بل هذا الطابع المصري القوي . وكان يختلف الى صالونات الأدب والشعر في باريس ينهض بمقارعة أنداده من الشعراء والكتّاب حتى تبنوا هذا الأسلوب « الكلاسيكي » في شعره . وكانت له جماعة كبيرة في يوم من الأيام تحدث عنه وتشيد بأدبه وكانوا يعنون ببحث خواص شعره وتحديد أسلوبه . فثم من كان ينقده ومهم من كان يعجب به . ثم عاد الى مصر بعد أن أصدرت له بعض دور النشر طائفة من دواوينه . فتقبلتها الاوساط الأدبية بالنقد والتقييظ . على أن « خيري » كان من هؤلاء الشعراء الذين تخطى شاعريتهم أفق مداركهم . فتراهم يصيبون من المعاني الرفيعة ما يقصر عنها جهد الشعراء المفكرين . كان لا يعمل الشعر ولا يصنعه ولكنه فيض من الشعر الفرنسي يفاض عليه في أسلوب جذاب وفكر موهوب . ولقد كانت تلتج الصور الرائعة في نفسه ، فيخرجها في المعنى العالي واللفظ الخار . فما كانت له اللغة الفرنسية بالشيء الشامس . ولقد ظفر الشعر من « خيري » بهذه المناحي النفسية العميقة التي يحملها عقل الشاعر ونفسه معاً والتي يعرض فيها الشاعر أنحاء من التفكير العميق في أبلغ صورة للعاطفة المتقدمة . لم يفهم الشاعر من شعره الا هذا التوافق المعنوي في امتزاج عقله بعاطفته . لم ينكر العقل ولم ينكر العاطفة وانما كان العقل في شعره قوياً فغموضاً . وكانت العاطفة في شعره قوية حياشة فلم تستدق كما استدق العقل على القارئ وأما استقلت العاطفة بالوضوح . ولقد كان هذا وحده حديث النقاد اذ لم يفهموا معنى لهذا الغموض . ولم يتعرفوا وجوهه وإنما هو بعض ما استوى للشاعر من قوة في الإخراج وابتداع في المعاني . وكثيراً ما تقدم اليه أقطاب من أدباء الفرنسية يسألونه فيم هذا النوع من الإبهام فكان يُرسل فيهم من بلاغته



ووفرة محصوله ما دعاهم الى الاعتراف بهذا الانجاز الشعري المعنوي وما يضمره من بلاغة رفيعة. ولقد انعقدت بلاغة « خيري » بتقصي ما أُوثر في شعره من نسج متلاحم ولفظ متمق . وجماع القول في هذه الناحية ان شعره يتميز بالتجويد اللفظي يحمله العقل أخيلة رائعة عميقة المعنى وهذه الشاعرية المصرية الصميعة حفلت بضروب من شدة الفطنة وصفاء الذهن ورهافة الحس ودقة الذوق ولقد غلب على شعره هذه الناحية الحزنية الصامتة التي يحلوها الظلام ويكسفها الصباح... ولعلك تستطيع ان تلمس هذا الحزن اذا قرأت قطعاً أو ابياتاً من قطع في ديوانه. ولأدراكك على روعة هذه القطعة التي يقف فيها عند القبور فيطيل الوقوف والتي اسماها « صفصافي » حيث يستجمع من طبيعة هذه الشجرة درساً بليغاً في فلسفة الأبدية وجلال الفناء... وفيها يقول « أما انت اينها الصفصافة الساكنة الكثيبة . المنعزلة البعيدة عن مباهج الحياة المنزوية في ركن الوحدة . فلا يطرق اذنك سوى تهديدات وأنات اولئك الاحياء الباقين . وزفراتهم المؤلمة المتساقطة من اعماق نفوسهم المتفجرة وهذا النشيد المميت الذي سيودي بك يحيي بحزن اغصانك المنتجة الباكية فكأنها بهذا التدلي الأبدى تتقبل الآلام المنبعثة من قلوب الاحياء المنفطرة . يا صفصافة دموعنا . يا صديقة متوسدي الثرى قد يكون انحناؤك على اجداث الموتى فوق زهور الراحلين . ذات الاكام الثلجية . حناناً منك ورأفة فتميلين لتسكي على تلك الارض الغامرة . شأيب السلوى . وتقيضي عليها حنانك ورحمتك » . او قطعته الخالدة العظيمة « الانفعال النفسانية » او قصيدته المتفردة « الأرواح العائدة » التي يقول فيها « اينها الروح الحائرة . يا روح الأم المتبخر عطفاً . السعيد بهذا العطف . ليسهر في بكائه على ابنه العزيز بغمرة الحب الاموي القوي . الذي لن ينتهي الى حد . انك الروح المحب الذي يعذبه ابداً . ذلك العطف الذي تتساقط اوراقه في قلب تقي لا يعتريه ندم ولا وخز ضمير . أجل ان الارواح تمسنا في جوف الليل الهادىء . ولكن في نهارنا الذي يملأه النسيان الجنوبي الكثير الصخب تطاير في أغلب الاحيان أعز ذكرى لها . تطاير الرماد تذروه الرياح . فتعفو آثارها متغلغلة في طيات القدر المحتوم » . ولعل هذا الأثر النفسي في شعر « خيري » يرجع الى فقدته أمه فكانت صدمة القدر لشعوره باعنائاً للآلم الممض . نعم ان جمالاً روحياً كان فيما مضى يتوج الكائنات قد ذهب الى حيث لا يعود وأحس الشاعر نكراً من الدهر . وتقبلاً من الزمن... كان عصر الصبا صباحاً عليه الندى نظماً ونثراً فلما جاء الهجير جف الندى وغاض الصباح » . أليست الطبيعة خالاً... بل أليس الوجود فناءً . تمثل الشاعر امه لذة روحية طواها الدهر واصبح نصيبه منها الذكرى يودعها اشعاره وخلجات نفسه . وكان يلدثر من حديث الحزن والالام . بل كان يتخيل احزان الناس واحزانه ويجد لذة وصبراً في هذا . ولقد يقف عند الشعراء البائسين الذين لم يصيبوا حظاً





فہری



من لذة أومعة فيقرأ فيهم صفحة من كتاب الحياة الزاخر بالألم والحافل بالرهبة. بل يقرأ فيهم اثر هذا الألم. بل انه ليقراً في حياتهم هذا المعنى العظيم ألا وهو ان المجد يشيد هيكله على القبر ويرفع ناره من رفات الفحول .. ولعلي أرى «خيري» يتحدث بلسان «شلي» القائل «علمتنا الاحزان نظم القصيد فأهدينا للناس في نفحات الشعر ما تلقيناه على ضربات الألم والشقاء»

ظل خيري في مصر الى ان وضعت الحرب اوزارها فتركها الى باريس حيث الجمال والادب والموسيقى وهناك قابل الشاعر بعض اصحابه من الادباء. وهناك بدأ شيئاً جديداً من هذه الحياة العقلية الممتعة واستأنف نشاطه الادبي فكان لا يفتقر عن وضع شعره وكان يؤم الصالونات الادبية التي حرم منها الادب طوال الحرب حيث تعالج فيها قضايا الادب والفلسفة والفن حيناً وشؤون السياسة احياناً. وقد عرفه صالون «فالنتين ديسان بوا» وصالون «البرنيس دي نواي» وغيرها. وقد كانت هذه الصالونات محطاً لرواد الادب والعلم واصحاب الفنون يقابون فيه وجوه الرأي ويتباحثون فيما بينهم هذه الابحاث الطويلة المنتجة عن حياتهم العقلية والاجتماعية. وكان الادب في عرف طائفة منهم عرضاً يتكيف ويتكون طوعاً لعقلية الكاتب ومدى ثقافته وشعوره بالحياة. وكان الفن ابضاً عند طائفة منهم عرضاً يتكيف ويتكون بطبيعة ما وهب الفنان من ذوق واحساس والهام. ولقد كان الجدل ينشأ عن هذه النظرات التي يراها الادباء وعن هذه المناحي من الاستنتاجات والعوامل الفكرية المتباينة التي تتناول حظاً غير قليل من تفكيرهم ووقتهم. ثم يذيع هؤلاء الادباء او المفكرون نتائج ابحاثهم في الصحف والمجلات وتنتشر هذه البحوث الضافية هنا وهناك وتزداد الحياة العقلية نشاطاً واثاراً واستمرت الحال على هذا النحو الى ان ظهر في باريس عقب الحرب هيئات ادبية ناشئة يتزعمها طائفة من كتّاب الشباب وبعض زعماء الرأي الادبي كما كان يتزعم الشعر ايضاً بعض قاداته من الذين اغرم بهم وبادبهم الشباب وفي طليعة هؤلاء القادة الكاتب الشاعر العظيم «بول فاليري»

كان ادب هذا الشباب وضعاً جديداً في الحياة الاجتماعية من حيث هي. وقد قام هذا الوضع على ما تخاف عن الحرب من عصف بالاخلاق والتقاليد. فهم الادب والحياة على انهما شر محض وان الفساد الاجتماعي اخض ما يمتاز به الخلق. وفهم الادب والحياة على انهما عناء يراد به السخرية. ليس هنالك مثل اعلى كما يقولون لان النقص الخلقى والنفسى يشرفان على كل شيء وسيخرج الناس من هذه الحياة كما دخلوها لا سبيل لهم في اصلاح ولا سبيل لهم في تدبير لاهم قد لا يستطيعون اصلاحاً او تدبيراً. وانما هي الحياة التي تملك الاصلاح والتدبير معاً. فليطمئن الناس اذن الى هذا الفساد الشامل وليتكفوا الحياة على هذا النحو وليتدبروا شؤونهم على هذا الوجه فقد آن المجتمع ان يعلم بالحقيقة الواقعة في ان اخلاق الجيل السابق وآدابه وسياسته لم



نتج إلا حرباً وبيلة ولم تؤد إلا إلى شر كبير فما شأنا إذن بالتقاليد والاخلاق ؟ وما شأنا إذن بهذه النظريات الخلقية التي تمثلها في المُثل نحوها ونسير عليها . فلندع هذا . ولكن لنا هذه الرغبة الملحة في الاستمتاع بالحياة . فقد وجب على الانسان المفكر أن يسخر من الظروف لان الظروف تسخر منه . وقد وجب على الانسان المفكر ان يتخذ المادة غنواً لحياته الاجتماعية بل يتخذها سبيلاً لحياته بوجه عام . كان هذا بعض ما غمر أدب الشباب وبعض ما استولى على نفوسهم من شعور . ولعل هذا النوع من المنطق في تفهم الاجتماع كان شديداً غاية الشدة وكان مسرفاً الاسراف كله . كان ثورة فكرية عامة تناولت الأدب ونخطته الى شؤون الحياة بوجه عام . لم تكن هذه النزعة في فرنسا فقط إنما كانت تحتاح العالم الفكري في أوروبا على الإطلاق . ولقد كان الأدب التمثيلي لسائناً من هذه اللسان التي تنطق بهذه النزعة الجديدة . فوضع المؤلفون قصصاً تمثيلية ان كان قد حوى هذه المناحي العديدة في الرأي ومظاهر التفكير وتطور الاجتماع مما لم تألفه النفس وقد لا يقره العقل على انه حوى جمالاً فنياً رائعاً لا سبيل الى انكاره ولا سبيل الى جحده فقد صور المؤلفون الحياة صوراً غاية في النكر والسخرية . بل كانوا يصورون الحياة صوراً ثائرة على الدين والخلق ترمي الى الالحاد والاباحية . وان قامت على التحليل النفسي كقصص « ليتورمان » المؤلف الشاب . ولقد اعتمد الادب المسرحي فيما اعتمد ايضاً على طائفة من الاسرار الخطيرة التي كانت من العوامل الهامة في اثاره الحرب واستمرارها والتي استدلت بها بعض الأدباء على اخلاق العظماء ممن كانوا يسيطرون على الحياة الاجتماعية والسياسية للامم والشعوب وكان المسرح يصور للناس ما كان يسود هذه الاخلاق من دسائس ومساوئ اجتماعية منكرة وما كان يجبهه الناس عن عظائمهم من مهازل كانت الحياة استنتاجاً لهذا البعث الجديد من التفكير وكانت الحياة وسيلة صالحة لتطور الحياة العقلية ان خيراً وان شراً . وكانت الحياة مثاراً لعبث النقاد وتهكمهم وكانت الآراء الادبية الحديثة موضوعاً يشغل الناس في حياتهم العامة كما كانت الحرب تشغلهم ايضاً . وقد كانت هذه الحرب التي اساءت الناس في انبائهم واموالهم شراً لا خير فيه فانها لم تترك قديماً صالحاً ولم تؤد الى جديد ممتع وانما كانت سبباً مباشراً لطفرة في التفكير العقلي والاجتماعي ولثورة ما كان احوج الناس بعدمها . واخيراً اتخذت الحياة في ادب الشباب على أنها أسلوب لا بد منه في سبيل اللذة والمتعة والاستخفاف بالخلق

ظهر هذا كله في أدب الشباب الذين كتبوا في اعقاب الحرب الكبرى . والذين احتالوا الى نشر آرائهم بصور سريعة خاطفة لم يكن للناس بها عهد مما أدى الى ثورة فكرية في الأدب والحياة والاجتماع ، وما أحدث هذا النضال القوي بين أدباء الجيل القديم وأدباء الشباب . أما الذين



هبنوا على الحياة الأدبية قبل الحرب فطائفة من أعلام الأدب والشعر وأصحاب الاجتماع ممن يقيمون للحياة والأدب وللإجماع والفن ألواناً من الرأي مستقرة ثابتة . يفهمون الحرب على أنها ظاهرة طارئة عاجلة لا تؤدي بهم الى تغير ايمانهم في حياتهم العقلية أو حياتهم العامة . وكانوا لهذا يسخرون من هذا التفكير الحديث الذي يصدر عن أدباء الشباب . وكانوا يعيشون بهذا الادب في صالوناتهم الأدبية وعلى صفحات الكتب الخاصة والجرائد . غير ان الشعر تمثل أسباً جديدة وأخيلة جديدة ووسائل مستحدثة . كان يقرها شاعرنا حيناً وينكرها أحياناً . فقد كان يقر الشعر الدراسي القوي الذي يصور الحياة الواقعة أو هذا الشعر الحسالي العاطفي . كان يقر الشعر الطبيعي . وكان ينكر على « پول فاليري » بعض قصائده التي تصدر عن عقله والتي لا أثر لنفسه فيها إلا قليلاً . كان صاحبنا ينكر « المادية » التي تطبع الشعر والتي تجعل هذا الفن العالي جسماً من غير روح . كان اذاً يتخذ صور الحياة الطبيعية مقياساً لأدبه ونقده في الحياة . ولقد وفق « خيري » الى نقد هذا الادب الحديث فنشر طائفة من الابحاث النقدية في أمهات الصحف الفرنسية يصور فيها الادب كما هو لا كما ارادته هذه الطائفة من أدباء الشباب والادب الشعري بوجه خاص . فكان هذا باعثاً له على التقدير . وكانت هذه المقالات باعثاً أيضاً لطائفة من الكتاب والأدباء على تبيان الادب الرفيع الرائع وما زال النزاع قائماً بين أصحاب القديم وأصحاب الجديد حتى أحدثت الحياة آثارها وانهت الشباب وأدب الشباب من هذه النزعات التي لم تكن تخلو من اسراف والتي لم تكن تخلو من تهوؤ . والتي لم يكن لها بد من استقرار وهدوء . على ان شاعرنا لم يكن ليغفل حظ بعض كتاب الشباب وشعرهم من الاتاج القوي الحي الذي انتهى به أدبهم أخيراً . فقد أعجب بهذا الأدب اعجاباً لا حد له ولقد أطرى الشباب كثيراً بل أتيح له أن يقصد الى طوائف كثيرة منهم يحضر اجتماعاتهم ويتنقل وياهم الى هذه الابحاث العلمية المنتجة . وكانوا يمجدون فيه هذا الروح الوثاب الذي عماده البحث والاطلاع والذي سبيله التدقيق والتحقيق

وقد قام الشاعر بجمع « ديوانه » فأكملت نشره بعض المكاتب في باريس . وحدث ظهوره أثراً بعيداً في نفوس الشعراء والفنانين لما تناول شعره كثيراً من الابحاث المصرية الأثرية الخالدة وهو كمصري يستشعر الروح المصرية النبيلة كان مسوقاً بهذا الالهام الابدي الى استنجاح الصور والأخيلة التي عبرت بأجلى بيان عن عظمة المصريين والتي صورتهم كأنبال شعب عرف الحضارة الاولى . . .

والآن اذ أتصور « خيري » الناثر أرى رجلاً آخر يختلف اختلافاً ينيماً عن « خيري » الشاعر . فهو في نثره ينجح الى المنطق والحكمة يتزود بهما في استنتاجه ومقاييسه . لا ترى في



أسلوبه النثري إلا هذا الحديث المرتب والآ هذا التحليل المقرون بالتفكير والانسجام. قرأت له آخر موضوعاته النثرية عن الشاعر الموسيقار الخالد « ريشارد فاغنر » فتصورته كاتباً غني العقل . خصب القلب . حازم النفس لا يخلو تفكيره واستنتاجه من هذه الرشاقة التي تميز بها نفسية الشاعر . وقد يكون « خيري » في نثره مقلداً . لم تكن الابحاث العامة لتظفر منه بموضوع من الموضوعات إلا في جهد وعسر وإلا في الجاح وضيق . لأنه اعتاد إخراج انتاجه بالشعر أو ما يشبه الشعر بل اعتاد ان يتحدث عن هذه الخواطر النفسية التي يعالجها الباحث او الفنان. فيسرها الى اصحابه ولا يعنى بتدوينها إلا اذا التمس القلم عوناً له على ذلك . وإلا اذا رغب في إثبات ما يرتاح اليه عقله ونفسه . على أنه كان يتروى البحث ولا يتعجل الحديث . يكثر من التفكير ولا ينحو نحو السرعة بل هو الكاتب المجلى الذي يظفر باعجاب نفسه قبل ان يظفر باعجاب الناس . ولعله كان يكتب لرغبة نفسه قبل ان يكتب شيئاً للناس . والناس ما برحوا يقصدون بالاعجاب لا من يفعل ما يقصد بل من يبلغ غاية الاحسان فيما يحسنه الكثيرون !! ولقد كان يعرض شاعرنا الى شيء من تحليل النفس وتفسير القوى العقلية في طبيعة من يتحدث عنه . فيتناول الحديث اطرافاً بعيدة من عمق البحث وقوة الاستنتاج . وكان يرجع ظروف الحياة والمقابلات التي تعرض للانسان والحوادث وتعديلات وجودها الى نشأة الانسان الاجتماعية والى هذه العلاقة المحتمة بين تفكير الشخص ومنهاجه العملي في حياته بوجه عام. وهذا ما كان له ابلغ التأثير في أسلوب « خيري » النثري . ولعل هذا ما يدعوا الى قيمة ما كان يذيعه خيري من آثار أدبية

\*\*\*

### الفنان

أحب أن أتمس هذا المعنى العميق الذي يعرض له الشاعر العالمي « شلي » عن الادب لارفعه خالصاً الى الفن . فقد قال : « ان الادب تسجيل أقوى ما ينتجه العقل في أسعد لحظات النفس » والواقع اذا كان الادب تسجيل العقل فالفن وحده تسجيل العاطفة والروح . وكل ما في مكنة الفنان نفسه أن ينتج بدعة فنية . حتى لكأنما قد تناولت يد خفية عظيمة كف الفنان فدفعها بريشتها او منقاشها أو أية أداة أخرى الى ابتكار فذ أو معنى جديد . فلن يكون الفن خالصاً اذا لم يُعَنَّ بالابتكار والانشاء لا بالتقليد أو الاحتذاء . والفن في طبيعته سرٌّ من أعماق أسرار الحياة بل هو سر في الطبيعة نفسها وان كان ملموساً للرأي في ثنائياها . لأنه فكرة عن الجمال أو الحقيقة . بل فكرة الطبيعة عن نفسها !! فالعالم يحيط به ألوان كثيرة من الجمال ولكن الفنان وحده هو الذي يؤثي البصر الصافي لا كتناه المعاني والصور . وهو صاحب الذوق الرفيع في فصل



الشيء من بين أنواعه الماثلة له . وانتزاع المظهر الواحد من بين مظاهر الجمال المنوعة التي تقف عندها مأخوذون حارّين . وعلى قدر تغلغل نفس الفنان في أعماق الفكرة التي يجتليها يكون مبلغ القدرة من الافتنان وحد الإعجاز . وهذا ما كان يفهمه « خيري » من الفن . فقد عاش « خيري » للفن . بل كان الفن عنده فرح الحياة الصادق بل مطلبها الأكبر . بل كان الفن عنده إيماناً يؤمن به . وكان من أصحاب النظرية القائلة « الفن للحياة » وكان شديد الكلفة بتوجيه الفن وإطلاقه في الحياة . لأنه غذاء الشعور والمثل الأعلى للعاطفة الجميلة . لم يصرفه شعوره عن هذه الحياة الفنية التي كان يحياها بل التي كان يفني فيها حواسه وعواطفه . بل حببت إليه هذه الحياة « الموسيقى » . على أنها أبلغ المعاني الصامتة في إثارة المشاعر الانسانية . وطفق « خيري » يدرس الموسيقى درساً مفصلاً ويدرس ألحانها ومقطعاتها وأصولها . ثم أخذ في درس أعلام الموسيقيين والمؤلفين الملحنين . يتبعهم في مناحي إنتاجهم الى ان ظفر بخلاصة وافرة ومحصول كبير في هذا الفن

فكان ملمساً بما يقال عن الموسيقى وبما يتحدث به الفنانون عنها . وكان يُكثر من زيارة المسارح الصاخبة بالحياة الموسيقية في باريس بل كان يؤم هذه المهرجانات التي تقام تحية لكبار الموسيقيين حيث تُوقع فيها أعمالهم الموسيقية . كان « خيري » من هذه الفئة المعروفة لأعلام الفنانين في الموسيقى أشاد به غير واحد منهم بل تحدث عنه الموسيقار الكبير « استرافسكي » في بعض أحاديثه الفنية التي كان يلقيها في صالون (سان پوان) بباريس . قال عنه أنه ( الشاعر الصري الذي يعرف حقاً معنى الموسيقى . والذي يفهم الموسيقى على أنها اعشق الفنون اتصالاً بالنفس الانسانية ) . كان خيري بارعاً بالبراعة كلها في التوقيع على ( البيانو ) وقد كان يجتمع الكثيرون من اصدقائه ليستمعوا إليه . بل لينصتوا الى هذه الأنامل التي تجمع فن ( تيهوثن ) الرفيع ملقياً اليهم بعض « سيمفونياته » الخالدة . كان اذا وصل للتاسعة منها بدأ هذا الجلال الفني ظاهراً متشلاً روعة التوقيع مرتفعاً بالنفوس الى سماء البقرية والخلود . ولقد اقبل « خيري » على فن « فاجنر » إقبالاً لا حد له . لأنه التمس في « فاجنر » هذه المذاهب الموسيقية المتعددة التي تحدث الى العقل والقلب معاً والتي تجعل من الموسيقى فلسفة واقعة تحيط بألوان من العاطفة والتفكير تحدث عن الحياة والاشخاص وتحدث الى اصحاب التفكير في قوة التفكير والى اصحاب النطق في دقة المنطق . بل تحدث الى هؤلاء جميعاً حديثاً ملؤه الروعة والافتنان . هذا الحديث الذي لم يصل الى مثله شاعر موسيقار « كتمانجر » بل لم يتسن لفنان ان يذهب في الفن الموسيقي هذه المذاهب العقلية المحكمة التي تلي على العقل الانساني والعاطفة الانسانية جماع التفكير وبواعث الاهتمام والاعجاب



قضى « خيري » سنوات طويلة يدرس فن « فاجنر » الموسيقى حتى استطاع أن يبيّن عن « فاجنر » دراسة مستفيضة ألم فيها بما يجب أن نفهم عن حياة هذا الرجل العظيم . ولن ينسى من ظفّر بسماع محاضراته في « معهد الموسيقى الملكي » في مصر منذ عامين كيف عالج « خيري » « فاجنر » وكيف تناولته كشاعر من هؤلاء الشعراء الذين لا زمهم البؤس وتكرت لهم الحياة . وتناولته كفنان من هؤلاء الفنانين الذين سخر منهم صغار العقول وسفهاء الاحلام . حتى أنه لم يستطع امامهم البقاء يوم ان سقطت « رينزي » وكان مقدرًا لها النجاح . ولكن « فاجنر » تقدم الطريق ولم يتعثّر . وقدّر له النجاح بعد ان اصطلحت عليه هموم الحياة . واوصاته هذه السليقة الدفاعة الى عالم الطبيعة بل استطاع بالطبيعة نفسها ان ينفذ الى عالم القرائح فيثير فيها الهواتب الروحية التي تقيض بها أوبراته . ولقد احتوت هذه الاوبرات مناظر الاطراف والارواح وتمثلت في شخوصها معاني البلاغة الشعرية العميقة التي تم احاديثها التمثيلية الرائعة . ولقد اكسبت موهبة « فاجنر » الفنية اعماله مسحة الجمال الذي تتمثل فيه عبقرية الشاذة . ولعل ما يقوى على تمثيل هذه العبقرية هذه الموسيقى التي تمشي بانسجام مع الحديث والحركات والمناظر

\*\*\*

أخذ « خيري » في محاضراته الممتعة عن « فاجنر » يتحدث عن هذا واكثر من هذا بل اخذ يتحدث عن الموسيقى من حيث هي كما فهمها « فاجنر » وافن « خيري » في هذا الحديث الجامع حتى اخذ على المستمعين شعورهم وظفر منهم بالاعجاب . فاذا اختتم محاضراته تلك بدأت فرقة للموسيقى من برلين اعدتها الحكومة الالمانية بوساطة نشأت باشا وزير مصر المفوض في ان تعزف قطعاً من روائع فنه يحملها الاثير الى مصر والى حيث يجلس المستمعون في المعهد . ولقد سجلت الحكومة الالمانية الى الشاعر « خيري » اعجابها بهذا المجهود الذي صرفه في سبيل عظيم من شعرائها وفنانها وعدته من بواعث الاعتراف بالثقافة العامة المتبادلة بين الامم

اما عن الموسيقى المصرية فقد كان « خيري » يرثي لها أبلغ الرثاء لأنها لا تستند الى معنى من المعاني أو حقيقة من حقائق الفن . هي في رأيه تقليد للغرب في موسيقاه الحديثة بصيغة شرقية . ولقد رأى ان يتحدث في هذا الى أصحاب هذا الفن بل الى وزارة المعارف نفسها . ليحفزهم للبحث عن ايجاد « فن واقعي » للموسيقى المصرية . وكانت له انتقادات فنية خاصة « بالمقام » وغير « المقام » من شؤون هذا البحث . أحب إذن ان تلغى هذه الانعام التي لا تصلح لجونا الاجتماعي أو تقضيهِ نزعاتنا الحديثة في تفهم روحنا المصري الاجتماعي . ولقد كانت هذه الثورة الفكرية تزداد في نفسه وتقوى كلما جمعه المجالس بأهل الفن من هواة الموسيقى المثقفين



زخرت حياة « خيري » على وجه عام بهذا المزاج الرقيق الذي شغف بالفن من حيث هو . ولعلَّ خيري كان له رأي خاص بهذه الفنون التي يعالجها بعض المصريين النابئين من تصوير ونحت وموسيقى وتمثيل . فقد كان يهتم بأصحابها اهتماماً كبيراً . يصرف من وقته وماله في هذا السبيل ما يعرفه الخاصة من اصدقائه . وكان جريئاً في استنهاض اصحاب السلطة في ان تهىء لبعض الفنانين المصريين جوّاً من الحياة العملية لاثقاً بهم . وان تنظر وزارة المعارف لهذه الفنون والفنانين نظرة مأوَّها العون والجهد حتى يأخذ جيلنا المصري الناشئ حاجته من اسباب الثقافة الفنية

ولقد كان آخر خدماته الفنية لاصدقائه من الفنانين ان يحمل بنفسه لوحات ناجي الفنية الصغيرة ليطوف بها على الصحف والمجلات لتشرها . فيرى الجمهور المصري اتاج فنانيه من الهواة ولقد أعجب بفن ناجي اعجاباً لا حدَّ له . متيناً فيه الهام الفن المصري القديم الزاخرة به البائيل والصور الأثرية في سمته العصرية الفتانة . على ان اساس هذا الاعجاب ان « خيري » قد ألهمه هذا الروح نفسه الخيال المعزول الذي جاد بقصائده الخالدة عن الحياة المصرية القديمة . فاحتوت غير قليل من الابهام الذي تجده في شعره والذي كان نوعاً يتميز به فنه من جمال وسبك ولعل هذا نفسه ما دعا الى الاعتراف بعبقريته بل الذي دعا جماعة « فرانس اوربان » الى ان تقيم في باريس حفلاً عظيماً لشاعر شرقي جليل هو « خيري »

\*\*\*

ولقد كان « خيري » يعاني في سنيه الاخيرة عسراً مادياً لم يعهده من قبل فكان هذا بعض ما أودى بمزاج الشاعر . فكان لا يخرج للناس الا بعض القصائد القصيرة والا هذه القصيدة التي كان يرفعها تحيةً لجلالة الملك في عيد ميلاده

\*\*\*

ذهب خيري اذن في هذه الحفرة التي احتقرتها له الابدية . ونحن انما نودع روحاً يعرف الآن على اصدقائه العديدين بعد ان كان يجتمع بهم ويتحدث اليهم . بل نودع شاعراً مصرياً اخلص للادب والفن الاخلاص كله وكان من هؤلاء الشعراء الذين غادروا الحياة ولم يمتنعوا بها وكان وجودهم خاطر لم يمر على أهل الجيل وان كان يعد آية وبدعة . ولقد شاعت الحياة ان يكون للادب في كل العصور ضحايا وللشعر مكدودون . ولعلي لا اتجاوز الواقع اذا كانت نهاية خيري ابلغ صورة لهذا الوضع في الوجود الفاني



# موقعة ناقارين البحرية

٢٩ ربيع اول سنة ١٢٤٣ هـ ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧ م

للكنور على مظهر

— ٣ —

يجمل بنا ان لا نفعل ذكر محرم بك امير البحر للاسطول المصري وقائد الاسطول في تلك  
الثناء . فنقول أنه من « قوله » أصلاً بلد محمد علي وكثير من الاسر المصرية اليوم . واتخذ مصر  
وطناً ثانياً له . فاستخدمه محمد علي في كثير من مهام الحكومة

وزوجه بابنته تقيده هانم حسن سيرته وحميد خصاله . ولكن الوفاة عاجلتها فمات بعد زمن  
قصير . وكان محمد علي قد عينه محافظاً على الاسكندرية فأحسن ادارتها وعهد اليه براسة ادارة  
البحرية الاولى . وجعله قائداً للاسطول في حرب اليونان من سنة ١٢٣٦ الى ١٢٤٣ . ولما عاد  
ابراهيم باشا الى مصر بقي في منصبه محافظاً للاسكندرية الى يوم وفاته في ١٢ محرم سنة ١٢٦٤ هـ .  
فأسف عليه الناس وكان محبباً لفعل الخير . وأعتق الكثير من جواريه ومماليكه وأغدق عليهم  
الاحسانات الجزيلة وشيد لهم المنازل العديدة لسكناهم ( سرهنك باشا ج ٢ ص ٢٤١ ) . ولعله هو  
وأمثاله هم من الذين حببوا للاروام سكنى مصر بعد تخيرهم في الرجوع الى بلادهم كما نص على  
ذلك اتفاق الحرب اليونانية الذي ذكرناه آنفاً

ونرى أن نذكر ما كتبه المرحوم الشيخ يرم التونسي في كتابه صفوة الاعتبار اذ يقول :  
انه في أيام جورج الرابع ملك انجلترا وقع الغدر في أسطول الدولة العثمانية من أسطول انجلترا  
المتأثر على أساطيل الدول في تظاهرها على طاب تسليم الدولة العثمانية لليونان بالاستقلال . فمن  
غير اعلان الحرب لها تخللت الاساطيل من بين اسطولها المركب من سفنها وسفن مصر وطرابلس  
وتونس والجزائر وهم على اطمئنان السلم والأمن وأطلقت عليهم التياران دفعة واحدة بحيث لم يبق  
منهم باقية غدر وشناعة لا تمحي ومعرفة لا تزول على خصوص الانجليز لانهم هم الذين يدهم امرة



جميع الاساطيل الدولية . وعندما سمعت الندوة الانجليزية ( مجلس النواب ) بفضاعة الواقعة هاجوا وماجوا وطلبوا محاكمة رئيس الاساطيل . وحكم عليه مجلس حربي بالقتل مع دفاع وزير البحر عنه بكل ما امكن من الاعتذار وتلفيق دعوى بأن احدى السفن العثمانية اطلقت النار عليهم فلم يجد كل ذلك شيئاً . وعند ما تحقق الرئيس الحكم عليه بالقتل أسراً الى وزير البحر بأن التذكرة التي بخطه في الامر باحراق الاسطول العثماني قد نسي ان يحرقها معه مثل ما امر . وحينئذ تحول المجلس الى جلسة سرية ثم اطلق الرئيس . اهـ

ويذكر بعض المؤرخين الاوربيين بان التعليمات التي اعطيت للسير كودرنجتون كانت تحظر عليه اي عمل عدائي مع العثمانيين ونحن لا نرى صدق تلك الرواية فان نية تدمير الاساطيل المصرية والعثمانية كانت متوافرة . ولا عبرة بما جاهر به المنصفون من اهل اوربا من فظاعة هذا الامر ومخالفته للقوانين المتبعة وانه خيانة وغدر . ولا عبرة كذلك بما نقله بعض الكتاب والمؤرخين من اوربا من ان التعليمات التي اعطيت للسير كودرنجتون كانت تحظر عليه اي عمل عدائي . فانه من غير المعقول أن يأتي ذلك القائد البحري ما يخالف اوامر حكومته بل كان هناك اتفاق سابق بين الحكومات الثلاث فرنسا وروسيا وانجلترا على تلك المذبحة كما وصفها امبراطور النمسا في ذلك الحين وما قاله جورج الرابع ملك انجلترا نفسه عنها بانها حادثة مشؤمة . ومن ذر الرماد في العيون تلك الرواية التمثيلية التي قام بها الاحرار في انجلترا وقتئذ ضد امير البحر كودرنجتون وانهم اعتبروا عمله وحشياً لا شرف فيه ولا فخار . فاضطرت الحكومة الانجليزية أن تعلن عدم موافقتها على عمل كودرنجتون . ولكنها لم تعلن عدم موافقتها على هذا العمل الفظيع الوحشي الا بعد حدوثه . وهي رواية هزلية لا يصدقها الا سذج العقول . ولقد ذكر مصطفى باشا كامل رحمه الله في كتابه المسألة الشرقية وأشار الى تلك المذبحة فيما نقله مسيو ( الفريد لمينز ) في مؤلفه عن استقلال اليونان من المستندات الرسمية التي لا تزال محفوظة في وزارة البحرية الفرنسية . فثبت ان حكومات فرنسا وروسيا وانجلترا كانت متفقة من قبل على كل ما اتاه قواد اساطيلها . وقد قال امير البحر كودرنجتون لما علم بعدم موافقة حكومته على مذبحة نافارين : — « ان الوزراء يضحون بي للاحتفاظ بمناصهم »

ويقدر المؤرخون عدد الذين ماتوا من بحارة مصر في هذه المذبحة الشهيرة المعروفة بموقعة نافارين البحرية بستة آلاف بحري استشهدوا في اثناء مفاجأة اساطيل الدول المتحدة لاسطول مصر واسطول تركيا وسط الضباب بدون سابق انذار بينما كانت الهدنة معقودة بين الطرفين وفي عدد جريدة الاخبار الصادر بالقاهرة في مساء الخميس ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ — ٢٠ أكتوبر ١٩٢٧ وهي التي كان يرأس تحريرها امين بك الرافعي رحمه الله مقالة افتتاحية بعنوان : ( معركة



نافارين البحرية بعد مرور مائة عام) وفي هذه المقالة كلام طويل على تلك المعركة. ونحن نقول عنها باختصار ما اشارت اليه عن كنوز نافارين وهل تستخرج البوارج الغارقة مما نقله عن جريدة الطان الفرنسية في احد اعدادها التي اصدرتها قبل تلك الذكرى المئوية واحتفال حكومة اثينا بها ايامئذ قالت الطان : « . . . والفضل في ذلك ( استخراج البوارج الغارقة ) لما ابدى المهندس الشاب م . ا . كريتوي الفرنسي من همة واقدام لاستخراج المدرعات التركية والمصرية من اعماق خليج ييلوس المغرقة منذ مائة عام بما رمتها به اساطيل فرنسا وانجلترا وروسيا معاً من قنابلها المردية . وما نعجب له ان قد اتفق ان الشركة صاحبة الامتياز القائمة بهذا الاستخراج هي برؤوس اموالها ووسائلها انجليزية وفرنسية وروسية ويونانية . والبحث عن كنوز نافارين كالبحت عن كنوز الارمادا مسألة طال عاينها الزمن وتقادم بها العهد . فلطالما تألفت شركات وجعلت تحتل عقول من عساهم يساهمون فيها بما تعرض على تخيلاتهم من غنائم جسام تخرجها لهم من اغوار الجحج ولكن طرأت طواريء وحالت امور دون تحقيق هذه الاماني . أتري تطوي هذه المياه في اجوافها كنوزاً من الاموال ام هي منها جوفاء خالية ؟ ذلك على بعد شهور أو بعد سنين . فان العمل شاق عسير ويستغرق الزمن الكبير . ولكن آن ان ينكشف المطوي ويعلم . ثم قال بعد كلام لا نرى له محلاً لذكره هنا :

« اذ يجوز لنا افتراض ان الاتراك والمصريين اذ بوغتوا وحاق بهم ما كانوا يستبعدون لم يجدوا من الوقت ما يمكنهم من نقل ما بين ايديهم من كنوز مما غنموه او جاءهم من سبل اخرى ؟ ( ايظن الكاتب ان بلاد اليونان الفقيرة ولاسيا في ذلك الوقت كانت توجد كنوزاً ؟ هذا والله غريب في التفكير أو نقص في المعرفة ) . فان سفينة قائد الاسطول التركي طاهر باشا هوت كما هوت معها في بطون الماء ثلاث عشرة دراعة وخمس سفن وسفن القتال وعشرون اخرى من سفائن الاسطول وما بقي في آخر المعركة من الخمس والسبعين سفينة التي يتألف منها الاسطول التركي سوى خمس عشرة سفينة صغيرة وبارجة واحدة . وتعادلت كفة الخسائر في الاسطول المصري مع مثلها في الاسطول التركي

\*\*\*

ألعل البارجة الناجية قد حملت في مطاويها كنوز الحرب الى مصر ؟ ذلك ممكن . ولكنه يكاد يكون غير معقول . ذلك اتنا نشك في ان النفوس في هول هذه الساعات تملك من رباطة الجأش ومن الوسائل ما يمكنها من حمل ما تشتهي الانفس حملة من هذه النقائس والكنوز والذي نريد ان نعرفه هل كانت سفن المصريين والاتراك تحمل هذه الكنوز حقاً . اما



المستر پرس كروس ستاندينج فرأيه في مقال له نشرته مجلة (كنتمبورري ريشيو) هو أنه لم يكن فيها من ذلك شيء. أما الرواية الشائعة المأثورة فترى على النقيض من ذلك ان كنوز ابراهيم في القتال جاوزت المليار مما يعدل عماتنا الحاضرة (يقصد مايار فرنك فرنسي)

ولقد كثّر استشهاده المستشهدين في اقامة حجّتهم على صحة تلك الكنوز بمذكرات احد ضباط السفينة سيرين المدعو راؤول دي رامون ونشرتها (الاسيتا) في ١٦ اغسطس سنة ١٩٠٣ فقد كان هذا الضابط من المقاتلين في هذه المعركة. وبعث بعد ذلك بست وعشرين سنة الى الاساتنة (استنبول) في مهمة وكانت في صحبته امرأته وهي من بنات اليونان كان قد أنقذها من مذابح الاتراك. ولقد قامت بينها وبين عديلة هانم ارملة امير البحر محرم بك المصري صلاة ود. فجاء احمد بن عديلة هانم احد جنود حرس السلطان الخاص ذات مساء الى الضابط الفرنسي واطلعه على بضعة اسانيد. كتب احدها قبل معركة نافرين بثلاثة ايام وفيه ذكر ممالك يومتز من اموال امراء البحر في الاسطول التركي وقد اصاب محرم عشرين كيساً وعشرة آلاف من الدوقات الذهبية (ما يقرب من خمسة آلاف جنيه) فباع بذلك ما تملك يمينه خمسين كيساً وثلاثين الفا من الذهب

وفي مستند آخر يرجع الى سليمان بك (باشا فيما بعد وهو الكولونيل سيف الفرنسي الاصل) بيان حرره ابراهيم باشا نفسه بنحسائه في نافرين البالغة ١٢٠ مليون فرنك (من عملة ذلك الزمن). وكان في السفن الاخرى المغرقة في كل منها عدل ذلك المبلغ

وجعل احمد يبسط امام راؤول دي رامون تصميماً للمعركة ويشير الى الموضع الذي كانت فيه سفينة ابراهيم باشا الاميرالية (هنا مكان العشرين ومائة مايون فرنك ذهب) ثم انصرف لوجهه من حيث أتى ولم يره من بعدها احد) اه

\*\*\*

والمعقول ان تلك الشركة او الشركات التي تبحث عن كنوز نافرين انما تبحث عن كنوزها الخشبية. فقد كان من تلك السفن سفن مبنية من خشب البلوط وغيره مما يستحيل الى نوع صلب شديد جداً. وهو مرغوب فيه لصنع الاثاث الفاخر وفي اعمال اخرى تستلزم ذلك النوع من الخشب الذي لبث اكثر من قرن من الزمان — في الماء الملح. ويقال أن مقدار ذلك الخشب الثمين العتيق لا يقل عن عشرين الف متر مكعب ويقال ان احد الصناع الانجليز عرض على الشركة ابتاع كل ما تستخرجه من ذلك الخشب. اما بقايا المدافع التي تزن من الفين الى اربعة آلاف طن وغير ذلك من اشياء فلسنا ندري عنها شيئاً ولا عن قيمتها ولكن يسأل عن ذلك الخبراء في المعادن والكيمياء



## بهاء الدين الأملی

X

صاحب كتاب الخلاصة

نقري مأوظ طوقانه

على الرغم مما كانت عليه الدول العربية والاسلامية في مختلف الاقطار من الضعف ، وعلى الرغم مما اصابها من الانحلال ومما حلَّ بها من المصائب وما احاطها من المتاعب التي تحول دون تقدم العلوم ودون ازدهار الفنون ، اقول على الرغم من كل ذلك فقد ظهر في بعض الحواضر من وجهه بعضاً من عنايته الى العلوم وتشجيع المشتغلين بها . ومن هؤلاء الذين ظهوروا في القرن السادس عشر للميلاد وبرزوا في العلوم الرياضية بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الأملی وقد اختلف المؤرخون في البلدة التي وُلد فيها فبعضهم يقول انه وُلد في بعلبك وآخرون في آمل الواقعة في شمال ايران . ومن المؤلفين من قال انه ولد في بلدة آمل الخراسانية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون

اما القول بأنه وُلد في بعلبك فبعيد عن الصواب بل وهو خطأ محض ، وارجح ان قولهم هذا يرجع الى الخلط بين جبل عامل في سوريا وبين آمل ، وقد يكون هذا الخلط هو الذي جعلهم يقولون بمولده في بعلبك ، وقد يكون ايضاً هو الذي جعل بعض العلماء يسمونه « بهاء الدين العاملي » . ونجد في بعض الكتب ان الأملی ينتسب الى قبيلة همدان اليمنية وان نسبه ينتهي بالحارث وهذا ما جعل البعض يلقبه بالحارث الهمداني ، ولكن الروايات تكاد تؤيد القول بأنه وُلد في آمل الايرانية السكائنة على طريق مازندران . وكانت ولادته في منتصف القرن السادس عشر للميلاد ثم احضره والده الى العجم حيث اخذ العلم عن كبار علماء زمانه وقد أثر حياة الفاقة والفقر على حياة الغنى والترف يدلنا على ذلك المناصب التي عرضها عليه اولو الامر ولعل أكثر ما امتاز به الأملی رغبته الشديدة في السياحة وزيارة الاقطار المختلفة ، وقد بقي في سياحته



ثلاثين سنة زار خلالها مصر والجزيرة العربية وسوريا والحجاز حيث أدّى فريضة الحج . وبعد ذلك عاد الى اصفهان ، ويقال انه عند ما علم الشاه عباس حاكم الدولة الصفوية بعودة الآملي الى اصفهان ذهب بنفسه اليها واحاطه بالاكرام والتجلة وعرض عليه منصب رئاسة العلماء ، ومع انه لم يقبل هذا المنصب فقد بقي صاحب المقام الاول عند الشاه الى ان وافاه اجله في اصفهان في القرن السابع عشر للميلاد ودفن في طوس بجوار الامام رضا

\*\*\*

اشتهر صاحب الترجمة بما ترك من الآثار في التفسير والآداب فله فيها تآليف قيمة . اما آثاره في الرياضيات والفلك فقد بقيت زمناً طويلاً مرجعاً لكثيرين من علماء المشرق كما انها كانت منبعاً يستقي منه طلاب المدارس والجامعات . فمن اشهر مؤلفاته رسالة الهلالية ، وكتاب تشرح الافلاك والرسالة الاسطرلاية وكتاب خلاصة الحساب . وقد اشتهر هذا الكتاب الاخير كثيراً وانتشر انتشاراً واسعاً في الاقطار بين العلماء والطلاب ، ولا يزال مستعملاً الى الآن في مدارس بعض المدن الإيرانية ، ولقد تمكنا من الحصول على نسخة من هذا الكتاب اخذناها عن مخطوطة عثرنا عليها في المكتبة الخالدية في القدس . ويقول عنه كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون : « خلاصة في الحساب لبهاء الدين محمد بن محمد بن حسين وهو من علماء الدولة الصفوية . وهو على مقدمة وعشرة ابواب . . . » ونجد في الخلاصة ان المؤلف استعمل الأرقام الهندية التي نستعملها نحن اليوم الا انه استعمل للصفر الشكل الذي نستعمله للرقم خمسة ، وللخمس عشرة شكلاً يخالف الشكل الذي نعرفه الآن . ولهذا الكتاب مقدمة تبدأ هكذا : « نحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمه عدد ولا ينتهي تضاعف قسمه الى احد . . . » اما ابوابه فعشرة يبحث الباب الاول منها في حساب الصحاح وهو على ستة فصول : الفصل الاول في الجمع والثاني في التصنيف والثالث في التفريق ( اي الطرح ) والرابع في الضرب والخامس في القسمة والسادس في استخراج الجذر ويبحث الباب الثاني في الكسور وهو يحتوي على مقدمات ثلاث وفصول ستة فالمقدمات تتناول الكسور واصولاتها الاولى ومعنى مخرج الكسر وكيفية ايجاد مخرج عدة كسور ( اي كيفية ايجاد المضاعف المشترك الأصغر لمقامات عدة كسور ) وتتناول ايضاً التجنيس والرفع ، والمعنى المقصود من التجنيس . « جعل الصحيح كسوراً من جنس كسر معين والعمل فيه اذا كان مع الصحيح كسر ان تضرب الصحيح في مخرج الكسر وتزيد عليه صورة الكسر . . . » ومن الرفع « جعل الكسور صحيحاً فاذا كان معنا كسر عدده اكثر من مخرجه قسمناه على مخرجه فالحارج صحيح والباقي كسر من ذلك المخرج . . »



ويأتي عند شرح كل من هذه البحوث بأمثلة تزيل من غموض الموضوع وتزيد في وضوحه. أما الفصول الستة فتبحث في جمع الكسور، وتضعيفها، وتصنيفها، وتقريبها وضربها وقسمتها واستخراج جذورها ثم تحويل الكسر من مخرج الى مخرج . . .

\*\*\*

ويجد القارئ في الباب الثالث والرابع والخامس بحثاً في استخراج المجهولات وقد استعمل المؤلف ثلاث طرق احداها طريقة الاربعة المتناسبة وهذه الطريقة يعرفها كل من له الملم بالرياضيات الابتدائية، والطريقة الثانية تعرف بحساب الخطأين هي غير مستعملة في الكتب الحديثة مع انها كانت شائعة الاستعمال عند العرب في القرون الوسطى. والطريقة الثالثة وهي التي في الباب الخامس « في استخراج المجهولات بالعمل بالعكس وقد يسمى بالتحليل، والتعاكس وهو العمل بعكس ما اعطاه السائل فان ضعف فضعف وان زاد فأنقص، او ضرب فأقسم، او جذر فربع او عكس فأعكس مبتدأ من آخر السؤال ليخرج الجواب . . . »

ويحتوي الباب السادس على مقدمة وثلاثة فصول، فالمقدمة تبحث في المساحة وفي بعض تعاريف اولية عن السطوح والاجسام، والفصل الاول في مساحة السطوح المستقيمة الاضلاع كالمثلث والمربع والمستطيل والمعين والاشكال الرباعية والمسدس والمثلثن والاشكال المستقيمة الاضلاع الاخرى. ويتناول الفصل الثاني والثالث طرقاً لايجاد مساحة الدائرة والسطوح المنحنية الاخرى كالاسطوانة والخروط التام والخروط الناقص والكرة . . .

\*\*\*

ويحتوي الباب السابع على ثلاثة فصول تبحث « فيما يتبع المساحات من وزن الارض لاجراء القنوات ومعرفة ارتفاع المرتفعات وعروض الانهار واعماق الآبار .. » ولهذه الاعمال والطرق براهين يقول عنها انه اوضحها ويدينها في كتابه الكبير المسمى « بحجر الحساب » وان بعضاً منها مبتكر وطريف لم يسبق اليه اوردته في تعليقاته على فارسية الاسطرلاب. ويستعمل بهاء الدين طرقاً اخرى غير التي ذكرها لاستخراج المجهولات وهنا يقبل على موضوع الجبر والمقابلة وهذا ما نجده في الباب الثامن المتكون من فصلين. احدهما في معنى المجهول (اي س) والمال (اي س<sup>٢</sup>) والكعب (اي س<sup>٣</sup>) ومال مال (اي س<sup>٤</sup>) ومال كعب (اي س<sup>٥</sup>) وكعب كعب (اي س<sup>٦</sup>) . . . وهكذا . . . وجزء الشيء (اي س<sup>١</sup>) وجزء المال (اي س<sup>١</sup>/<sub>س</sub>) وجزء الكعب (اي س<sup>١</sup>/<sub>س<sup>٢</sup></sub>) . . . الخ وفي كيفية ضرب هذه بعضها في بعض وقسمتها بعضها على بعض.



والفصل الثاني في المسائل الجبرية الست وهي عبارة عن اوضاع مختلفة للمعادلات وكيفية ايجاد المجهول منها اي حلها ، ولولا الخوف من الاطالة لاتينا على امثلة من ذلك . ويجدر بنا ان لا نترك هذا الباب من دون الاشارة الى تعريف الآملي لكلمتي جبر ومقابلة في تفسيرهاتين الكلمتين يقول : انه عند حل مسألة من المسائل بطريقة الجبر والمقابلة تفرض المجهول شيئاً ( اي س بالمعنى الجبري الحديث ) « وتستعمل ما يتضمنه السؤال سالكاً على ذلك المنوال لينتهي الى المعادلة والطرف ذو الاستثناء يكمل ويزاد مثل ذلك على الآخر وهو الجبر . والاجناس المتجانسة المتساوية في الطرفين تسقط منها وهو المقابلة . . ثم المعادلة . . »

ويقول العلامة سبكت في كتابه تاريخ الرياضيات في الصفحة ٣٨٨ من الجزء الثاني عن هذا التفسير انه اوضح تفسير لكلمتي جبر ومقابلة

\*\*\*

قد لا يكون في بحوث الابواب والفصول التي مرت شيء مبتكر او جديد فقد سبقه اليها كثيرون من علماء العرب والمسلمين فهو لم يكن في ذلك الا آخذاً او ناقلاً على الرغم من وجود بعض طرق لم يسبق اليها

ومن الحق ان نذكر انه قدم هذه البحوث والموضوعات في طرق واضحة جليلة تسهل فهمها (فهم البحوث والموضوعات) وتناولها . وهذه هي ميزة بهاء الدين على غيره فقد استطاع ان يضع بحوث الحساب والمساحة والجبر التي يرى فيها اكثر الناس غموضاً وصعوبة في قالب سهل جذاب وفي اسلوب سلس بدد شيئاً من غموض الموضوع وازال شيئاً من صعوبته

ونأتي الآن الى الباب التاسع فنجد فيه كما يقول المؤلف : « قواعد شريفة وفوائد لطيفة لا بد للحاسب منها ولا غناء له عنها » وقد اقتصر في هذا الباب على اثنتي عشرة قاعدة وفائدة يدعي انها كلها من مبتكراته وانه لم يسبقه احد اليها ، ولكن على ما ارجح ان في ادعائه هذا بعض المبالغة اذا كثرت هذه القواعد كانت معروفة عند الذين سبقوه وهو لم يكن في وضعها كلها مبتكراً فقد تكون الطرق التي اتى بها مغايرة لطرق من تقدمه من العلماء العرب والمسلمين ولكنه في بعضها مبتكر وقد استعمل لها طرقاً طريفة فيها بعض الابداع وفيها شيء من المهارة والمقدرة ندل على عمق في التفكير . وبعد ذكر هذه القواعد وكيفية تطبيقها يأتي الى : « مسائل متفرقة بطرق مختلفة » فيضعها في باب خاص هو الباب العاشر ويقول ان القصد من هذا الباب « شحذ ذهن الطالب وتمريضه على استخراج المطلب » وزاه يستعمل في حلول بعض هذه المسائل طرقاً جبرية وفي البعض الآخر طرقاً حسابية يجد فيها الطالب ما يشحذ ذهنه ويقوى فيه ملكة التفكير



والآن نحن امام « الخاتمة » يستهلها المؤلف هكذا « قد وقع للحكماء الراسخين في هذا الفن مسائل صرفوا في حلها افكارهم ووجهوا الى استخراجها انظارهم وتوصلوا الى كشف نقابها بكل حيلة وتوصلوا الى رفع حجابها بكل وسيلة فما استطاعوا اليها سبيلاً وما وجدوا عليها مرشداً او دليلاً فهي باقية على عدم الانحلال من قديم الزمان مستصعبة على سائر الازهان الى هذا الآن . . . »

ولقد اورد من هذه المسائل التي اعجزت علماء الرياضة وانهكت قوى المحاسين سبعاً اتي بها على سبيل المثال . ثم يخرج من بعد ذكرها الى مدح رسالته هذه وقد سماها « بالجوهرية العزيزة » ويقول ان فيها : « من نفائس عرائس قوانين الحساب ما لم يجتمع الى الآن في رسالة ولا في كتاب . . » ويقول عنها ايضاً على القارىء ان يعرف قيمتها ويعطيها حقها من الانصاف والتقدير وان يحول بينها وبين من لا يعرف مزاياها « وان لا يزفها الا الى حريص لان كثيراً من مطالعها حري بالصيانة والكتمان حقيق بالاستتارة عن اكثر هذا الزمان ، فاحفظ وصيتي اليك فالله حفيظ عليك . . » وليس في مدح بهاء الدين رسالته اي عجب فلقد كانت العادة عند مؤلفي زمانه والذين سبقوه ان يمدحوا رسائلهم ومؤلفاتهم وان يسرفوا في ذلك ونظرة الى كتب الاقدمين في اللغة والادب والتاريخ وبقية العلوم تؤيد رأينا وتحققه

ولكتاب الخلاصة شروح عديدة عرفنا منها شرحاً لشخص اسمه رمضان ، ولم يكن هذا الشرح معتبراً عند العلماء بل لم يكن له ميزة او صفة خاصة وقد ظهر في زمن السلطان محمد خان بن السلطان ابراهيم . وهناك ايضاً شرح لعبد الرحيم بن ابي بكر المرعشلي احد علماء الدولة العثمانية، ويمتاز شرحه على غيره بالامثلة المتعددة التي توضح كثيراً من المبادئ الصعبة والقوانين العويصة وفي هذا الشرح يتجلى للقارىء سعة اطلاع الشارح ووقوفه على العلوم الرياضية وهذا هو الذي ميزه على غيره ( من الشروح ) وهذا هو الذي جعله منهلماً لكثيرين من العلماء . وقد طبع كتاب الخلاصة في كالكتا في سنة ( ١٨١٢ ) وفي برلين سنة ١٨٤٣ ، وقد ترجمه الى الافرنسية الاستاذ مار Marre في سنة ١٨٦٤

\*\*\*

ويظهر ان بهاء الدين بدأ في تأليف كتابه المسمى ( بحجر الحساب ) ولكنه لم ينجزه فقد مات قبل الفراغ منه ، وفيه تفصيل لبراهين من النظريات الهندسية وقوانين المساحات والحجوم وبعض المبادئ الحسابية ، وأدخل فيه ايضاً طرقاً جديدة لحل مسائل مختلفة صعبة تشجذ ذهن وتعمرنه على حل الاعمال المعقدة الملتوية



# اليزيدية<sup>(١)</sup>

عقائدهم وتعاليمهم

لقبصار صادر

عضو جمعية العاديات السورية

اليزيدية طائفة تنتمي كثرتها الى الجنس الكردي وقد امتزجت بالشعوب السامية في سوريا والعراق والشعب الأرمني في اسيا الصغرى . وتشق تسمية هذه الطائفة على ما اجمع عليه علماء التاريخ من كلمة « إيزد » الفارسية الاصل ومعناها خالق بالعبادة وهي تطلق على الملائكة التي توسط بين الله والبشر وفي اعتقاد اليزيد أنهم من اتباع تلك الملائكة ولهم ديانة خاصة تكوّنت عناصرها من مزيج سائر ديانات الشرق الأدنى ونبى هذه الديانة هو شيخ متصوّف يدعى الشيخ عادي عاش في جبال الموصل بين القرنين الخامس والسادس للهجرة بيد ان منشأه وسيرته الحقيقية وتاريخ ديانته يحيط بها الغموض وتغشها الاوهام والخرافات لفقد مراجع تاريخية جديرة بالاعتبار ولتشدد اليزيد في صون اسرار دياتهم وما يتعلق بها على ان اتباع هذه الديانة كانوا منتشرين فيما مضى من اقاصي بلاد العجم والعراق حتى البلاد السورية وكانوا يقطنون على الاخص في سامرة وشرقاط<sup>(٢)</sup> وفي ضواحي حلب والشام وفي فرى اورفه وحران وسعره ونصيبين ويبره حيك وعينتاب حتى وفي نواحي فزان وان كان لهم الوف من القرى . اما اليوم فقد تضاعل عددهم كثيراً بسبب الاضطهادات الدينية والمظالم المريعة التي حلت بهم على عهد الحكومة العثمانية فلم يبق منهم غير ما يقرب من خمسين ألفاً وكادوا ينحصرون في

(١) عني الدكتور قسطنطين زريق استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية بنشر كتاب عنوانه «اليزيدية قديماً وحديثاً» ضمنه سيرة احد امراء اليزيد المعاصرين برويها صاحب السيرة نفسه وقد صدرها الدكتور زريق بمقدمة شائقة محافظاً على ايراد نصوص السيرة بلغة واضعها العامية فجاء كتابه سفرأ قبياً اقتبسنا منه مقالنا هذا . فنوجه نظر من يحب التوسع في موضوع بحثنا الى هذا الكتاب الذي يطلب من المطبعة الاميركية في بيروت (٢) قرب آبار النفط العراقية



سهول قضاء الشيخان وجبل سنجار حول لواء الموصل اذا ما استثنينا نقرأ ما زال يقطن في بلاد العجم وفي البلاد الارمنية الواقعة على حدود تركيا وروسيا وفي جبال كليس وعينتاب وديار بكر وماردين التركية

اما مركز زعامتهم فهو في قرية باعدري من قضاء الشيخان الواقع في الشمال الشرقي من الموصل حيث مزار نبيهم الشيخ عادي وقاعدة اميرهم الميرميران ﴿احوالهم العامة﴾ يتكلم اليزيد الكردي ب لهجات مختلفة والتركية في اسيا الصغرى والعربية في سوريا والعراق ويقدمون لغتهم الجنسية معتقدين ان الله قد كلم آدم وادعى بوصاياه لموسى بالكردية

وهم رجال اشداء ، طوال القامة ، اقوياء البنية ، سود العيون ، حمر الوجوه بلحي مسترسلة يتحلون بمزايا حسنة منها صدق القول وزاهة الاخلاق والجد في العمل وحب الحرية والاستقلال ويعرفون بالعبقة وطهارة العيش ويعاقبون الزنى اشد العقاب ويجلسون كبارهم اجلالاً بالغاً ، يشتغلون بزراعة الارض وتربية المواشي وكثير منهم ما زال في طور البداوة يؤلفون قبائل رحالة تدعى « الكوچر » ونظامهم الاجتماعي ما برح في الدور القبلي . فكل قبيلة منهم تقسم الى بطون واتخاذ رأسها شيوخ يدبرون امرها وينقسمون بمجموعهم الى طبقات معينة تفصل بينها حدود واضحة . فمنهم العوام ومنهم الروحانيون الذين ينظمون في فرق مختلفة وهم شديداً التحفظ على تقسيمهم الاجتماعي والديني لاعتباره العامل الذي يضمن سلامة جنسيتهم ونظام مذهبهم فلا يُسمح مثلاً لاحد افراد طبقة ما ان يتزوج من غيرها ولا ان يرتقي الى ما هو اعلى منها والويل لمن فعل فبالحجارة يُرجم وبالسوط يجلد وبشر ميته يموت

يرأس جماعة اليزيد شيخان احدها زمني من نسب آل يزيد يلقب الميرميران بمعنى امير الامراء يقطن في قرية باعدري كما تقدم بنا القول ويدبر امور طائفته المدنية ويمثلها امام العالم الخارجي . والاخر روحاني يمثل السلطة الروحية العليا وهو المرجع الاعظم لكل ما يتعلق بالدين والعقائد اليزيدية يساعده في مهمته هذه جماعة من الروحانيين ينظمون في خمس فرق مختلفة لكل منهم لباس خاص واعمال دينية معينة

الشيخ اعلاهم رتبةً وهو مكلف إسترضاء الانبياء

والپير كاهن يختص بامور الصوم والافطار

والفقير يعاين اولاد الفقراء طقوس الديانة ويخدم قبر الشيخ عادي

والقوال يدق بالدقوف والشبابات ويتلو مديح الله والملائكة

والكوچك يلقي الاموات ويكشفهم ويفسر الرؤى والاحلام



﴿ عقائدهم الدينية ﴾ الشائع عن الديانة اليزيدية انها عبادة الشيطان بيد ان من يقف على عقائدها الصحيحة يجد نفسه امام ديانة الهية ولكنها لا تخلو من بعض معتقدات طريفة وقد ثمرت نواتها من عناصر وثنية قديمة وايرانية زردشتية ويهودية ونسيطرية وصوفية وصابئية وشامانية وهي تقوم على الايمان بوجود اله خالق كبير يعاونه في ادارة الكون سبعة ملائكة انبثقوا من نوره وسموا عزرائيل ودردايل وميخائيل واسرافيل وزرزائيل وشمخائيل ونورائيل وقد ابدع كل من هؤلاء جزءاً من هذه الدنيا حتى صارت كاملة فاختار الله عندئذ الملك الاعظم عزرائيل لمهمة خطيرة ماعم ان تمرّد فيها على اوامره سبحانه وتعالى فعوقب على خطيئته وندم وبكى دموعاً اطفأت نار جهنم فغفر له الله خطيئته واعاده الى مركزه الرفيع وولاه امر الخليقة وادارة الكون . واليزيد يعظمون هذا الملك الذي يلقبونه ايضاً بالملك طاووس وبضرعون اليه باعتباره مدبّر الكون وراعي شؤونهم ويلتمسون منه كل حاجاتهم عن يد نبيهم الشيخ عادي فيكون اذاً الوهم المقدس مكوناً من الله والملك طاووس والشيخ عادي . وهم يدعون ان اصول ديانتهم التالية موحاة اليهم من الملائكة والاولياء ولكنهم في الواقع يمارسون الصوم وتقديم الضحايا في بعض اعياد سيأتي الكلام عليها اقتباساً من الاسلام يأخذون العباد والنصيحة والعشاء الرباني وتحليل شرب الخمر عن النساطرة وتحريم بعض الاطعمة عن اليهود والسجود عن الوثنيين وتفسير الرؤى والرقص في الصلاة عن الشامانية ويؤمنون بالحلول والتقمص اخذاً عن الصابئية ولهم اعتقاد قويم بوجود اخ لسكل يزدي في الآخرة على مثال الملاك الحارس ، يتحتم عليه مرضاته وتكرمه ، ويبالغون في كتمان العقيدة على مثال الصوفية ويعتبرون الصلاة بالسر خير ما يكون ولا يحدون لها الفرائض مدعين ان كتبهم في قلوبهم وان الملك طاووس يرشد احبائه من دون كتاب ويهديهم غياً وتكون تعاليمه في كل حين موافقة للظروف وملائمة لتطور الايام . على ان لهم كتابين مقدسين « الجلوة » و « مصحفازش » ومعنى هذا الاخير بالكردية الكتاب الاسود . وهذان الكتابان يتضمنان اصول ديانتهم المتقدمة الذكر وصلواتهم وانشيدهم وتعاليمهم واعيادهم وطقوسهم واساطيرهم المقدسة نقطف منها بعض الشيء بقدر ما يسمح لنا المجال

\*\*\*

﴿ اساطيرهم المقدسة ﴾ عندهم اسطورة التكوين ان الله صنع مركباً وسار عليه في جوانب البحار وخلق من ذاته درة وحكم عليها اربعين الف سنة ثم غضب عليها ورماها فتكوّنت الحيايل من غضبه ومن دخلها صارت السموات وصعد الله الى السموات وجدها وركزها بغير أعمدة اما اسطورة بدء الخليقة فهي على مثال ما ورد في التوراة عن جبل آدم من تراب الارض ولكنها تختلف عنها من حيث ان صانع الانسان الاول كان الملك طاووس فانه بعد ما جبل آدم من تراب



وماء ونار وهواء نفخ في اذنيه فانتصب على رجليه وأسكنه الجنة مدة اربعين سنة وخلق له من تحت ابطن الشمال حواء وجعلها معه ولكن الله تعالى امر باخراجهما من الفردوس فعلمهما الملك طأوس الاشغال البشرية كلها وأطعمهما من شجرة الخنطة ونفخ في بطنهما والقاهما على الارض وكانا بلا مخرج فتضايقا فأرسل لهما طيراً اسمه القلاج نقرها وهما نيام ففتح لهما مخرجاً واستراحا فلما استيقظا من غيوبةهما تنازعا على نسبة النسل وقررا ان ياتي كل منهما شهوته في جرة ويختبئها. فبعد انقضاء تسعة اشهر فتح آدم جرتة فطلع بها ولدان ذكر وأنثى سماها شيت وهورية فأرضعهما مدة سنتين من ثدييه وتناسلت منهما الامة اليزيدية . اما جرة حواء ففسد مضمونها. وبعد هذا عرف آدم امرأته حواء فولدت جنينين نعام ذكراً وأنثى سماها قاين وهليونه تناسلت منهما سائر طوائف هذا العالم ويروون ايضاً قصة الطوفان على شبه ما وردت في اسفارنا المقدسة ويعتقدون ان سفينة نوح استقرت بعد الطوفان على جبل سنجار

\*\*\*

﴿ اعيادهم وطقوسهم ﴾ كان اليزيد يقديسون يوم الاربعاء ويعطون فيه عن العمل الا أنهم حولوا ذلك منذ حين الى يوم الجمعة مجازاة للاسلام ولهم ما عدا ذلك اعياد دينية وشعبية تقوى برونقها وطابعها القبيلي الخاص بهجة اعياد سائر الشعوب المتحضرة . في طليعة هذه الاعياد رأس السنة ويسمى بالكردى «سرسالي» . يصادف هذا العيد عندهم يوم اول نيسان (ابريل) بالحساب الشرقي. ففي نصف ليلة هذا العيد ترتدي النساء اغفر ما لديها من الالبسة وتزين بالحلى وترقص مع الرجال على انغام التراتيل الكردية اعتقاداً منهن ان الملائكة ستاتي في تلك الساعة وتسوم الناس هذه العبادة ثم تتلو كل ايام نيسان اعياد حافلة يحرم فيها الزواج اجلاً لانبياء الذين تزوجوا في شهر الورود ويمنع خلاله البناء ضناً بالحلة الخضراء والازهار الجميلة التي تزدان بها الارض وبطوف الشبان والصبايا في البراري والحقول ويجمعون الورود طاقات جميلة يكلون بها ابواب البيوت ويتحتم على كل بيت ان يضحي في اول اربعاء من هذا الشهر بقرأ وغنماً او دجاجة بحسب طاقته وان يضعها في قدور مطبوخة على قبور موتاه صدقة عن نفسها . ثم تحتفل الطائفة اليزيدية احتفالاً شائعاً بعيد «يراندة» اي عيد ولادة ملكهم يزيد الواقع في ١ كانون الاول (ديسمبر) فيفرحون به ويشربون الخمر ويولمون ولائم فاخرة تدوم حتى الصباح

وفي اليوم العاشر من شهر ايلول (سبتمبر) يحج جميع اليزيد الى قبر الشيخ عادي في قرية باعدري ليحيوا عيد الجماعة وهذا العيد هو عبارة عن سلسلة احتفالات بحري حول نحت الملك يزيد . فتزايد كل القبائل في نصب هذا النحت ويخلع امير الشيخان عباءة مزركشة على اغا العشيرة



الذي ترسو المزايدة عليه فينصب التخت المذكور بين اطلاق الرصاص والاهايج ونقر الدفوف والشيب . ويذبحون ثوراً مقدساً ويطبخونه فكل من يتوصل الى الفوز بلقمة منه ينال مرامه ولا ينادرون قبر نبيهم ما لم يقدموا له احسن الهدايا التي في وسعهم ان يجودوا بها . ولهم اعياد أخرى ثانوية منها عيد القربان تذكار تقدمه ابراهيم ابنه اسحق للرب . ففي هذا العيد يتسلقون جبالاً عالياً متسابقين الى مكان معين يجمعون منه الاخشاب ويحملونها هدية الى مطابخ الامير ويتحم على كل يزدي ان يذبح ذبيحة في هذا اليوم . ويعيدون في اول خميس من شهر شباط (فبراير) عيد الخضر الياس ويحتفلون قبل عيد رمضان بيومين بتذكار خلاص احد اوليائهم من السجن ويخصصون اليوم العاشر من شهر كانون الاول (ديسمبر) لعيد الاموات . فيزورون فيه موتاهم ويكرمون ذكراهم ويمثلون لامر الله بالصوم والصدقة والخير فيصومون اربعين يوماً في السنة منها في شهر كانون الثاني (يناير) ومنها في شهر تموز (يوليو) ولا يتأخرون عن تقديم الصدقات لفقراء الملك طاووس

\*\*\*

يعتقد اليزيد ان كلاً من الملائكة السبعة صنع له سنجقاً على الارض جمعها سليمان الحكيم لديه ثم صارت بعد موته الى يد ملوك اليزيد وهذه السناجق مصنوعة على اشكال نحاسية وحديدية تلوها صورة طاووس وهي محفوظة عند امير الشيخان مع طلاس اخرى موروثة عن بعض معابد قديمة كتماثيل حيات وعقارب وغيرها من تعاويذ يزعمون ان الملك طاووس ينتحل اشكالها ليخرج خفية من الجنة ويهبط على الارض وهم يجلبون السناجق والطلاس المذكورة ويلطوف بها كهنتهم في بعض مواسم السنة على قراهم كافة بطقوس واحتفالات هي غاية في الغرابة ويجري التطواف المذكور ثلاث مرات في السنة على المنوال الآتي فيستقبلها المؤمنون بحفاوة فائقة ويقدمون لها التبرعات التي يعود اكرثها للامير

يعتمد القوالون السناجق المذكورة عند اخراجها من مخابها بماء السباق ويأخذون مع كل منها حملاً مجبولاً على اشكال العفص من تراب الشيخ عادي لتوزيعها على اهالي القرى التي يأمسونها على سبيل البركة

وعندما يقتربون من قرية يزيديية يوفدون امامهم منادياً يحض الناس على استقبال صورة الملائكة فيخرج جميع السكان بحلج بيض نظيفة وأرجل حافية مسبحين مهللين مقدمين البخور والطور والنساء يمشين امام السناجق مزغردات فرحاً . وما يكاد الموكب يحط رحاله في الساحة العامة من القرية المقصودة حتي يأخذ اكابر تلك القرية بالمزايدة للحصول على شرف ادخال السنجق تحت سقف بيوتهم . وينصب له صاحب اليد الطولى منصة عالية في صدر مسكنه يعتمد عليها الطاووس بكل تعجيل واحترام ويشعل حوله السرج ويجلس القوالون عن يمينه



وشاله ويشرعون في ضرب الدفوف وتنفخ المزمار فيتدفق الناس من كل حذب وصوب للتبرك والزيرة ويدورون جماعات حول الطأوس سبع دورات بخضوع وخشوع واضعين ايديهم على صدورهم رمزاً الى تكفيرهم عن خطاياهم ثم يستجدون ويقبلون الطأوس ويقدمون له الهدايا والنذور التي نواها بها في قلوبهم من مال وما كول فيقرأ القوالون صلاة على رؤوسهم تغفر بها خطاياهم كافة وفي الليل يغسلون الطأوس بماء السباق ويدهنونه بالزيت ثم يملأون جرة معدنية خاصة بالماء المذكور ويعطون منها لكل مؤمن لغسل باطنه وظاهره

\*\*\*

بعض تقاليدهم وعاداتهم ﴿نخص بالذكر من تقاليدهم وعاداتهم الكثيرة اهمها واشدها بروزاً. كانوا فيما مضى يحرمون تعلم القراءة والكتابة على العوام ويحصرونه في أسرة واحدة تقطن في قرية بعشيقه غير انهم بدأوا يتساحون في ذلك مؤخراً واخذ اولاد امرائهم يفدون الى كليات بيروت

اما فيما يتعلق بسائر تقاليدهم فما زالوا يتمسكون بها تمسكاً قوياً ومنها ان الروحانيين لا يمرّون موسى على وجوههم تيمناً باقبال الخير والعوام لا يرتدون الثياب الزرق ولا ذات الطوق المفتوح. ولا يقضون الحاجة في المستراح ولا ييصقون علناً ولا يلبسون السروال قعوداً ولا يتبولون وقوفاً. فهذه كلها محرمة كما حرّم عليهم التلفظ باسم الشيطان وبكل لفظ يشبهه اكراماً للهك طأوس وفيما يخص المأكولات فقد نهوا عن اكل لحوم الخنزير والديك والغزال والسمك وعن الخس والملفوف (الكرنب) والقرع والياميا من انواع الخضروات وعن الشرب من كوز وهم يتجنبون اكل فضلة غريب وعندهم لكل من هذه المحرمات اسباب يطول بنا شرحها

\*\*\*

﴿أفراحهم وحفلات زواجهم﴾ بقي علينا وصف حفلات اعراسهم وطريقة زواجهم ونظامه يشترط ان يكون في كل عرس طبل يقرع وزمر يدوي شهادة على حدوث الزواج الذي يتم باحضار رغيف خبز من بيت الامراء او شيخ القرية وقسمته بين العروسين كناموس للخطبة وعقد النكاح وفي اواخر العرس يعلن وقوع النكاح بطلاقات نارية وبشهادة أخرى مقفلة تمسك عن ذكرها فيرفض المدعوون وتنتهي الحفلة ويتحتم على كل شاب ان يتزوج من طبقته مراعاة للتقاليد الا الامير فله ان يختار عروسه من اية طبقة احب وشاء. والزواج يكون مسموحاً به من سن الاثنتي عشرة حتى الثمانين ويسوغ لليزيدي الزواج بالواحدة ولو الاخرى حتى السادسة ولكنه يحرم عليه ان يجمع بين اثنتين بغير رضى الاولى. واذا رزق اولاداً من اولى نسائه لا يسمح



له بأن يتزوج مع وجودها من امرأة أخرى . أما الفتاة فلا ترث ايها وتباع كسلعة . واذا  
امتنعت عن الزواج المختار لها وجب عليها ان تفي لأبيها حقه فضةً أو شيئاً من خدمتها وتعب  
أيديها . واذا اختطف احد امرأة غيره يترتب عليه ان يعوض له عنها بامرأته أو بأمه أو بأخته  
أو بأرضائه بماله . واذا تغيب رجل عن زوجته حولاً كاملاً تحرم عليه ولا يُعطى غيرها . ويحرّم  
أيضاً على اليزيدي ان يتزوج من امرأة اخيه أو من امرأة عمه أو من امرأة خاله أو من  
اثنين من أمّ وأب

والموت عندهم ليس بالمرحلة الاخيرة من هذه الدنيا بل هو على اعتقادهم سبب يعودون  
بعده الى هذه الحياة مراراً فاذا كان الرجل شريراً تنقص روحه في جسم حيوان تكفيراً عن  
سيئاته . واذا كان صالحاً عاد الى مرتبة ارقى من مراتب طائفتهم حتى يبلغ درجة الكمال .  
فبعد حدوث وفاة احدهم يضعون في كفه حفنة من تراب الشيخ عادي ويمسحونه به قبل دفنه  
ويفرّبون اطعمة عن روحه وتسهر الكواچك على قبره فيترأى لها في الليل ما حلّ بروحه

\*\*\*

ويجدر بنا ان نختتم مقالنا بوصايا الملك طاووس المنزلة بكتاب « جلوة » المقدّس التي تتجلى فيها  
عظمته وسطوته وجبروته : يقول الملك طاووس : —

« المال مالي والبشر عيالي . أنا أفقر وأنا أثري أنا أسعد وأنا أشقي  
« لأحب من يدعوني باطلاً ومن ينكرني أمام الناس أنكره في السماء . أنا أحب من  
يجني من اثماق نفسه

« ومن يكرمني ارضى عنه وأتجاوز عن سيئاته وأقبل منه سجية كرمه عوضاً عن  
الصوم والصلوات

« أنا أعاقب في عوالم الآخرة من يخالف شرائعي على الارض . ومن لا يشك فيّ  
ويدعوني دائماً أحضر عنده في ساعة الضيق والحاجة . أهدي غياً احبائي وأتباعي . اياكم  
أن تذكروا صفاتي أمام الاجانب فتخطون

« لانكم لا تعلمون ما يفعلون . من لا يحسد منكم ولا يزني ولا يكفر ولا يعمل مثل  
المرطقة أسأحه يوم القيامة وارجو من الرب ان يغفر له ويدخله الجنة »

\*\*\*

واليزيد على اعتقاد يقين بأنهم سيجدون يوم القيامة الشيخ عادي واقفاً بانتظارهم على باب  
الجنة فيحملهم جميعاً في طبق على رأسه ويعبر بهم بوابة الفردوس آمينين مطمئين بلا حساب  
ولا دينونة ولا عقاب



# مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرباطي

— ٨ —

البَلْسَمَان

محركة ويقال له (البَشَام) هو شجر البلسم المكي المشهور بتضوُّع رائحته البلسمية وبأنه من الاشجار التي تقوم عليها ثروة بلاد العرب شجرته صغيرة غير شائكة ترتفع ١٥ قدماً . أوراقها ريشية مركبة الواحدة منها تتركب من ثلاث وريقات الى خمس عديمة الاعناق كاملة الحافة او متموجة قليلاً وهذه الاوراق متورة الوضع على الاغصان بلا نظام او مجمعة في طوائف وأزهارها صغيرة مجمعة في طوائف كذلك اسمها العلمي (Commiphora Opobalsamum, Engler) (قوميفورا اوپوبالساموم) او (Balsamodendron Opobalsamum; Kunth) (بالسامودندرون اوپوبالساموم) او (Balsamodendron Gileadense; Kunth) (بالسامودندرون جيلاندنس) او (Amyris Opobalsamum) (اميريس اوپوبالساموم) وفصيلته البخورية (Burseraceae) (بورسراسية) وبالانجليزية (Balm of Gilead Tree; Mekka—or Gilead—Balsam Tree) وبالفرنسية (Balsamier, ou Baumier de la Mecque) موطنه بلاد العرب والحبشة وهو ذائع فيها الآن معروف في مكة كثيراً وفي بعض جهات الهند والسودان وبلاد النوبة . وقيل إنه كان يفرس في مدينة عين شمس بمصر الى العصر الذي وفد فيه على مصر عبد اللطيف البغدادى صاحب كتاب الافادة والاعتبار وأن آخر شجرة منه زالت في اوائل القرن السابع عشر والمتفجع به منه سائل راتجى عطري شبيه بالصمغ يحصل عليه بالشق فيرتشح من الشجرة ويسمى (البلسم المكي) (Mekka Balsam) او (دهن البلسان) وهو البلسم الحقيقي واسطان



البلاسم واغلاها ثمناً فقد كان يباع على عهد الرومان بضعف وزنه من الفضة ويدخل في بعض الادوية والمعروف بالتواتر عند العرب أن ياتقيس ملكة سبأ ادخلت هذا الشجر الى بيت المقدس في قصتها المعروفة مع سيدنا سليمان عليه السلام وقيل إن كلة بلسم مشتقة من ( بَلْ — شَمِن ) العربية ومعناها ( الزيت الملكي )

أما ثمر هذا الشجر فيعرف في العطارة ( بحب الباسان ) ( Carpobalsamum ) ( قارپوبالساموم ) ويقال إن تعاطيه مذهب شديد للارياح المعدية وهاضم للطعام . وخبثه يسمى ( قسيلوبالساموم ) ( Xylobalsamum ) يتطبب به العرب والهنود وغيرها ولا يزالان يتجر بهما في بلاد الهند

### نبات الكر كديه

او ( القَرَقَدِيْب ) معروف في مصر والسودان ويقال له ايضاً ( القَرَقَدِي ) و( القَرَقَن ) شجيرة تزرع سنوياً او تكون معمرة برياً فيبلغ ارتفاعها سبع اقدام . وفروعها واوراقها وثمارها حمراء قانية جميلة . ورقها كاملة الحافة او قليلة الفصوص . وثمرتها عبارة عن حق يضي الشكل مثته بسن

اسمه العلمي ( Hibiscus Sabdariffa, L. ) ( هيسقوس سابداريفا ) وفصيلته الجبازية ( Malvaceae ) ( ملقاسية )

وبالانجليزية ( Jamaica or Red Sorrel; Rozelle Hemp; Indian Hibiscus ) وبالفرنسية ( Ketmie acide; Oseille de Guinée ) وموطنه الاول جزائر الهند الغربية والان يزرع في معظم البلدان الحارة وينبت برياً في السودان الجنوبي

ينفع بكؤوس ازهاره اللحمية الكبيرة التي تبقى بعد سقوط تويجات الازهار وتغلظ وتصير عصارية وهي حول الثمار الحقية . وهذه الكؤوس مزّة يصنع منها نوع من المربي الفالودجي الجيد . وتستهمله العامة كالشاي . ويصنع من الثمار الفجة شراب لذيذ منعش او تدخل في انواع الحلالات . وفي بعض الاحيان تستعمل الاوراق الصغيرة الغضة المزّة كنوع من الخضر تطهى

وتم في إفريقية الاستوائية صنف من هذا الكر كديه اسمه العلمي ( H. S. var. altissima ) ( هيسقوس سابداريفا التسما ) يحصل من قلف سوقه على ألياف ناعمة الملمس متينة تشبه ألياف ذلك النوع من الملوخية الذي يزرع في الهند للحصول منه على ( الجوت ) ( Jute ) الذي يصنع منه هناك نوع من الجبال والاكياس والغرائر الكثيرة الاستعمال في مصر في الاقطان وغيرها



## الْفَسْنَةُ

نوع من السنط وتسمى بالشام (الْقَرْظُ) و (العَنْبَرُ)  
وهي شجيرة شائكة تكون صغيرة الى متر ونصف طولاً وكبيرة الى ثلاثة امتار فأكثر  
اوراقها ريشية مركبة مضاعفة في الورقة من ٤ أزواج الى ٨ من الوريقات الريشية وفي كل من  
هذه الوريقات من ١٢ زوجاً الى ٢٠ من وريقات غير ريشية . شوكتها مستقيم . وأزهارها مكتظة  
في رؤوس كرية صفراء ذكية الرائحة . وثمارها قرون ممتلئة تطول من ٥ سنتيمترات الى ٧  
اسمها العلمي ( *Acacia Farnesiana*, Willd. ) ( آقاسيا فارنسيانا ) وفصيلتها السنطية او  
المستحية ( *Mimosaceae* ) ( ميموزاسية )

وبالانجليزية ( *Sponge Tree*; *Dioscoride's small acacia*; *Sweet scented acacia* )  
وبالفرنسية ( *Acacie odorant*; *Cassie jaune*; *Cassie* ) مواطنها جزائر الفيليين وجنوب  
الولايات المتحدة ونيجيريا والشاطيء الذهبي والكنغو وشمال افريقية وجنوب اوربا ومصر  
والسودان والشام وغيرها . وتزرع بالريشيرا والشام لزيتها العطري الذي يحصل عليه بتقطير  
الأزهار ويدخل في الروائح العطرية وتزرع للزينة وعلى السياج لجمال أزهارها وطيب رائحتها

## الْكُتْر

نوع من السنط معروف في السودان بهذا الاسم شجرته ذات اوراق من النوع الريشي  
المركب الثنائي الازدواج في كل وريقة ريشية زوج واحد من الوريقات غير الريشية البيضة  
الاهليجية او المستديرة . وشوكتها قصير متقوس . وأزهارها بيض مجمعة في سنابل لإبطية  
كالحصل . وثمرتها قرن منبسط طوله ٥ سنتيمترات

اسمها العلمي ( *Acacia Mellifera*, Benth. ) ( آقاسيا مليفيرا ) وفصيلته السنطية او المستحية  
وهو ذائع في السودان وادخل الى مصر في القرن الماضي . وفي السودان يحصل من قلف  
شجره الداخلي على ألياف تنسج منها أكياس ملئها بالصمغ ويقال ان النحل ترغب زهره كغذاء

## العُوطُ

نوع من السنط معروف بهذا الاسم بالسودان ويقال له ( العُود ) ايضاً  
شجيرته تشبه الخروط المقلوب اوراقها من النوع الريشي المركب المضاعف في كل ورقة  
من ٣ أزواج الى ١٢ من الوريقات الريشية في كل واحدة منها من ٦ أزواج الى ١٥ من  
الوريقات غير الريشية الاهليجية الصغيرة وشوكتها صغير متقوس قليلاً طول الواحدة منه سنتيمتر



تقريباً . وأزهارها مجمعة في رؤوس كرية توجد في آباط الاوراق . وثمرتها قرن يقرب لونه الى الصفرة رفيع الطرفين طوله من ٥ سنتيمترات الى ٧

اسمها العلمي ( *Acacia Nubica*, Benth. ) ( آقاسيا نوبيا ) وفصيلته السنطية او المستحية وهو ذائع في اكثر بلاد السودان ويستعمل قلف شجره في الدباغة ويحصل من قلف الجذع الداخلي على ألياف جيدة يستعملونها هناك في بعض حاجاتهم نبات الشششم الاسود

المعروف ( بحب السودان ) و ( حب العين ) و ( حبّات العين ) نبات سنوي معتدل الساق يرتفع من ٣٠ سنتيمتراً الى ٦٠ يكسوه وبر قصير خشن ذو غدد اوراقه صغيرة من النوع الريشي المركب في الواحدة منها اربعة ازواج من الوريقات البيضية الشكل . ثمراته قرون مزغبة طول الواحد منها ٢١ سنتيمترات الى ٥ وعرضه نصف سنتيمتر تقريباً اسمها العلمي ( *Cassia Absus*, L. ) ( قاسيا آبسوس ) وهو من جنس السنّي وفي رأي الأستاذ أليينوس ( *Alpinus* ) ان كلمة *Absus* مأخوذة من اسم نهر في فلسطين . وفصيلته السنائية ( *Caesalpinaceae* ) ( سيزالپينياية ) وبالانجليزية ( *Flour-Leaved Cassia* ) وبالفرنسية ( *Absuscassie* )

وحب السودان معروف في الهند والسودان وبذوره تستعمل فيها بعد سحقها كالأمد للعين ويشفي بها في الارماد المزمنة . وفي السودان تداوى بها السّعفة ( *Ringworm* ) وتسمى البذور بالفارسية ( جشميك ) او ( تشميج ) ومعربها ( جَشَمِيزَج )

#### نبات القهوة السوداء

ضرب من السنّي يسمونه في بلاد البنغال بالهند ( كلكشندا ) ( *Kalkashanda* ) عشب سنوي شبه شجيري يرتفع الى خمسة اقدام . اوراقه من النوع الريشي المركب في الواحدة منها اربعة ازواج او خمسة من الوريقات الضيقة الحادة القمة . أزهاره صفراء وثمراته قرون في صورة الخطوط

اسمها العلمي ( *Cassia occidentalis*, L. ) ( قاسيا اقسيدنتالس ) وفصيلته السنائية ايضاً وبالانجليزية ( *occidental cassia* ) معروف في الهند الصينية والبنغال وجنوب الهند وبورما وجزائر الانتيل والسينغال والسودان ينمو برياً فيها . والمستعمل منه في الطب الاوراق والجذور والبذور فالاوراق المسحوقة تدمل بها الجروح الحديدة والجذور تدر البول والبذور تداوى بها السّعفة ويستعمل منقوع الاوراق مضاداً للحميات الصفراوية كما تستعمل البذور المحمسة المطحونة عوضاً عن قهوة البن العادية وهذا سبب التسمية بنبات القهوة



# أبداع طرق الشام

وأروعها : بين انطاكية واللاذقية

لوصفي ذكرها

—٢—

في الكيلو متر ٤٧٥ على يمين الطريق مكان اسمه « يايلا » ومعناه بالتركية المرتع ، يعلو نحو ٧٤٠ متراً عن سطح البحر ، وهو جميل المنظر جيد الهواء ، فيه عين ثرة يتدفق منها ماء عذب بارد ، وأشجار دلب عظيمة باسقة وبناء كبير مستطيل اتخذوه مقهى يرتاده أبناء السبيل الذين يجذبهم حسن المكان فيستريحون فيه برهة . وهنا يتمتع السائح بمنظر الجبل الاقارع واسمه القديم Cassius الشامخ بذورته الخروطية الشبيهة بفوهة البراكين الى علو ١٧٥٩ متراً ، وتحت جبل آخر يناوذه الى علو قليل يدعونه هنا طوران داغ ومعناه الجبل الواقف وكان اسمه القديم Anti-Cassius يقف هذا الطود الاشم في ساحل الشام الشمالي كالمنازل المرفوعة يشاهده ارباب السفن في البحر والقوافل في البر من مئات الاميال ، وهو كما يظهر من اسمه اقارع اي عار عن الحراج اذ كان اللون يغشاها الضباب في اغلب الاحيان . وقد كرمه الفينيقيون واتخذوه اليونان والرومان رمزاً لعبادة المشتري ، وصعد اليه القيصر ادريانوس وانتظر هزيع الليل الاخير ليشاهد اقبال النهار في الشرق وادبار الليل في الغرب في آن واحد ، وقدم القيصر يولييانوس فيه قرابين للشمس المشرقة ، ولا يزال النصيرية فيما قيل ينحون هذا المنحى

لم يتح لي الصعود الى ذروته ، لكنني علمت ان الواصل اليها يسرّح بصره في مشاهد غاية في الروعة والامتداد. فكأن خارطة شمالي الشام المفصلة تتكشف امامه بألوانها وخطوطها ومرتفعاتها ومنخفضاتها ومراكز مدنها وقراها . ففي الغرب البحر المتوسط ترغي وتربد امواجه عند حضيض هذا الجبل وزهو بزرقته وسعته الممتدين الى الافق المعين في البعد وتظهر فيه البوادر صغيرة كالزوارق ، وثمة جزيرة قبرص ترى بجلاء كسلحفاة ساجدة مدت رقبتها الطويلة نحاول ثم الساحل الشامي ، وفي الشمال عن بعد في انحاء كيليكية من بلاد الترك سلسلة جبال طوروس المكللة بالثلوج



في الشتاء والربيع ، وعن كتب داخل حدود الشام الحالية سلسلة جبال آمانوس « اللكام » ثم سهل العمق الافيج وبحيرة انطاكية الزرقاء ووادي العاصي النضر وسواحل الاسكندرونة والسويدية المرعة وجبل سمعان الذي فيه دير القديس سمعان العمودي ، وفي الشرق الجبال الوضيعة الممتدة من وادي العاصي إلى غربي حلب وجنوبها كجبل القصير والجبل الاعلى وجبل باريشا وجبل الزاوية وجبل الكرد الشمالي (١) وجبل سمعان الشرقي (٢) وجبل الاعص ، وفي الجنوب جبال البابر والبسيط والاكراد الداخلة في حدود اللاذقية والمغشية بالحراج الغيابة التي سيأتي ذكرها ثم سواحل اللاذقية وجبال التصيرية وقم لبنان الشمالي المسكلة بالثلوج في معظم ايام السنة

وبعد منتهى يابلا تنحدر الطريق نحو بقعة منخفضة محاطة بالجبال في وسطها في الكيلومتر ٥٢ قرية كبيرة اسمها ( اردو ) ومعناها بالتركية الجيش والمعسكر ، لان أهل هذه القرية وعددهم ٧٥٠ تركمان اصول ومناشئ مختلفة ، وما خلا عدد ضئيل من النصارى ، وهي حسنة الدور بعضها مسقوف بالآجر الاحمر ، جددت بعد الخراب الذي اصابها عقب الاحتلال الفرنسي بنهية اشتراك اهلها بالثورات التي حصلت ضد ذلك الاحتلال في سنتي ١٣٣٩ و ١٣٤٠ هـ . وعلو الاردو عن سطح البحر ٤٨٠ متراً وفيها مسجد واحد ومدرسة للحكومة ومخفر لجنود الدرك ومركز للبرق والبريد والهاتف . وقد تقدم في فاتحة مقالنا ان الادريسي ذكر في كتابه « زهرة المشتاق » وجود حصن في هذه الانحاء اسمه حصن الهربادة وان المستشرق الفرنسي دوسو ظن ان قرية الاردو مبنية في مكان هذا الحصن لاقترب الابعاد التي ذكرها الادريسي عليها . هذا وقد جعلت الاردو قاعدة ناحية تتبعها قرى اكزجي وبلانكوز وسوروثة وشافاق وصونقور وطمطم وقشلاق وغيرها الشبيهة اسمائها بقرى الاناضول

وفي غربي ناحية الاردو التركمانية ناحية اخرى ارمينية قاعدتها كسب ، تصل اليها السيارة في حلب (٣) طوله ١٢ كيلو متراً . وكسب قرية كبيرة جميلة عدد سكانها ٢٥٠٠ ذات بيوت مشرفة بعضها مسقوف بالآجر الاحمر تشبه عن بعد قرى جبل لبنان ، لانها بنيت في السفح الجنوبي لجبل الاقارع على علو ١٠٥٠ متراً عن سطح البحر وفي بقعة زاوية بالحراج الملتفة ، ولذلك يقصدها فريق من نصارى اللاذقية للاصطياف وفيها عدة مدارس ودير عظيم للاباء

(١) في شمال الشام جبالان ينسبان الى الكرد او الاكراد احدهما يتبع حلب ويؤلف قضاء خاصاً قاعدته بلدة عفرين المستحدثة واهله اكراد اتحاح لا يعرفون العربية . وثانيهما يتبع اللاذقية ويؤلف ناحية واهله اكراد اتوا منذ عدة قرون وتأثروا بالبيئة العربية ولم يعد لهم من الكردية الا الاسم

(٢) في شمالي الشام جبالان ينسبان الى القديس سمعان العمودي احدهما غربي حلب على بعد ٤٠ كيلومتراً وثانيهما غربي انطاكية وقرب السويدية والبحر على بعد ٢٥ كيلو متراً . وفي كليهما دير عظيم خراب باسم القديس المذكور . ولعل الثاني هو الاصح في الانتساب وقد ذكر ياقوت في مجمعه هذا الدير الثاني وأخطأ بقوله يصعد منه الى جبل اللكام وصححه ان يقول الى الجبل الاترع (٣) عتبت بالآلحج الطريق غير المعبدة الصالحة لسير السيارات في الفصول الحسنة فيسب واستعملها مقابل كلمة Piste الفرنسية كما ان الطريق المعبدة مقابل كلمة Chaussée



الفرنسيسكانيين الذين يهتمون بكنيسة هؤلاء الارمن . وقد جعلت كسب قاعدة ناحية تتبعها قري الارمن المجاورة وهي ايكيز اولوف وقره طوران وكوركنة ومرسلك وأرمن الجبل الاقارع كأرمن جبل موسى الممتد غربي انطاكية عريقون في قدمهم وسكنهم في هذه الانحاء ، وربما كان ذلك منذ القرن الاول الميلادي على عهد احد ملوكهم ديكرا الذي حكم انطاكية زمناً يسيراً ثم ازاله الرومانيون وبقي قومه في الاماكن التي اقطعها لهم . وهم هنا ما برحوا محتفظين بلبقهم وتقاليدهم الخاصة ، لكنهم في المذهب منقسمون الى نحل شتى : غريغوريين وبروتستانت وكاثوليك

وهؤلاء الارمن كأبناء جلدتهم في كيليكية كانوا في زمن غارات البيزنطيين والصليبيين والتتار على البلاد الشامية الاسلامية يرشدوهم الى المسالك والعورات التي كانوا مطلعين عليها بحكم المجاورة والاتصال ويقدمون لهم ارباب الصناعات الحربية التي كانوا بارعين بها كبناء القلاع والحصون وعارفي قواعد حصارها والدفاع عنها والتقاين والنفاطين ورماة المنجنيق وغيرهم من مستعملي آلات الهدم والحرق . وما برح الجيش الفرنسي في بلاد الشام يجمع من متطوعاتهم عدداً وفيراً خدموه اكبر خدمة في اطفاء ثورة الحليين في سني ١٣٣٩ و ١٣٤٠ وثورة الدمشقيين في سنة ١٣٤٤ هـ

بعد مغادرة قرية الاردو تبدأ بداعة هذه الطريق وروعها — اللتان جعلناها عنوان مقالنا — بالظهور في اجلى مباحجها . اذ ان الطريق بعد الاردو يتجاز جسراً طوله ثلاثون متراً فوق نهر القرشية احد روافد النهر الكبير الشمالي ، ثم تغفل وتسمع بين حراج الصنوبر المثقفة التي تليه بنضرتها ورشاقة سوقها وشذا اريجها ولا تزال في انحدار متوالٍ تموج تارة وتستقيم اخرى بين تلك الحراج حتى تصل في الكيلو متر ٦١٥ الى الحد الفاصل بين حكومتي انطاكية واللاذقية حيث العلو ٤١٠ متراً ثم تعود الى الصعود تدريجياً في ناحية البائر التركانية ذات الجبال والحراج والمنحرجات والثنايا <sup>(١)</sup> الرهية المتوالية ، منها في الكيلو متر ٦٢ ثنية تنسب الى قرية دوز اغاج القرية منها . واخرى في الكيلو متر ٦٤ تنسب الى قيزيل داغ « الجبل الاحمر » علوها ٨٠٠ متر وفيها منظر جميل يشرف على الجبل الاقارع واعضاده — الشرقية . وهكذا الى ان تصل في الكيلو متر ٦٦ الى ثنية « عين الحرامية » التي ينكشف فيها البحر المتوسط وحيث العلو ٦٢٩ متراً هنا في عين الحرامية صفحة لا تمل ، ورؤية لا تحتوي هما بيت القصيد في هذه الطريق التي قلنا انها ابداع طرق الشام واروعها . ففي الغرب البحر المتوسط يمعن في التبسط والابتعاد حتى يلامس السماء الصافية ، ويشدد هذا البحر في زرقته النياية او يجعلها خفيفة فضية بحسب ساعات النهار . وثمة شطوط — وينك وينك — نحو عشرة كيلومترات — تظهر شرقاً ملطخة بقطع بضاء ربما

(١) الثنية كل عقبة مسلوكة محصورة في الجبال وجمعها ثنايا ويقال لها في الفرنسية Col



انت زبد الامواج المتكسرة عند اقدامها. وعلى مقربة من تلك الشطوط جبل متواضع في علوه وضخامته اسمه صيرتلان داغ اي جبل الضبع زحف نحو البحر وحدث فيه رأساً يعرف الآن برأس البسيط وقديماً بـ Cap posidim على يمينه خليج صغير لا يواء السفن يدعوه الملا حون جوف البسيط وينك وبين تلك الشطوط حراج واسعة ملتفة كأنها لجة سندسية تبسطت فوق الهضاب والسفوح وغشت على الاودية والمشارف وحجبت المضائق والمعاطف واخفت تحت ظلالها مزارع وضيعات ذات دور متمترة ، منها دير عظيم للفرنسيسكانيين ، وفي ساعة الطفول تعكس اشعة الشمس على قشور الصنوبر الحمراء الملساء فتظهرها كالجمار المنهبة

وفي الشبال الجليل الاقارع واعضاده المترامية على اقدامه ، تظهر في جملتها وعشاء المنظر ، دكاء اللون متموجة الشعاب ، كثيرة المحارم والفجاج ، اكتست حتى منتصف علوها بالبلان والبريس واشباهها من الانجم الشائكة ، ثم رفعت قمماً من علو ١٢٠٠ الى ١٧٥٩ متراً ، جرداء بكسوها الضباب الخالد ومحيط بها ذكريات التجديد والتكريم . وفي الشرق جبال البايير المغشاة بالحراج الغياء العذراء<sup>(١)</sup> ذات المنظر السندسي النضر والاريج الراتنجي العطر الذين يأخذان بمجامع القلوب اما العين « عين الحرامية » التي تبدل خوفها القديم اماناً ووحشتها انساناً فهي في اسفل الطريق المعبدة ذات ماء عذب بارد ، عمل لها حوضان تظللها اشجار الصنوبر الباسقة . وندوة هذا المكان وقتنته وفوحان اريجها الراتنجي ونضرتة تجعله صالحاً لبناء فندق للاصطياف او مصح المصدورين الذين يجدون فيه كل اسباب الهناء والشفاء

وثمة شعب طوله نحو كيلو مترين ونصف او اقل يأخذك تحت مخرفة<sup>(٢)</sup> جميلة بين الحراج الغياء العذراء الى حصاة اي ساحة عارية بين اشجار وارفة<sup>(٣)</sup> تحسبها قطعة فرزت من مجمل افريقية الاستوائية وغاباتها الرهيبة التي كنا نقرأ عنها ثم نشاهدها في دور السبيل . هذه الساحة التي ليس لها اسم ولا يعرفها بعد الا القليل انفسحت بين تلك الحراج الملتفة ونمت حولها اشجار عظيمة دهرية من البلوط والزان والدلب وغيرها ، ثم ربت بين هذه الاشجار دوالي العنب البري وعرائش الملعي والعمشق وغيرها من النباتات المتسلقة والمتهدلة ، وامتدت من شجرة الى اخرى واحاطت بسوقها واشتبتكت حتى صارت كقنب السراقد والصواوين الحشبية . وهناك عين جارية تتدفق تحت دلبة عظيمة تزيد في طراوة هذه الساحة وروقتها يجر ماؤها كالشلال وينحدر نحو واد لا يقترب منه لالتفاف نباتات السرخس والطحاب والعلق وغيرها ، ناهيك السراطين التي لا تعد ولا تحصى . وتحاول اشعة الشمس ان تحترق هذه الاشجار والانجم الملتفة والعرائش المشتبكة فلا تجد الى ذلك سبيلاً . لا جرم ، ان عين الحرامية

(١) الغياء هي الحراج ذات الشجر الملتف والعذراء التي لم تمسها يد حاطب بعد

(٢) المخرفة الطريق بين الاشجار ويقابلها في الفرنسية allée (٣٠) يقابلها في الفرنسية كلمة clairière



ومشاهدها وينابيعها وحراجها وشذا اريجها وساحتها الظليلة البليلة هي من اجل اماكن الزهرة والعزلة واجدها في شمالي الشام يجدر بحكومة اللاذقية ان تعني بها وتقيها هي والحراج — المجاورة لها من فوؤس الحطاين وعبث الخريين ريثما تقوم ببناء مصيف او مقصف صالحين لارتياح محبي التمتع بمثل هذه المحاسن الطبيعية وراغبى الشفاء من الامراض الصدرية

وعلى ذكر هذه الحراج اقول انها من اجل ما رأيت في بلاد الشام سعة وكثافة وحسناً تبلغ مساحتها فيما قيل نحو عشرة الاف هكتار . والجنس السائد فيها هو الصنوبر المعروف بالحلي يليه الزان والقطب والسنديان والزمزريق والبطم والزعروور البري والاجاص البري، وفي الاودية الرطبة الدلب، وثمة بعض الانجم والاعشاب النافعة اخصها السباق ونبات البيرتر الطبي

على انني لحظت في كثير من الاسف ان صنوبر هذه الحراج قد نشبت في كثير من اشجاره مخالب حشرة يغلب على ظني انها البومبيكس الاحتفالية *Bombyx processionaire* التي تعد من افتك اعداء حراج الصنوبر . فهي هنا نسجت على اغصانه شباكها الشبيهة بالعنكبوت فغيرت بهجته وصوحت نضرتة ، وشرع هذا الكثير المصاب بالجفاف والانقصاص . ولا ادري ان كانت « دائرة الزراعة والحراج » في حكومة اللاذقية على علم بهذا الداء الفتاك وعلى عزم الاهتمام بمعالجته قبل تفاقم شروره وانقراض آخر تراث من هذه الثروة الطبيعية التي لا تعوض بقرون كما انقرض امثالها من معظم جبال الشام بحكم نقص التفكير وسوء التدبير

هذا وكما تمتاز هذه البقعة الجميلة بحراجها الجميلة تمتاز ايضا بوجود انواع من الحجر الاخضر المعروف بالسماقي وكذا انواع من الاحجار ذات الالواح والطبقات كالآردواز والبورفير والشيسست والكلس . وقيل ان استخراج الحديد في جهات البسيط ممكن واقليم هذه البقعة رغم قلة ارتفاعه عن سطح البحر يعد صالحاً للاصطياف لدوام الرياح البحرية العالية

اما التركان القاطنون في هذه البقعة وفي ناحيتي الاردو والقصير الفوقاني — وقد تكرر ذكرهم مراراً — ومثلهم القاطنون في غربي الشام ووسطه وجنوبه ففرقهم عن الترك كفرق الاعراب عن العرب ، هؤلاء بدو واولئك حضر . اذ لا يزال من التركان في بلاد الاناضول وقلب آسية قبائل عظيمة ذات نجعة وارتياح لمراعي الماشية التي يتعيشون بها دون سواها . على ان الذي في بلاد الشام قد تحضروا وصاروا — قرويين وفلاحين ، لكنهم ما برحوا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وهي تركية سقيمة دخلها كثير من الكلمات العربية العامة . وقد اختلفت الروايات في تاريخ محبي هؤلاء الى بلاد الشام وسببه . واقرب الاقوال الى الصحة ان اول من جاء بهم هو السلطان سليم العثماني حينما اقدم على فتح الشام سنة ٩٢٢ هـ ثم سار على غراره اخلافه من الوزراء الذين تعاوروا الولاية في هذه الديار ، وظلوا يحرفون هذا السيل من حين الى آخر ، يأتي دافقاً ولا يلبث قرناً او اقل حتى يتضاءل بحكم اختلاف الاقليم وتوالي الاحن ،



ودام هذا الجرف حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري، قصد العثمانيون بذلك على ما يظهر تكثير سواد أبناء جلدتهم بين عرب الشام وتزويد نفوذ دولتهم بهؤلاء القوم الذين خلقوا للضرب والطعن وتركان الاتحاد الشمالية « بين انطاكية واللاذقية » وان بقوا على فطرتهم وجهل ما عدا لغتهم لقرب عهدهم ببلاد الترك واعتصامهم بجبال وحراج لا ترام، لكن الذين تديروا منهم انحاء حماة وحصص وتلكلخ وحذور « شرقي طرابلس » والجولان « جنوبي دمشق » ذابوا في البيئة الشامية او كادوا، لا يميزهم الغريب عن أبناء البلاد الاصلية الا اذا حدث في هيئاتهم واصفى الى احاديثهم فيما بينهم، يحدتهم محتفظين بقاماتهم وسحنهم التورانية وبلغتهم الموصوفة آنفاً

وقيل ان منشأ تركان شمالي اللاذقية من انحاء كلكخ وارزحجان في شرقي الاناضول الشمالي، ومنشأ تركان وسط الشام وغربه وجنوبه من قبيلة افشار التركمانية الضاربة في قلب الاناضول بين سيواس وآذنة، وان تركان اللاذقية — متوزعون في ضياع وضيعات اكثرها في ناحية البائر وبعضها في ناحية البسيط واقلا في ناحية الهلولة. واشهر ضياعهم في الاولى كبلية وهي قاعدة الناحية ثم شمرووران وشرن ودرويشان وغمام وكبرا وعيسى بينار وقره جانغز وقزل شاط وقولجق وقروجة ونصيين وزويك. وفي الثانية سرايا وهي قاعدة الناحية وبيت عوان وفاقي حسن وعيسى بكلي وطورنجة وبوزاوغلان وكساجك وزغرين ومران وفي الثالثة صليب ورج اسلام وهما كبيرتان ومجموعهم في هذه النواحي الثلاث نحو خمسة عشر الفا، يغلب عليهم الجهل والفيل والبؤس ثم الانقياد الى زعمائهم الملقين بالاغوات ذوي السيطرة الاقتصادية المخلدة منذ العصور المتوسطة

هذا ومن عين الحرامية يتمكن المولع بالسياحة ان يصل بعد ساعة ونصف الى قرية الفاقي حسن التركمانية، وفي قربها في قرية باعجغاز الارمنية دير كبير للآباء الفرنسيسكانيين، وهؤلاء كرملائهم الذين في قرية كسب المذكورة آنفاً همهم ان يكتسبوا الارمن. ويمكنه أيضاً ان يصل بعدها خلال ساعة الى شاطئ البحر ويشاهد فيها رأس البسيط والاطلال الاثرية التي حوله وجون البسيط الذي قضى فيه اسطول ابراهيم باشا المصري فصل الشتاء عام ١٢٤٨ هـ

رجع إلى الطريق — بعد عين الحرامية تظل الطريق في صعود إلى ان تصل في الكيلو متر ٦٧ الى علو ٨٥٠ متراً وهو منتهى العلوعن سطح البحر، وهنا منظر تمتد النهاية جميل للغاية يشبه ما في عين الحرامية. ثم تشرع الطريق بالانحدار السريع فتمر في الكيلو متر ٦٩ بثنية تكشف حراج البائر الشرقية الممتدة حتى الطريق المعبدة بين اللاذقية وجسر الثغر. وثمة جبل منفرد ومغشى بالحراج يشبه سرج الخيل، علوه عن سطح البحر ٣١٢ متراً وفيه عين ثرة ذات ماء عذب بارد تدعى قسطل معاف وفي الكيلو متر ٧٠ منظر جميل للغاية يمتد نحو الشرق والجنوب والغرب ويشرف على حراج البائر ووادي النهر الكبير وجبال النصيرية وسواحل اللاذقية. وفي



الكيلو متر ٧٤ قرية زينوف التركمانية وواديها حيث العلو ١٦٠ متراً ، وفي الكيلو متر ٨٢ نهر قرب قرية بلوران حيث العلو ٧٠ متراً ، وفي الكيلو متر ٨٥ على يمين الطريق قرية قرجالية وثمة سفوح ذات صخور بيضاء وكثبان رملية نبتت فيها اشجار الصنوبر ، وفي الكيلو متر ٨٩ جسر حديث مبني بالاسمنت على نهر القنديل حيث العلو ١٧ متراً وحيث منتهى الحزون ومبدأ السهول . وعلى يسار الجسر لحب يذهب الى قرية زغرين فقريّة سرايا قاعدة ناحية البسيط . وفي الكيلو متر ٩٠ يجتاز الطريق نضراً ذا تربة كلسية على يمينه مشهد جميل نحو البحر . ثم من هنا تظل الطريق سائرة بين سفوح ناحية البهلوية في الشرق والساحل البحري في الغرب . وفي هذا الساحل قريتا برج اسلام وبرج صليب التركمان الكيرتان . وفي قريتهما على البحر فرضة تدعى ميناء الفاسري فيها مرفأ أثري اسمه القديم Pasieria . وفي الكيلو متر ٩٧ مفرق الطرق اللاحبة الذاهبة الى قرى الشبطلية وبرج صليب في الغرب وجوزبة في الشرق . ومن ثمّ تسير الطريق على خط مستقيم في سهل افصح كثير التراب والغيث وتجتاز على التوالي اودية مياهها جافة في معظم ايام السنة منها نهر العرب الذي يفصل بين حدود القرى المتكلمة بالعربية عن المتكلمة بالتركية ، ووادي جهنم ونهر الشبيط

ومن هنا زداد اشجار الزيتون وتظهر اكثر نمواً والتفافاً ، ومثلها ايضاً حقول القطن المنتشرة في هذه الانحاء ، يزرع القطن فيها عديداً دون ري وفي الكيلو متر ١٠٨ مفرق اللحب الذاهب الى مينة البيضاء الى رأس الشمر الذي ظهرت قبل خمسة اعوام بين رسومه الطامسة عاديات هامة منها قطعة عاج من الصناعة الاقريطشية واوان مصرية من الرخام الابيض وخانجر ومدى من البرونز ومدى مصرية من البرونز ، وظهر ايضاً في تل مركوم مستودع اسلحة استخرجوا منه رمحاً وفؤوساً وسيوفاً والواحاً من الاجر المشوى فيها كتابات بعضها بالحروف البابلية وبعضها بحروف مجهولة يحاول علماء الآثار حلها ولما ينتهون ، وهي تعود للقرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد . وبعد الكيلو متر ١٠٨ تظهر مدينة اللاذقية عن بعد بما ذنها البيضاء وسقفوها الحمراء وفي الكيلو متر ١١١ تمر الطريق بين كروم الزيتون وبساتين البرتقال واسيجة الصبر « التين الشوكي » المحيطة بقرية دمسرخو النصيرية . وهنا لحب يذهب غرباً نحو رأس ابن هاني الذي حوله شبه جزيرة فيها اطلال دارسة كاسس وجدران ومدافن واساطين اعمدة ومدرج وهيكل وغير ذلك مما يعود على ما يقوله الاثريون الى بلدة كان اسمها ديسبوليس Diospolis . وفي الكيلو متر ١١٣ تمر الطريق بين آثار مدافن قديمة ، وعلى يسارها تل فاروس الذي كان فيه في العصور المتوسطة دير عظيم اسمه دير الفاروس ، وفي الكيلو متر ١١٥ مدينة اللاذقية الجميلة التي لها ولما بعدها من البلدان والبقاع الساحلية والجليلة تاريخ واسع وحديث ممتع ربما عقدت لها مقالات خاصة في فرصة اخرى



# النور والاضاءة

بحث علمي عملي

للكنور الياس صليبي

— ١ —

جاء في دائرة المعارف البريطانية ان النور هو التأثير الحسي الذي نشعر به عن طريق العين ولكن ما هو النور وكيف يحدث وهل هو ذرات او امواج ؟ كل ذلك أمور تضاربت فيها الآراء وقد شرحها المقتطف في مقالة نفيسة ظهرت من بضع سنوات اليك بعض ما جاء فيها كان العلماء فريقين في نظرهم الى النور الفريق الاول وزعيمهم نيوتن يقولون انه ذرات صغيرة تنطلق بسرعة فائقة من جسم منير فتؤثر في شبكية العين وعصبها تأثيراً يجعلها تبصره والفريق الثاني وزعيمهم هو جنس يرون انه موجات أفقية يرسلها الجسم المنير في الاثير فتسير سيراً عمودياً حتى اذا بلغت العين أثرت في شبكية تأثيراً يؤدي الى رؤيته . وجاء بعد هذين الفريقين العالم الطبيعي الشهير كلارك مكسويل وقال ان امواج النور من نوع الامواج الكهربائية المغناطيسية فهي في ذلك تشبه موجات اشعة اكس والاشعة اللاسلكية . وجاء أخيراً الأستاذ كمتن وقال ان النور امواج او ذرات من القوة تسير سيراً موجياً وان الكهرباء الاول المنطلق من جسم منير بسرعة عظيمة اذا أصاب لوحاً من البلاطين مثلاً تحولت قوة حركته الى فوتون اي الى ذرة من اشعة اكس وهذه تنطلق بسرعة النور فاذا أصابت كهرباً في لوح خشب او شيء آخر أخذ الكهرباء قوتها وانطلق بسرعة الكهرباء الاول الذي اوجد الفوتون نفسه . وقد تمكن العلماء بهذه النظرية من تعليل بعض المظاهر الطبيعية التي لم يكونوا يستطيعون تعليلها بواسطة النظريات السابقة . انتهى ما جاء في المقتطف

والنور نوعان طبيعي وصناعي

والشمس مصدر النور الطبيعي اي النهاري ونورها ابيض زام بفضل كثيراً كل الانوار الاخرى واذا اردنا ان نكون بالصناعة نوراً ابيض مشابهاً لنور الشمس يجب ان نحمي جسماً جامداً الى



درجة التوهج فقطعة الحديد المعرّضة لنار الكير تخرج اولاً أشعة حمراً يشتدّ احمرارها بعد قليل وتخرج في الوقت عينه أشعة برتقالية ثم تخرج بعد ذلك على التوالي أشعة صفراً ثم خضراً ثم زرقاً ثم بنفسجية وحينئذ يلوّح بمجموع هذه الاشعة للعين كنور ابيض شديد اللعان . فشعاع النور الابيض المتوهّج اذاً ليس بسيطاً كما يخيّل الى الناظر اليه ولكنه مركّب من عدد من الاشعة المختلفة الالوان والانحراف كما ظهر من العملية التركيبية التي تقدّم وصفها وكما يظهر من العملية التحليلية التالية

اذا اجتاز شعاع من النور منشوراً زجاجياً موضوعاً في فتحة تؤدي الى غرفة مظلمة ثم سقط على حاجز في هذه الغرفة تحلّل هذا الشعاع الى الاشعة الاصلية التي يتركّب منها وظهر على الحاجز كشريط مستطيل مختلف الالوان الجزء الاقرب منه وهو الاحمر اقل هذه الاشعة انحرافاً والجزء الابعد وهو البنفسجي أكثرها انحرافاً . ومجموع الاشعة الصادرة من جسم يبرّر يقال لها طيفه واول من حامل نور الشمس وهو نيوتن وجد انه يتركّب من الاشعة التالية وهي الاحمر فالبرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي كما تراها في قوس قزح ويحتوي شعاع الشمس علاوة على ما تقدّم على أشعة غير منظورة في طرفي طيفه اي تحت الاحمر وفوق البنفسجي

وتشتد حرارة أشعة الطيف كلما دنونا من الاحمر وتزداد بعد ما تتجاوزه اي ان اشدّ الاشعة حرارة هي أشعة ما تحت الاحمر ويسهل اثبات ذلك بمقياس حرارة حساس مدهون بالهباب ولا ترتفع الحرارة في الطرف الآخر من الطيف حيث اشعة ما فوق البنفسجي التي يتم عليها تأثيرها الكيميائي . والفعل الكيميائي لاشعة الطيف على عكس حرارتها يزداد كلما دنونا من البنفسجي فحرارة الضوء تصدر عن اقل اشعته انحرافاً وخصوصاً عن الاحمر وما تحته اما فعله الكيميائي فيصدر بالاخص عن الاشعة البنفسجية وما فوقها . بقي الاشعة المضئّة وهذه تشمل اشعة الطيف المنظورة كلها واشدها ضياء الاشعة الصفرة والخضر

ويختلف طول امواج الاشعة باختلاف انواعها واقصر موجة من امواج أشعة الضوء لا يتجاوز طولها جزءاً من عشرة آلاف من المليمتر ويبلغ طول موجة ما فوق البنفسجي جزئين من عشرة آلاف من المليمتر اما امواج الاشعة التي تراها العين فيختلف طولها من اربعة اجزاء من عشرة آلاف من المليمتر في البنفسجي الى ما يقرب من سبعة اجزاء من عشرة آلاف في الاحمر ويبلغ طول موجة ما تحت الاحمر جزءاً من الف من المليمتر

ويختلف ايضاً عدد اهتزازات امواج الاشعة التي يصدرها النور فأشعة الحرارة او ما تحت الاحمر تبلغ اهتزازات تموجاتها من ١٧١ الى ٣٤٢ تريليوناً في الثانية والاشعة النيرة التي تراها



العين تبلغ اهتزازاتها من ٣٤٢ الى ٦٨٤ تريليوناً في الثانية والاشعة الكيماية او أشعة ما فوق البنفسجي الغير المنظورة يبلغ عدد اهتزازاتها أكثر من ٦٨٤ تريليوناً في الثانية وهذا النوع الاخير أشد الاشعة ضرراً بالبصر وهو السبب في الرمد الكهربائي ورمد الكسوف وفقد البصر الناتج عن رؤية الاشياء الشديدة التألّق كالصواعق

وقد نشر شنزروسنو كوزن ما تسببه أشعة الضوء المختلفة من الضرر بالعين تبعاً لطول موجاتها فالاشعة التي يبلغ طول موجاتها من ٠.٠٠٠٧٦ من المليمتر الى ٠.٠٠٠٤ من المليمتر تبلغ الشبكية وتبصرها العين

والاشعة التي يبلغ طول موجاتها من ٠.٠٠٠٤ من المليمتر الى ٠.٠٠٠٣٥ من المليمتر تسبب تألق العدسية ولا تصل الى الشبكية الا اذا خلت العين من العدسية لعلّة ما ( كما يحدث بعد عملية المائيّة البيضاء ) وفي هذه الحالة اي عند وصول تلك الاشعة الى الشبكية تصاب هذه الطبقة بأضرار مختلفة ويرى بعضهم ان تناقص بصر الذين عملت لهم عملية المائيّة البيضاء مسبب عن هذا الامر

والاشعة التي يبلغ طول موجاتها من ٠.٠٠٠٣٥ من المليمتر الى ٠.٠٠٠٣ من المليمتر تنصّبها العدسية واذا كانت موجات الاشعة أقصر من ٠.٠٠٣ من المليمتر فانها لا تحترق القرنيّة وتحدث في العين عللاً خارجيّة

وانبعث النور من الاجسام المضيئة ناتج عن ارتفاع حرارتها فتي بلغت هذه الحرارة ٥٢٥ درجة بالمقياس المثوي بدأت الاشعة الحمر بالظهور ثم تلوها الاشعة الاخرى حتى البنفسجية بحسب ترتيبها وكلما ازدادت الحرارة ازداد انبعث الاشعة البنفسجية وما فوقها فيستنتج مما قدّم ان ضوء الشمس يحتوي على مقدار عظيم من الاشعة الكيماية لأن حرارتها شديدة جداً . غير ان الجانب الاكبر من هذه الاشعة تمتصه طبقات الهواء المحيطة بالارض ولا سيما الطبقات السفلى الكثيفة . والدليل على ذلك ان الشمس حين الغروب عند ما لا تصل أشعتها الينا الا بعد مرورها في طبقات الهواء الأفيّة الكثيفة تفقد جانباً كبيراً من خواصها الكيماية فلا تؤثر الا قليلاً في لوح التصوير الشمسي وتصبح حينئذ ذات لون ارجواني ناتج عن امتصاص الاشعة الزرق والبنفسجية وما فوقها

فالاجسام النيرة هي أولاً اجسام ذات حرارة مرتفعة ومما يؤسف له ان الجزء الأكبر من الطاقة يضيع سدى في توليد موجات الحرارة وان الجزء الذي يولد النور لا يربى على واحد في المائة من مجموع الطاقة لذلك يبذل المشتغلون بالاضاءة جهدهم في البحث عن وسيلة



تمكنهم من زيادة احماء الاجسام ليزداد النور الخارج منها. لكن هناك امرأ حرجاً وهو انصهار هذه الاجسام فكل معدن يصهر بحرارة منخفضة كالرصاص لا يصلح للاضاءة وعلى الضد من ذلك التنجستن الذي يصهر على ٣١٠٠ درجة من الحرارة فانه اُصلح ما يكون لهذا الغرض<sup>(١)</sup>

\*\*\*

﴿النور وتأثيره في الاجسام والعين﴾ لا شعة النور المنظورة وغير المنظورة تأثير مباشر في اجسامنا وفي المحيط الذي نعيش فيه فالطقس والضغط الجوي والرطوبة تتأثر بأشعة الشمس كثيراً او قليلاً والتعرض لهذه الاشعة يؤثر ايضاً في نمو الجراثيم المختلفة وضعفها ويساعد على نمو النباتات التي تمتد بها وعلى تولدها

ولكن لم يعرف الا حديثاً ما لاشعة الضوء من الشأن العظيم في تركيب الثنيماتات وهي المواد الغذائية التي لا غنى لنا عنها فقد ظهر من البحوث كثيرة لا محل لذكرها هنا ان عدداً كبيراً من المواد التي لا تأثير لها في علاج الكساح تصبح ذات قيمة علاجية حقيقية اذا عرّضت في ظروف معينة لاشعة ما فوق البنفسجي الصادرة من نور الشمس او من مصباح بخار الزئبق وهذه الاشعة تقتل الميكروبات كما يتضح من تعقيمها الماء وتكثر في الحبال حيث الهواء لطيف خالٍ من الغبار ولذلك انشأوا فيها ملاجئ المسولين ومستشفياتهم. ويزعم الاطباء ان تلك الاشعة هي العامل الاكبر في تحسين حالة المرضى الذين يقصدون هذه الاماكن لانها تقوي فيهم عوامل التمثيل metabolism فيزداد التأكسد ويزداد الوظائف الجسدية نشاطاً وسرعة

وتدلنا العين على ما نحتاج اليه من النور فكل نقص او عيب فيه يؤثر في الشبكية ويتعب البصر وتختلف مقدرة العيون على احتمال الضوء باختلاف مقدار المادة الملوّنة التي فيها فمن كان ذا لون أسمر يتحمل اكثر من ذي اللون الاشقر ومن الاحسب<sup>(٢)</sup> albino لان كثرة المادة الملوّنة السوداء في عيني الاسمر تمتص من الضوء الذي يدخلها ما يزيد عن الحاجة وللامادة ايضاً بعض التأثير فالرجل الذي يقدم من البلاد الشمالية الى بلاد استوائية حارة ترجح شدة الضوء لاسيما في الايام الاولى والاحسر (القصير البصر) لا يتحمل الضوء بقدر ما يتحمّله طويل البصر لان البؤبؤ في عين الاحسر اوسع عادة منه في عين غيره فيجتازه مقدار أكبر من الضوء ثم لان احسر الشديد يصحبه غالباً ضمور المشيمية وزوال ما فيها من المادة الملوّنة التي نوهنا عن فائدتها في امتصاص الزائد من الضوء

وتتكيف العين وفقاً لتغيرات الضوء ولا تتألم من هذه التغيرات الا اذا توالى بسرعة

(١) على ان ما لا تستطيع الصناعة تستطيعه الطبيعة في بعض انواع الحيوانات المضيفة يذهب ٩٩ جزء في المئة من القوة التي تصرفها في تكوين النور (٢) الاحسب : ذو بياض مشرب بحمرة



كبيرة فاذا انتقلت العين من محل مضاء إلى محل مظلم أمكنها بعد بضع دقائق ان تبصر قليلاً من غير مجهود سوى اتساع البؤبؤ إلى أن يبلغ قطرها ثمانية مليمترات ونصف المليمتر بالاكثر وتختل العين كذلك بسهولة نور الظاهر في أشهر الصيف ما لم تسقط هذه الأشعة عليها رأساً او تعكس اليها من اشياء لمساعة وينقبض البؤبؤ حينئذ إلى دائرة قطرها مليمتر واحد وتسعة اعشار المليمتر

\*\*\*

﴿ خواص البصر ﴾ — حسبوا بالتدقيق مقدار الضوء اللازم لتبلغ خواص البصر منتهى قوتها وأولى هذه الخواص حدّة البصر التي تميزها تفاصيل ما نبصره وهي تزداد سريعاً بازدياد اضاءة الشيء المنظور حتى تبلغ الاضاءة خمسين لو كسماً<sup>(١)</sup> ثم تصبح الزيادة بعد ذلك غير محسوسة او معدومة تماماً مهما بلغت قوّة الانارة فيخيّل لنا حينئذ ان الاضاءة التي تبلغ خمسين او ستين لو كساً هي غاية ما محتاج اليه على ان الحقيقة ليست كذلك فان الخاصة الثانية من خواص البصر وهي سرعة الرؤية تزداد سريعاً بازدياد النور الى ان تبلغ الانارة ما فوق المائة لو كس وهي سرعة الرؤية تزداد سريعاً بازدياد النور الى ان تبلغ الانارة ما فوق المائة لو كس والخاصة الثالثة من خواص البصر هي سرعة تكيف العين لرؤية اشياء مختلفة الحجم والابعاد وهذه الخاصة تزداد أيضاً بسرعة الى ان تبلغ الاضاءة سبعين لو كساً ثم تزايد يبطئ الى ما فوق الثمانين لو كساً

\*\*\*

﴿ عيار الضوء ﴾ لابدّ للمشتغلين بفن الاضاءة من معرفة ما تتفقّه المصابيح المختلفة والمدّة التي تبقى فيها صالحة للعمل وقوة ضوئها ومن السهل قياس النفقة بعبارة الوزن والحجم المترية كالغرام واللتز او بالعبارة الكهربائية كالقواط والاميير والواط. اما مدّة العمل للمصابيح المختلفة كمصباح البترول او شبكة اور والمصباح الكهربائي المتوهج فلا يمكن تعيينها الا بالتقريب لان مصباح البترول يبقى صالحاً للعمل زمناً غير محدود وشبكة اور تطول مدّة عملها او تنقص تبعاً لنوعها والطوارئ التي تنتابها والمصباح الكهربائي المتوهج يضيء من الف ساعة الى مائتين والف ولكن قوته تتناقص في أثناء ذلك

أمّا قوّة الضوء فلا بدّ لها من عيار خاص وقد اختار أعضاء المؤتمر الدولي الذي انعقد في ٣ مايو سنة ١٨٨٤ عياراً للضوء سطحاً من البلاتين مساحته سنتيمتر مربع شديد الحرارة

(١) اللوكس هو مقدار الضوء الساقط عمودياً من مصباح قوته شمعة على سطح يبعد عنه متراً ويطلق عليه ترك اسم « الشمعة متر »



والتوهج حين انتقاله من السيولة الى الجمودة وسموه « عيار فيول » ولكن يحول دون استخدام هذا العيار بعض الصعوبات ولهذا استعاضوا عنه بعيارات ثانوية كمصباح كارسل والشموع المختلفة وفي سنة ١٩٢٤ ضبط ايف « عيار فيول » بأن جعل انبوباً من البلاطين ذا شق مستطيل للمراقبة يتوهج بتيار كهربائي

اما مصباح كارسل الذي يتخذ عياراً فيجب ان يضاء بزيت الزيتون التقي وان يكون قطر لهبه ٢٣ ملليمتر ونصف المليمتر وارتفاعه ٤٠ ملليمتر وان يبلغ ما يحرق فيه من الزيت ٢٠ غراماً في الساعة

\*\*\*

وتختلف الشموع المستعملة كعيارات للضوء باختلاف البلدان فالشمعة الانكليزية تصنع من شحم الحوت وبلغ ارتفاعها ٤٥ ملليمتراً ويحترق من مادتها ٥٦ ر ٨ من الغرام في الساعة والشمعة الالمانية تصنع من البرافين وقطرها ٢٠ ملليمتراً وارتفاع لهبها ٥٠ ملليمتراً اما الشمعة الفرنسية العشرية فتصنع من السيتارين المستخرج من شحم الحيوانات ويجعل ارتفاع لهبها بحيث يحترق من مادتها سبعة غرامات في الساعة وتبلغ قوة ضوءها جزءاً من عشرين من عيار فيول وتقاس قوة المصباح عادة على موازاة سطح يقطع لهبه افقياً وعلى بعد متر واحد ولكن اذا قسنا قوة المصباح من جميع الجهات الافقية اي على مدار اللهب ظهر لنا ان هذه القوة ليست واحدة فيها كلها على انه سهل علينا حينئذ ان نحسب متوسط القوة الافقية وهذا المتوسط لا يدلنا ايضاً على متوسط قوة المصباح الحقيقية لان نور هذا المصباح ينتشر في جهات اخرى غير الجهة الافقية يجب حسابها جميعها لاستخراج قوة المصباح الكروية الحقيقية التي تختلف طبعاً عن القوتين السابقتين وهاك جدولاً يبين نسبة عيارات قوة الضوء بعضها الى بعض

عيار فيول	مصباح كارسل	الشمعة النجمية	الشمعة الانكليزية	الشمعة الالمانية	الشمعة العشرية
١٠٠٠	٢٠٨٠	١٦١٠٠	١٨٥٠٠	١٦٤٠٠	٢٠٠٠
٠٤٨١	١٠٠٠	٧٧٥٠	٨٩٤٠	٧٨٩٠	٩٦٢٠
٠٠٦٢	٠١٣٠	١٠٠٠	١١٥٠	١٠٢٠	١٢٤٠
١٠٥٤	٠١١٢	٠٨٧٠	١٠٠٠	٠٨٨٦	١٠٨٠
٠٠٦١	٠١٢٧	٠٩٨٤	١١٣٠	١٠٠٠	١٢٢٠
٠٠٥٠	٠١٤٠	٠٨٠٥	٠٩٢٥	٠٨٠٢	١٠٠٠



# سَيَرُ الزَّمَانِ إِلَى

أَرْطَاهُ السَّوْمُ

هل يمكن أن تتوطد

أبراهيم باشا

البرنس سابونجي





# أركان السهرم

هل يمكن ان تتوطد ؟

جون مبرد كينز — انكليزي

« السلام رغبة . والحرب حقيقة »

اندره موروي — فرنسي

بدينغلر

سز روزفلت — اميركية

« العالم وطن الاوطان »

الاسقف انج — انكليزي

ده مررباغ

اوغو دانتريو — ايطالي

« المسيحية هي السيل »

انج ودمنه

لفلوك اليس — انكليزي

« سلّحوا الجامعة »

كينز

انست دمنه — فرنسي اميركي

« يعوزنا الاخلاص »

اوزفالد بدينغلر — الماني

غانري

السيور ده مررباغ — اسباني

« اوربا لا تتعلم الا اذا منيت بنكبة »

مراباغ غانري — هندي

اعظم هولاً من نكبة الحرب الكبرى »

لن بونافنع — صيني

لن بونافنع

— استفتاء عالمي لمجلة ناسم الانكليزية —



## — ١ —

اوزفالد شينغلر  
الفيلسوف  
الالمانى

لايسع الباحث ان يرد على هذا السؤال — هل يمكن ان تتوطد اركان السلام العالمي — الا اذا كان ملماً بتاريخ العالم . ولكن الالمام بتاريخ العالم ، يعنى ، معرفة احوال الانسان ، كيف كانت وكيف ينتظر ان تكون . فمة فرق كبير ، بين رأيك في المستقبل وكيف يمكن ان يكون ، ورأيك في المستقبل وكيف تشهيه ان يكون

السلام رغبة . والحرب حقيقة واقعة . ولكن التاريخ البشري ، لم يحقق رغبات الانسان ومثله العليا . فالحياة ، بين الناس والحيوان ، معركة . انها بين الناس معركة بين الافراد والطبقات والشعوب والدول ، وذلك متوقف على طبيعة الحرب وهل هي تجارية او اجتماعية او سياسية . هي معركة في سبيل القوة ، او الربح ، او العدل ، فاذا خابت الوسائل المختلفة التي يسلكها الانسان الى احد هذه الاغراض ، لجأ الى القوة

ومن دلائل الشؤم ان الشعوب البيض هي الشعوب التي تتحدث بالسلام الآن لا الشعوب الملونة . فاذا اقتصر هذا الحديث على افراد المفكرين والمثاليين ، فليس في ذلك ضرر ما . لان هذا كان شأنهم في جميع العصور السابقة . ولكن متى نزعنا الامم الى السلام ، كان ذلك دليلاً على الضعف والانحطاط . فالشعوب القوية التي لم تغلب عليها النعومة والفسفسطة ، لا تميل هذا الميل ولا تنزع هذا المنزع . فالتزوع الى السلام ، تسليم للمستقبل ، لان النزعة السامية المثالية ، تعني الاستقرار النهائي ، وهو حالة مناقضة لمعنى الحياة نفسه

ولا بد من الحروب ما زال هناك ارتقاء انساني ، لان النزعة السامية معها التسليم بادارة شؤون العالم ، للذين لا ينزعون الى السلام . ولا بد ان يبقى السلام مثلاً أعلى ، والحرب حقيقة واقعة . فاذا عازمت الشعوب البيض ان لا تتولى بعد الآن زعامة الحضارة ، فالشعوب الملونة تفعل ذلك ، فيصبح زعماءها حكام العالم

## — ٢ —

السلام العالمي الدائم ، كالسلام القومي الدائم ، لاهو متعذر اصلاً ولا يمكن اصلاً ، اذا اريد به فترات طويلة من الزمن ليس للعنف فيها شأن كبير في تقرير شؤون الناس والامم

ده مدريافا  
مندوب اسبانيا  
في جامعة الامم



ان بعض الامم الكبيرة ، تمتعت بسلام قومي خلال فترات طويلة من تاريخها . فالولايات المتحدة الاميركية تمتعت بهذا السلام من ايام لنكن . وليس ثمة اي حائل لا يمكن تحطيمه ، يحول دون التطور الدولي ، نحو حالة من العلاقات بين طائفة من دول العالم ، تشبه حالة العلاقات بين الولايات في جمهورية الولايات المتحدة الاميركية . والشروط اللازمة لتحقيق ذلك ، تطوي عليها الفاظ السؤال نفسه

فالسلم ، هو اتفاق بين ارادات متعددة . واذن فارادة الدول الستين او نحوها من دول العالم اليوم يجب ان تتفق لكي تفوز بالسلم . ولا يكفي ان تسلم جميعها ، بقانون دولي واحد ، مع ان هذا التسليم ، امنية تحدى اليها الركائب ان اتفاق لارادات يقتضي شيئاً اكثر من الاتفاق في اساليب السلوك . انه يقتضي اتفاقاً في الاغراض . ولكن كل امة من الامم تجعل اغراضها القومية ، هي الاغراض العليا التي تأتم بها

فالسلم لابد ان يبقى متعذراً ، الى ان تتخلى الامم عن هذه الاغراض الخاصة في سبيل الغرض الوحيد الجدير بتضافر الارادات القومية في سبيله — وهو تنظيم العالم تنظيماً معقولاً يجعله مئوى جديراً بالانسان

ان الوطنية القومية مهدت السبيل للسلم القومي ، في الامم . وليس هناك من سبيل الى السلم العالمي ، الا بتعزيز الوطنية العالمية . ولكن الوطنية العالمية ، لا تدرك باضعاف الوطنية القومية واتحادها ، بل بتطهيرها والتسامي بها . العالم هو وطن الاوطان . ومتى ادر كنا هذا اصبح السلم العالمي مستطاعاً

— ٣ —

ان توطيد اركان السلم العالمي يقتضي امرين : الاول ان تتضافر جميع الامم التي ترغب رغبة اكيدة في المحافظة عليه . والثاني يجب ان يظهر تضافرها في مظهر قوي يجعل خطر محاربتها خطراً حقيقياً لا يتعرض له الا احمق او مغامر . اما الاركان التي نهضت عليها جامعة الامم حتى الآن ، فكانت تقوم على فرض خاطيء وهو ان جميع الامم ترغب في السلم والعدل على السواء . لذلك كان مرماها منذ نشأتها ان تضم في نطاقها جميع الامم ، لا الامم الراغبة رغبة حقيقية فيهما فقط . وقد كانت الامم حتى عهد قريب تتظاهر برغبتها في السلم . ولكن هناك امم الآن لا تكتم رغبتها في الحرب . وهذا يبعث على تطور جامعة الامم تطوراً

جون مينردي كينز  
الاقتصادي  
البريطاني الكبير



قد يجعلها في النهاية مشتملة على الامم الراغبة في السلام دون غيرها . وهذا التطور مما يرحب به ، وسوف يكون مصدراً للقوة لا باعناً على الضعف من العبث ان نبحث في نزع السلاح الآن . بل على الضد من ذلك يجب على جامعة الامم ان تكون اقوى مما هي من الناحيتين العسكرية والاقتصادية ، بل يجب ان تكون اقوى من الدول المتعدية او التي يحتمل ان تعتدي على غيرها ، اذا كان ذلك مستطاعاً . الا ان هذا ، لسوء الحظ ، حلم بعيد التحقيق . لان جامعة تشتمل على الامم الراغبة في السلام تبقى ضعيفة لا حول لها ولا طول ، اذا لم تضم الولايات المتحدة الاميركية

وقد قيل لنا ان هذا محال لان الولايات المتحدة الاميركية تخشى ان تشبك في شؤون الدول الاخرى وان تربط مصيرها بمصير سائر العالم بل بمصير الحضارة

#### — ٤ —

اذا انكرنا إمكان السلام الدائم ، فكأننا تنكر شعلة الالوهة في طبيعة الانسان . وقد اخفقت الوسائل والاساليب التي استعملت لتحقيق هذا السلام ، لان الذين سعوا اليه كان يعوزهم الاخلاص ، من دون ان يدركوا ذلك . فالسلام لا يمكن ان يحقق بتوافر بعض الاحوال اللازمة لتحقيقه فقط لانه كالتفاعل الكيميائي لا يتم الا اذا كانت جميع الاحوال اللازمة له متوافرة . فاذا تخلّى زعماء الامم الذين يسيطرون على آلات التدمير ، عن هذه الآلات وهم يدركون نتائج اعمالهم ، لتحقيق السلام العالمي الدائم . وهذا مستحيل ما لم تتخلّ الدول الكبرى عن مشروعاتها الامبريالية . وهذا بدوره مستحيل ، ما لم تمتنع الامم الكبرى عن الاعتقاد في المنافسة التي تقتل الروح ، بل عليها ان تستأصل الرغبة في زيادة حاجات الانسان ، وما ينجم عن ذلك من زيادة مقتنياته الدنيوية

مهاتما غاندي  
الزعيم الهندي  
العظيم

وانني اعتقد ان اصل الشر هو حاجتنا الى ايمان حي بالله . ومن مآسي الحياة ان الامم التي تدعي انها تؤمن برسالة السيد المسيح وتدعوه رسول السلام ، لا تقرب عن شيء من ذلك الايمان في اعمالها

لقد تعلمت من حدائتي ، ثم حققت ذلك بالتجربة والاختبار ، بأن اخس الناس يستطيع ان يتعود الفضائل الانسانية الرئيسية . وهذه القوة ، التي لا شك فيها ، هي ما يميز الانسان عن سائر مخلوقات الله . ولو ان دولة واحدة



من الدول الكبرى ، اقدمت على عمل الانكار العظيم ، لا يتيح لبعضنا ان يرى السلام مستتباً على الارض

— ٥ —

ليس ثمة شيء مستقر أو كامل في حياة الانسان وشؤونيه . فالحاكم والسجون والعقوبات ، لم تستأصل شأفة الجرائم ، ولكنها جعلتها اقل مما كانت فصار في وسع المرء ان يعيش في سلام الى حد ما . الا ان الحرب الحديثة ، والاسلحة الفتاكة التي تستعمل فيها ، سوف تصبح خطراً مخيفاً على الحضارة ، حتى يجب على جميع الناس ان يبدلوا كل ما في وسعهم لتنفيذ القانون الدولي ، اذا شاءوا ان لا يقضى على النوع الانساني بالانقراض

ابره موروي  
الكاتب الفرنسي  
المشهور

ولوان جامعة الامم ، فازت بتأييد كل التأييد من جميع الامم المتحضرة ، لكن في وسعها ان تصبح اداة هذا العدل الدولي . ولكن الجامعة لم يتح لها امل النجاح في فترة ما من حياتها . فتخلف الولايات المتحدة الاميركية عن الاشتراك فيها ، حرّمها من تأييد احدى القوات الكبرى في العالم . وانكسرت بعد ان اضعفتها مدى خمس عشرة سنة ، هبت الى تأييدها وتعزيزها بنشاط عظيم ، في وقت ترى فيه فرنسا انه من المتعذر عليها ، ان تتحمس لها حماساً انكسرت الان لقد أدركنا بعد التجربة ، ان عهد الجامعة كان تعوزه الدقة . فأين نجد العلاج ؟ لا بد من اصلاح الجامعة اصلاً يمكن الولايات المتحدة الاميركية من الاشتراك فيها واذا تعذر ذلك وجب انشاء اتحاد اوروبي

واني لأخشى ، ان يكون الانسان ، ما يزال في حاجة الى عبر شديدة ، قبل ان يبلغ مستوى الحكمة التي تفرض على الامم قبول النظام الذي تفرضه محاكم العدل على الافراد

— ٦ —

لو اننا تذكرنا كلمات هربرت سبنسر بانه لا توجد كيمياء سياسية يمكننا من استخراج السلوك الذهبي من الغرائز الرصاصية ( اشارة الى تعذر تحويل الرصاص الى ذهب في علم الكيمياء ) لو فرنا على انفسنا شيئاً كثيراً من خيبة الامل من سنة ١٩١٨ الى الان . ان انقاذ الافراد والامم يتم بحسن النية ، لا بأي وسيلة سياسية

الاسقف ايج  
مفكر ديني  
وفلسفي انكليزي



ان الادلة التي يبسطها السر نورمن انجل وغيره ضدَّ الحرب ، لا يمكن ان تدحض . فالحرب بين امتين متحضرتين خطأٌ وجريمة . والحرب الكبرى ، كانت حرباً أهلية ، بين امم تشترك في ثقافة واحدة ، وليس بينها فوارق لا يمكن تسويتها . فكانت نكبةً على جميع الامم التي خاضت غمارها . فعود الى حرب من قبيلها ، قد يزعج اوروبا في عصر من الظلمة كالعصر الذي اعترض ارتقاء الحضارة بين سنة ٥٠٠ م وسنة ١١٠٠ م

واسباب هذا الداء — لاتنا لا نستطيع ان نطلق عليه اسماً آخر — هي كما يلي :  
١ — النزعة الفطرية في الانسان الى الخصام والكفاح . فقد انقضت على الانسان الوف من السنين وهو لا لحم Carnivorous يسير على قدمين . فليس بالسهل القضاء على القرد والبر فيه

٢ — الخوف — والخوف في كثير من الاحيان له ما يسوءه

٣ — بقاء الرغبة القديمة في التوسع الجغرافي  
اما بواعث الامل فهي كما يلي :

١ — اتساع نطاق المعرفة باحوال البلدان الاخرى وثقافتها . فليس ثمة انكليزي ، زار فرنسا او المانيا او ايطاليا او اميركا ، يرغب في ان يؤذي سكان هذه البلدان ، وزوجو ان لا يجدنا زوار انكلترا شعباً يستحق ان يؤذي  
٢ — حرت العادة في الغالب على ان يشهر الحرب ، من يخشى ان يخسر شيئاً . ولكن اذا نشبت حرب اخرى ، فلا ريب في ان من يملك شيئاً سوف يخسره غالباً كان ام مغلوباً

٣ — الحرب بين الامم خطأٌ في فهمنا لتسلسل الحوادث . ويا ليتني استطيع ان اقنع نفسي بأن الحرب بين الامم لا تليها حرب طاحنة بين الطبقات ولا ريب في ان الديانة المسيحية تملك علاجاً لكل هذا ، إلا أنه انقضت الف سنة على معرفتنا الديانة المسيحية ولكننا لم نحرب علاجها

## — ٧ —

يصبح السلام العالمي في حيّز المستطاع ، متى ادركت الانسانية انها في رغبها في نشر السلام والخير الاجتماعي العام ، حاولت ان تمنع النزاع المسلح بين الامم بمعالجته من غير الناحية التي يجب ان تعالجه منها

أوغو دانتزيو  
رئيس العصبة  
الاطالية في  
اميركا



ان خطط دعاة السلام ، ترمي في الغالب الى السيطرة على القوى العسكرية ، اعتقاداً منهم ان الشعوب الشاكية السلاح ، لا بد لها من استعمال سلاحها عاجلاً او آجلاً ضد جاراتها

ثم ان العلاقات السياسية الدولية ، قامت حتى الآن على قاعدة تعزيز قوة الامم الراغبة في السلام ، لكي تروغ الامم التي تحس ضرورة استعمال السلاح للفوز بما لا تفوز به بالاساليب السلمية . اي ان هذه القاعدة تقرر مبدأ خطيراً وهو ان هناك امماً تشعر بحاجة ماسة الى الخروج على السلام حالة انه لم يبذل اي سعي لازالة تلك الحاجة

ان الحروب العسكرية ، قد صدر عليها الحكم الادبي الدولي ولكن الحروب الاقتصادية — والتاريخ يعلمنا انها الباعث الرئيسي على العنف الدولي — هي ما تحالف الامم في سبيله وتتناذب . فاذا كان السلم الاقتصادي هو هدف دعاة السلام النظريين لم يكن من الضروري ان تتفق الامم على تحديد القوى الحربية ، لكل دولة من الدول ، لانك في الجماعة المستقرة المتمتعة برخاء العيش لا تحتاج الى تعيين عدد المسدسات التي يحق لكل فرد ان يحملها

## — ٨ —

اني لا اشك مطلقاً في ان السلام العالمي الدائم مستطاع ، وانه يتحقق متى وجدت المشيئة التي ترغب فيه . فليس ثمة حرب بين الحيوانات القريبة من الانسان ، وليس هناك دليل على وجود الحرب في تاريخ الانسان البدائي

وقد تكون الحرب ، ناحية من نواحي التقدم الانساني ، كانت في الماضي مفيدة ، في تعزيز روح النظام الاجتماعي ، والتعاون ، ولكنها اليوم ، في رأي معظم الشعوب ، اصبحت ولا ضرورة لها ، بل اصبحت وهي مبعث ضرر عظيم

حتى الدولة المنتصرة في الحرب ، قلما تفوز بضمان السلامة ، التي في سبيلها خاضت معاناة الكفاح

ان تضافر الامم الكبرى ، على السعي لتوطيد السلام ، سواء تم ذلك السعي بواسطة جامعة الامم او بآية واسطة اخرى ، يكفي لاحلال التحكيم محل الحرب

هفوك اليس  
الفيلسوف  
والاجتماعي  
الانكليزي



واذن فالواجب يقضي علينا ، ان نوضح للناس ، بوسائل التعليم المختلفة ، ما تجلبه الحرب على الحضارة من الضرر ، وان نبذل ما في وسعنا بصفة كوننا ابناء البلدان الديمقراطية من الضغط على حكوماتنا لالغاء الحرب

## — ٩ —

الاب ارنست  
دمنه مؤلف  
فلسفي اميري  
أمن المعقول ان نتكلم عن السلام الدائم وهل يمكن ان توطد اركانه في هذه الايام القلقة المضطربة ؟ لا ريب عندي في ذلك . فليس يعتمد الى التشاؤم بعد مراجعة المشكلات الدولية ، الا من كان الانفعال في طبيعته غالباً على العقل . والادلة التي يستندون اليها — اي تعذر تحويل الناس الى ملائكة ، والصعوبة في التوفيق بين البلدان والسكان ، وبواعث الطمع والغيرة التي لا يمكن استئصالها ، وطغيان الحكومات الدكتاتورية ، ولين الحكومات الديمقراطية — كانت ولا تزال حجبهم في قديم الزمان وحديثه

فليستندوا اليها ما شاؤوا اذ ليس ثمة ريب ، في ان جميع الامم ، كانت تعتقد من خمس عشرة سنة ، في امكان توطيد السلام . وليس ثمة ريب ، في ان ملايين من الرجال والنساء — زهرة الناس في معظم البلدان — لا يزالون على هذا الاعتقاد

وكل باحث في تاريخ الفكر ، يعلم ، ان المعتقدات التي تسود طوائف كبيرة من الناس ، لا بد من ان تتحقق في النهاية . وكل ما علينا ، هو ان نزيد عدد هؤلاء المؤمنين بإمكان السلام ، كما زاد عدد المؤمنين بالعلم ، وبالله

لم يأت عصر على العالم ، كان فيه الاعتقاد في عدم ضرورة الحرب ، اقوى مما هو الآن . وما نحتاج اليه ، انما هو الحكمة ، وضبط النفس ، والقدرة على الفهم ، التي يجب ان تصحب هذا الايمان  
فماذا يحول دون هذه السجايا ؟

لماذا لا نبشّر بالمسيحية كما يجب ان تكون ، او كما هي حقيقة ؟ واذا بشّرنا بها ، فما يحول دون نجاحها في هذا الصدد ، كما نجحت في ما لا يقل عن هذه المشكلة عسراً وتعقيداً ؟



## — ١٠ —

الذي فر نكان  
روؤفقت قرينة  
الرئيس روؤفقت

ان السلام العالمي الدائم مستطاع . ولكنه لا يصبح محتملاً ، الا اذا ادركت  
امم العالم ، بأن حفظ الذات يقتضي التنظيم في سبيل السلام لا في سبيل الحرب  
لا يسعنا ان نتوقع عقد معاهدات راسخة على الدهر . فلا بد من ان نجد  
اساساً ، يمكن تمثلي الامم من الاجتماع والبحث في هدوء وسكون ، وجوه التحول  
الطارئة على العالم ، والحاجات الجديدة الناشئة عنها  
من الواضح ان الشعوب تتغير والاحوال الاقتصادية تختلف فاذا ادركنا ان  
الخير المطلق ، مفضل على الخير الوقي الذي قد تجنيه دولة من الدول او فرد  
من الافراد ، أمكننا ان نلتقي ونبحث في المشكلات الناشئة ، وتسويتها ،  
تسوية معقولة

## — ١١ —

ان يو تانغ  
مؤلف وفيلسوف  
صيني

ان السلام الدائم متعذر الآن في اوربا لاسباب التالية : —  
١ — اتنا نبيع ونشتري دوليين ونفكر ونشعر وطنيين  
٢ — اتنا مخلوقات نصفها عقل ونصفها شعور . وسير الشؤون الانسانية  
خاضع للشهوات الحيوانية من خوف وحقد ورغبة في الثأر اكثر من خضوعه  
لاحكام العقل . وما زال ستالين وهتلر وموسوليني يحكمون اوربا فالراجح ان  
الحرب لا تزول  
٣ — ان جميع المؤتمرات الدولية تمنى بالحبوط لان المندوبين يمثلون مصالح  
بلدانهم المختلفة ، وليس ثمة سياسي عالمي ، يمثل مصالح اوربا المشتركة  
٤ — الفاشستية تعيش على امل الحرب ، ولا بد من ان تفي بما تعد  
ولا يصبح السلام الدائم ممكناً الا : —  
١ — متى قرأ جميع الاوربيين لاوتسو واخذوا بقسط من الحكمة  
والاستهتار Cynicism ( ولا يتخذ العالم الا المستهترون )  
٢ — متى ساد الفساد والارتكاب الادبي ، واصبح الضباط يحسبون الفرار  
فضيلة عليا . فاوربا لا تعلم الا اذا منيت بنكبة اعظم جداً من نكبة الحرب الكبرى  
٣ — متى اصبح المفكرين نصيب اوفر من التأثير في سياسة الامم وانشئت  
رابطة إخاء الاوربيين الصالحين الذي يضعون العدل فوق الوطن



## ابراهيم باشا<sup>(١)</sup>

تأليف القاضي مير كرايتس

للقاضي كرايتس يد على التاريخ المصري الحديث تذكر فتشكر . فقد نفحنا في سفوات قلائل بأربعة كتب وهي كتاب غوردون فكتاب اسماعيل فكتاب فتح السودان وهذا رابعها في تاريخ البطل المغوار والسياسي المحنك ابراهيم باشا

كانت الصورة الغالبة على الاذهان ان ابراهيم باشا على شهرته في فنون القيادة الحربية واتصاراته الباهرة في ميادين القتال لم يكن إلا سيفاً في يد آييه العظيم محمد علي باشا . ولكن اذا أتممت مطالعة هذا الكتاب خرجت منه وقد ارتسمت في ذهنك صورة واضحة لشخصية فذة هي شخصية ابراهيم باشا التي جمعت ما قلما يجتمع في خلق فرد من الناس — براعة في فنون الحرب واقداماً في ميادينها ودهاء وحكمة في السياسة ومقدرة نادرة في التنظيم والادارة . وقد كان ابراهيم باشا في جميع ذلك صاحب رأي قويم اثبتت التجارب والحوادث صحته وسداده يديه في غير وجل ولا تردد ولكنه كان اذا اختلف رأيه عن رأي آييه يغلب رأي الوالد حباً به وبراً واذعاناً له واحتراماً

ولست هذه الصورة الجديدة لابراهيم باشا من بنات الخيال الروائي بل هي نتيجة بحث وتقيب في معظم ما ألف وما كتب عن تلك الحقبة من تاريخ الشرق الادنى من كتب طبعت ونشرت ومذكرات رسمية ورسائل أذيع بعضها في هذه الكتب وظل البعض الآخر مطويّاً في سجلات الوزارات الاوربية او في محفوظات قصر عابدين

والقاضي كرايتس مدين في الاطلاع على معظم ما لم ينشر من هذه الوثائق لسخاء جلالة الملك فؤاد وبُعد نظره . فقد اباح له جلالته الاطلاع على سجلات عابدين وافق من حيه الملكي الخاص على نقل الوثائق المحفوظة في سجلات الوزارات الاوربية المختلفة . لذلك جعل المؤلف ديباجته شكراً خاصاً رفعه الى مقام جلالة الملك فؤاد

من المسائل التي اختلف فيها الرأي في تاريخ ابراهيم باشا مسألة نسبه وقد ذهب غير واحد من الكتاب الى ان ابراهيم لم يكن ابن محمد علي . ولكن القاضي كرايتس اثبت في الفصل الاول من هذا الكتاب اثباتاً قاطعاً ان ابراهيم كان ابن محمد علي وهذا الاثبات مستنبط من فهم دقيق لاحوال ذلك العصر من ناحية وقائم على وثائق لا يتطرق اليها الشك من ناحية اخرى . وبعض



هذه الوثائق من سجلات قصر عابدين التي لم تنشر بعد . فظهر بعضها هنا من الخدمات الكبيرة التي اداها المؤلف لفهم حقبة من التاريخ هي من اكثر حقب القرن التاسع عشر غموضاً وإبهاماً ليس في وسعنا هنا ان نتبع شخصية ابراهيم وقد اخذت تفتتح عن ازاهير العبقريّة منذ ما قدم مصر وتولى فيها عمل الدفتر دار وهو عمل اداري كبير الشأن الى ان تولى قيادة الحملة المصرية في الجزيرة واخضاع الوهابيين وكيف تجلّت حنكته السياسية ومقدرته الادارية في معاملة خصومه واتباعهم

ولكن الحقبة التالية من حياته كانت ذات شأن كبير في تاريخ الشرق الادنى واوروبا معاً . ففي خلالها حدثت حرب الاستقلال اليونانية ومعركة نافارين البحرية . وقد وقف المؤلف نحو ربع كتابه عليها .. فقد عهد الى ابراهيم من قبل الساطان عن طريق والده محمد علي في ان يخضع الثوار في اليونان . وما كاد يشرف على تحقيق هذه المهمة حتى تألبت دول اوروبا ببواغث سياسية ودبلوماسية مختلفة وتدخلت في الامر مؤيدة حق اليونان في الاستقلال . هذا التدخل افضى الى معركة نافارين بين اساطيل الدول الاوربية والاسطول المصري ولعلّ الخدمة الكبرى التي اداها كرايتس لفهم عصر ابراهيم باشا قائمة على توضيحه مقدمات معركة نافارين وحوادثها وبواعثها

فقد قرأ الوثائق الرسمية قراءة صبر وفهم وخرج منها برأي جديد يوضح الموضوع ويضعه في نصابه الطبيعي

\*\*\*

اثبت القاضي كرايتس ان محمد علي باشا و ابراهيم باشا كانا يدركان قيمة الاسطول وفائدة السيطرة على مسالك البحار . وفي فصل آخر من فصول الكتاب نقل المؤلف قطعة من رسالة كتبها ابراهيم باشا وهو في الاناضول تبين ادراكه هذا وتوضحه فانه طلب وقفها ان تضم كليكية والاناضول الى مصر لان مصر تحتاج الى خشب حراجها في بناء الاسطول فرجل يدرك هذا الادراك قيمة القوة البحرية لا يعقل منه ان يعرض اسطوله للدمار نزقاً ، في معركة مع الاساطيل المجتمعة لدول اوروبا البحرية . ثم ان الوثائق التي اعتمد عليها المؤلف وهي لمثلتي دول اوروبا في مصر تثبت ان محمد علي كان مستعداً ان يخسر بعض سفنه اذا تظاهرت الدول الاوربية بقواتها البحرية أمام الاسكندرية لكي يثبت للسلطان انه مستعد لنجدته بأسطوله في المورة لولا الدول الاوربية التي حالت دون ذلك

يضاف إلى هذا انه لما دارت معركة نافارين كان ابراهيم باشا على البر في المورة يحاول ان يرد العصاة ومن يؤيدهم من متطوعة الافرنج . وتاريخ ابراهيم العسكري بجملائه وتفصيله لا يحمل



احداً على الظن بأنه يثير معركة تعرض اسطوله للتدمير ثم لا يحضرها أو يديرها بنفسه  
هذه الحقائق وغيرها تبين ان محمد علي و ابراهيم ما كانا ليقدموا على مهاجمة العدو في ناظرين  
تهجماً واذن فلا بد من البحث عن سبب آخر لتفسير ما وقع

يرى القاضي كرايتس ان السبب المعقول هو سوء تفاهم وقع بين ابراهيم باشا و اميرال  
الاساطيل المتحدة . فالهدنة التي تم الاتفاق عليها حسبها ابراهيم باشا شاملة لحركة الامداد التي  
تأتيه من الاسكندرية فقط كما حسب ان ما طلبه من الاميرال وهو الحد من عمل اللورد  
كوكرين الانكليزي في مساعدة الثوار اليونان كان من شروطه التي تم الاتفاق عليها . فلما هبط  
اللورد كوكرين على باتراس ارسل ابراهيم باشا بعض سفنه لمقاومته فحسب ذلك منه أنها ك  
لكلمته وخرقاً لاتفاق الهدنة فكانت ناظرين

بعد معركة ناظرين حاول الفرنسيون اغراء ابراهيم باشا بمعاونتهم في اخضاع الجزائر وكان  
حينئذ منصرفاً الى تنظيم الشؤون الادارية والزراعية فدارت مفاوضات في هذا الصدد لم تلبث  
ان حبطت لان سوريا كانت كأنها تنادي

أما قصة غزوات ابراهيم باشا من جنوب سوريا الى ان وصل الى ابواب استانبول فأخذة  
بما يتجلى فيها من صلاحية المشيئة ومهارة في الفنون الحربية وادراك القواعد الاساسية التي تقوم  
عليها سياسة البلدان . وقد قال ملحق التمس الخاص بالكتب في هذه الناحية من كتاب القاضي  
كرايتس ان ما بسطه فيها من الناحية العسكرية جدير بعناية المؤرخ الحربي . ولكن الظفر  
الحربي تلاه التآلب والتفرق والدس من الناحية السياسية بين دول اوربا وليس في هذا الحديث  
ما يشرفها او يشرف معظم رجالها الذين خاضوا هذا الميدان . ليست هذه العبارة من كلام القاضي  
كرايتس وانما هي ما توصل اليه كاتب هذه السطور من قراءة فصول الكتاب الخاصة بهذه  
الوقائع وهي حافلة بالوثائق والمكاتبات الرسمية

\*\*\*

هذه بعض ما امتاز به كتاب « ابراهيم باشا » ولو ان الدفاع عن بعض نواح من حياة ابراهيم  
باشا كان ارفق تناولاً لما ظن بعض الكتّاب ان القاضي كرايتس يحاول ان « يبيّض » ابراهيم .  
ومما سرنا انه اشار غير مرة في اسانيده الى كتاب « الامبراطورية المصرية » الذي وضعه  
الدكتور محمد صبري بالثناء الجدير به . ولو كان القاضي يعرف العربية لكان في الغالب رأى ما  
يستند اليه في كتاب الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي في اجزائه المختلفة وفي كتاب المرحوم  
سليمان بك ابو عز الدين وقد وقفه على « ابراهيم باشا في سوريا » على ما نذكر



## البرنس ساينوجي

صلة بين الاجداد والحفدة

لو كان رجال السياسة في اليابان قد تعودوا كتابة المذكرات اليومية ، لكان سياسيمهم الاكبر ، البرنس كيموكي ساينوجي ، اخرج للناس مجموعة فريدة في بابها ، بما تحتويه من الوان الحياة ونواحي الاختبار الانساني . انه جمع في حياة رجل فرد عصر الاقطاع في اليابان وعصر التمدن الحديث

تقلد منصب رئيس الوزارة ثلاثاً ، ووقع مع كلنصو وولسن ولويد جورج معاهدة فرساي . نعم ان طائفة كبيرة من رجال السياسة المعاصرين اشتركوا في توقيع معاهدة فرساي ، ولكن ساينوجي كان يستطيع ، وهو جالس معهم في ردهة المرايا في قصر فرساي ، ان يطوي بخياله نصف قرن من الزمان ، الى العهد الذي لبس فيه اللباس العسكري الملون الخاص بمقامه العالي ، وقدم فرقة من جنود الاشراف ، لاختضاع القبائل اليابانية الثائرة على امبراطوره

كان فتح المعادل واخضاع القبائل في سبيل امبراطوره ، مقدمة حياة حافلة بالوان الخدمة العامة ، وضروب الثقافة العالية . كان ذلك العصر في اليابان عصر الشباب . اذ كانت المناصب العالية في الحكومة والحيش والحياة الاقتصادية حافلة بهم . وكان ساينوجي متحلياً بجميع الصفات التي تدفع بالشباب الطموح الى طريق النجاح . كان مقرّباً من الدوائر التي تحيط بالامبراطور والبارجع الفضل في استنقاذ سلطته من الضياع . وكان ذكياً متوقداً الذكاء . وكان شريفاً نجري في عروقه اتقى الدماء . وكان ديمقراطي الطبع ، عجيبياً في مقدراته على مؤاخاة رجال القبائل ، ورجال السياسة على السواء . وكان يعرف ادب اليابان والصين الكلاسيكي ، كما يعرف الانكليز المتفوقون شكسبير . في امكانه نظم مقطع من الشعر ، او رواية أبيات توافق المقام . وكان يؤيد جملة الشعراء ، اذ كان الشعراء في اليابان المتطلعة الى التمدن الحديث ، لا يشغلون من المقام الاجتماعي المرتبة الاولى . ففي الما دب التي كان ساينوجي يقيمها ، كان الشعراء ينفلتون من النفوذ الاجتماعية . ويروي الاميرال سايتو ، رئيس الوزارة اليابانية السابق وأحد صرعى الفتنة الاخيرة ، ان الادباء عبسوا من الحمر في احدى هذه الما دب كالحيتان

على أن ساينوجي لم يشتهر اسمه في الغرب ، الا في السنوات الاخيرة ، إذ أصبح سياسي الياباني الاكبر . ولقب « السياسي الاكبر » لا يسند فقط الى سياسي بالغ من العمر عتياً . بل



ان الامبراطور ، يمنح بعض الساسة والقواد عند التقاعد من خدمة مصالح الدولة لقب السياسي الاكبر Elder Statesman بمقتضى ارادة امبراطورية يؤمر فيها الرجل بالضي في تقديم النصح للامبراطورية . وقد وردت الانباء الاخيرة بأن الامبراطور بعث يستشيرهُ في الحوادث الاخيرة مع ان العسكريين حاولوا اغتياله لانه من احرار النزعة

وقد عين ساينوجي في المنصب لدى عودته من مؤتمر الصلح سنة ١٩٢٠ . كان الساسة الكبار الذي اخلصوا النصح للامبراطور ، قد مضوا في سبيل كل حي . وكانت الحكومة البرلمانية قد انشئت ، وسلطة رئيس الوزراء قد عظمت واتسع نطاقها . ولو لم يكن ساينوجي ، سياسياً برلمانياً يعرف اساليب النظم البرلمانية ، ومرن العقل حر المبادئ ، لكان الاحتكاك والتصادم بين رئيس الوزراء ومستشار الامبراطور الاكبر امراً لا بد منه . وكان الساسة الكبار من قبله غالباً ما يتوسطون بين الوزارة والحيش ، او يقولون في المأزق الكلمة الفاصلة فيما يتعلق بسياسة الحكومة ، ولكن ساينوجي نفسه رأى لما أنعم عليه باللقب الجديد ، ان هذه الاعمال من شأن الحكومة لا من شأن المستشار الامبراطوري

لذلك اصبح المنصب الجديد في أيامه ، عبارة عن كون « السياسي الكبير » مستشار الامبراطور الأعلى فيما يتعلق بتقلب الوزارات . وهذا عمل لا بد منه . لان على عاتق الامبراطور تقع تبعة تعيين رئيس الوزراء ، وهو بحكم منصبه ، لا يستطيع أن يكون محيطاً بالدقائق والتفاصيل متصلاً بجميع نواحي الرأي العام والشعور القومي ، بل قد لا تكون له الخبرة الوافية التي تمكنه من اختيار أصلح رجل للحال

فساينوجي ، هو عينا الامبراطور واذناه وارادته ، اذ تتطلب الحالة في اليابان تعيين وزارة جديدة . جميع زعماء الامة العاملين يهرعون الى داره . فالوزراء الذين يساورهم القلق على المستقبل يسرعون الى داره المطمئنة الساكنة ، لسبر غوره . ويتبعهم زعماء المعارضة . فاذا ذهب ماتسوكا الى لندن ، أو ايشي الى واشنطن ، أقبلوا عليه قبل السفر ، ينتظران منه التعليمات الاخيرة انه يجلس ساكناً كالجليل لا تهزه الرياح . ان شيخوخته قد حررتة من نوازع الشهرة والثروة وشهوة السلطان ، فيصغي اليهم جميعاً

يصغي اليهم ، ولكن يقال انه قلما يقول شيئاً . انه يحتفظ بمشورته لسيدة الامبراطوري والامبراطور مترفع فوق كل النزاعات

وقد وقع على عاتق ساينوجي منذ تقلد منصب المستشار الاكبر للامبراطورية أن يشير على امبراطوره بتعيين اربعة عشر رئيساً مختلفاً للوزارة . من هؤلاء كان ثمانية زعماء حزبيين وستة من رجال السياسة غير المنتمين لحزب ما . وكان ساينوجي في الغالب يميل الى تعيين زعيم حزبي اذا كان



الجو رائقاً والميدان خلواً من العقبات الكبيرة . والراجح انه كان يحاول أن يضع في ذلك تقليداً شبيهاً بالتقليد الانكليزي ، وهو الانتقال من وزارة الى وزارة ، انتقالاً سهلاً طبيعياً يكاد يكون من تلقاء ذاته انتقالاً من زعيم أكثرية أمس الى زعيم أكثرية اليوم

ان الحياة اليابانية لا تزال في اليابان غير بالغة كمال النضج والرسوخ ، وقد يكون ثمة ميل الى تحويل الحكومة من شكلها النيابي الى ما يعرف بحكومات « القوة » أي الدكتاتورية العسكرية . ولكن ساينوجي قد أفسح المجال للحكم البرلماني ، حتى يقيم الحجة بأنه صالح للبقاء . انه يؤمن به . وسايونجي الان في السادسة والثمانين من عمره ، انفق العشرين السنة الاولى في بلاط تيوتو ، فاذا هو في نهايتها يتقلد الرمح ويمتطي الجواد ، ويحارب في سبيل الامبراطور ، ثم قضى عشر سنوات في فرنسا يتقنف فعشر سنوات من اللهو والمرح كموظف شاب . ثم عشرين سنة في اعلى المناصب الادارية والسياسية في البلاد ، وها هو اليوم وقد مضى عليه ١٥ سنة ، في حياة هادئة صافية يستعمل في سبيل امبراطوره وبلاده الحكمة التي استقطرها من عبر الحياة

ولد سنة ١٨٤٩ وكان اصغر ابناء بيت « طوكودايجي » وهو من أنبل اسر الاشراف في البلاط الامبراطوري واتفق ان بيت ساينوجي النبيل ، وهو من مقام بيت « طوكودايجي » كان في حاجة الى وريث حينئذ ، فالتحق الفتى كيموكي ، موضوع كلامنا ، وريثاً بمقتضى العرف الياباني والشرعية اليابانية . ويرتد تاريخ الاسرة ، التي اصبح الفتى وريثها وزعيمها بعدئذ الى اواخر القرن الثامن الميلادي

ورث من اسلافه مرح الطبع وحب الجمال ، وترعرع في وسط يتغذى بهاتين الناحيتين من حياة الانسان ولو عاش في العصر الذهبي الياباني لكان من صميم ابنائه ، كان يستطيع ان ينظم قصيدة ، او يسرق خطاه عند الفجر وردنه على وجهه ، من مخدع غانية من غواني البلاط عين أميناً للامبراطور وهو في السادسة . وهو تميم اسمي ولكن هذا التعيين كان صلته بدوائر البلاط الداخلية ، اذ كانت الحياة الجديدة تدب في عروق اليابان ، وقد أخذ رآخها الناشء عن الطمأنينة وحب الجمال والطبيعة يستبدل به نشاط عجيب فيه كل حوافز الحياة العصرية . فناريخه انما هو جامع لادوار تاريخ اليابان الحديثة !

وبعد ما حارب في سبيل الامبراطور في حدائته وأبلى قطع له معاش سنوي قيمته قيمة ١٥٠٠ كيس من الرز . ولما حاولوا أن يقيموه حاكماً على إحدى مقاطعات الريف ، رفض ، وفي سنة ١٨٧١ سافر الى فرنسا على اثر حرب السبعين ، وفي طريقه عرج عن وشنغطن عاصمة الولايات المتحدة ، وقابل الرئيس غرانت . ويؤخذ من رسالة بعث بها الى احد اصدقائه انه دهش « لديكولته » النساء في البيت الايض وحرية الاختلاط بين الجنسين وها هو ذا قد



عاش حتى هذا العصر وسمع بأذنيه نواح بعض الكتاب على الفتاة العصرية  
عاش في باريس معيشة بوهيمية، واشترك مع احد اصدقاء توفيل جوتييه في وضع درامة مثلت  
في الاوديون، ولكنه رفض ان يأخذ حصته من الربح المالي الذي عادت به عليهما. وسأله  
ذات يوم معلم القانون — وكان اكواس القانوني المشهور — قال : « لقد طال مكثك في باريس  
أليس من الضروري ان ترجع الى بلادك وتقوم بنصيبك من الحياة العامة » فرد البرنس  
الشاب : « ان من يرغب في ان يكون سياسياً في بلادي ، لا يستطيع ان يصرح بما يضر ،  
عليه ان يكون مرأياً ، ويكذب أحياناً » فرد عليه الفرنسي : هنيئاً لكم اذا كان رجال السياسة  
عندكم لا يكذبون إلا أحياناً »

ولما عاد سايونيحي الى اليابان ، في الثالثة والثلاثين من عمره كان غمماً الخطيب الراديكالي  
الفرنسي مثله بين الرجال وكان كمنصو طالب الطب ، الراديكالي كذلك صديقه . فلما كانت  
مسألة الساعة في اليابان مسألة منح الدستور او عدم منحه ، أنشأ سايونيحي جريدة جعل اسمها  
( الأنباء الحرة ) وجعل عنوان افتتاحيته الاولى ( الحرية الادبية والحرية السياسية )  
ولكن رجال الحكومة الجديدة كانوا يرغبون في خدمات سايونيحي كواحد منهم لا كنافذ  
لامعالمهم . فاقنعوا الامبراطور بأن يصدر امره إلى سايونيحي ليمتنع عن العمل بالصحافة فامثل للامر  
وتخلّى عن صحيفته ، وقبل المنصب الذي عرض عليه ، وما زال يتقلب في المناصب ، إلى أن بلغ منصب  
الوزارة . فقد شغل منصب وزير المعارف مرتين ، وأسبغ على فلسفة التعليم في الوزارة ، ثوب  
الحرية ، فأدى لبلاده خدمات جليلة . ومن جملة المناصب التي شغلها منصب سفير لبلاده في فينا  
وبرلين ومنصب رئيس للوزارة ثلاث مرات

وقبل ان يعين « سياسياً أكبر » مكن اليابان من تأليف أول وزارة حزبية فيها سعيًا  
وراء إقامة الحياة النيابية على أساس حزبي . وكان رئيس الحزب الذي تقلد الحكم ، خارجاً عن  
دوائر النبلاء والبيروقراطية . فكان في عمله جرأة عظيمة مثل جرأة الزعيم الأكبر المغفور له  
سعد زغلول باشا إذ عين نجيب افندي الغرابلي وزيراً وكان آخر ما قام به لا متيه من الخدمات ، أن  
عين بعد حوادث الاغتيال التي وقعت سنة ١٩٢٣ الاخيرة ، وزارة قومية ، لكي تسير بالامة في  
العاصفة الثائرة الى بر الامان . وليس ثمة أي تناقض بين العاملين . فهو يرمي الى تنشئة الحياة  
النيابية الحزبية تنشئة قوية ، ولكنه يعمد الى التألف في الايام العصيبة فقط

هذا الرجل العجيب يعيش في الحاضر ، لانه اذنا الامبراطور وعيناه وارادته . ولكنه ،  
لا ريب ، يرتد في بعض اللحظات ، الى ايام الحداثة ، ايام الرمح والجواد والعلم المرفوع . انه  
يضم في حياته يابان القديمة ويابان الحديثة !





# حَذِيقَةُ الْمُقْتَطِفِ

سعدي

الشاعر الفارسي

لهية فوج





كان للصلة الادبية التي توثقت عراها بين العربية والفارسية في ظل الحرية والتسامح الادبي شأن كبير في ما ادركتاه من سعة ونماء في المادة والشكل والغاية . فالكتابة عن السعدي الشاعر الفارسي الشيرازي تبعث في النفس نواحي من الذكرى والتأمل وتثير الحنين الى عصر النور في حياة الادب العربي والفارسي جميعاً ، بل ان في هذه الكتابة شيئاً من السلوى للذين يحيون ابدأً ساخرين هازئين بمظاهر العيش الناعم المترف ، بل لعل في حياة السعدي ما تستقر به انفاس تتصعد من صدور محترقة لكثير من الابداء تنبئ عن شكاية القلوب من هذا العيش المشرّد الذي يخالونه رماداً تحبوا تحت ذراته جذوة ذكائهم وينطفئ به مصباح نبوغهم . فقد عاش السعدي كما عاشوا ، ولكنه ظفر من هذا العيش بالشهرة التي لم يتمتع بها غير نفر يسير من شعراء الشرق وكتبه النابغين

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في تاريخ ميلاد السعدي وتاريخ وفاته ولكن كثيراً منهم يرى انه ولد بشيراز سنة ١١٧٥ وتوفي سنة ١٢٩١ م وكانت شيراز في ذلك العهد من منازل الدنيا التي تقطن الشعراء والادباء وكانت رياضها وعيونها وانهارها مصدر الهامهم ووحى خيالهم وقد استهوت بجملها فيمن استهوت شاعرنا السعدي فافاض عليها من آيات ثنائيه واعجابه ما امتلات به صفحات ديوانه (الكليات) ومؤلفاته الاخرى . ففي ذلك يقول ما ترجمته :

ما اجمل بياض الصبح الذي اراه مشرقاً على سر الله شيراز . سأرى مرة اخرى تلك الجنة ، جنة الارض التي تجود بالاثمار المباركة . لا بالقحط والظلم وربي لا تألف الظلمات هذا الوطن الذي استقر عليه عرش سليمان العظيم

\*\*\*

نشأ السعدي يتيماً يتجرّع مرارة اليم ويحس آلامه وقد لازمه هذا الاحساس بعد ان استكمل شبابه وألح عليه فقال قصيدته الرائعة التي يسترحم فيها القلوب



ويستعطفها على اليتامى الذين لم يستشعروا حلاوة العيش في ظل الأبوة الرحيمة  
استهل هذه القصيدة بما ترجمته :

أرحم اليتيم الذي مات أبوه ، أفض التراب عن ملابسه ، فانك لتعلم انه لأحياة  
للشجرة بعد ان تنقطع اصولها

ثم قال : من يخفف عن اليتيم احزانه اذا فاضت دموعه ، من يسري عنه اذا  
اهتاجت نفسه ، آه ! اجتهد ألا يبكي لان عرش الرحمن يهتز لتهدات اليتيم المحزنة  
المؤثرة . واختتمها بقوله :

أنا اشارك اليتيم في احزانه لاني قد ذقت في طفولتي يأس اليتيم  
مات أبوه وهو طفل فعاش في كنف السلطان سعد بن زنكي سلطان فارس أيام  
طفولته وشطراً كبيراً من أيام شبابه

ولم ينقل إلينا من ترجم السعدي من المؤرخين كيف كان يعيش في ظل هذا  
السلطان وما كان نصيبه من رفاه الحياة وبؤسها . وكل ما وصل إلينا انه عاش في رعايته  
زمناً ثم فارقه ليستكمل حياته العلمية على شيوخ بغداد الذين كان لهم أكبر أثر  
في ثقافته وأدبه

والمفهوم مما ذكره المؤرخون ان دراسات السعدي كانت في حياة سعد بن زنكي وان  
هذا السلطان لم يمت حتى بلغ السعدي ثمانين وثلاثين سنة وهو عمر طويل مكن له أن يشبع  
نهمه من علوم الدين وقواعده واصوله ومن مصطلحات الفنون وادواتها واساليبها ومكن له  
ايضاً أن يملأ قلبه معرفة بأحوال الصوفية ومذاهبهم ودراساتهم الروحية العالية فقد  
اتصل في بغداد بكثير من شيوخ العلم ثم انقطع أخيراً إلى شيخين جليلين من أعيان  
العلماء هما الامام شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ وكان واحد دهره في  
الحديث والتفسير والتصوف ، والامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة  
٥٩٧ هـ شيخ الوعاظ والعلماء والمصنفين . وقد وقع البستاني هنا في خطأ تاريخي واضح  
لأنه عدّ من شيوخ السعدي الذين تلقى عليهم علم الباطن الشيخ عبد القادر الجيلاني  
صاحب الطريقة الكيلانية المشهورة في العراق والممالك الشرقية الاسلامية—وذلك  
غير صحيح لأن الكيلاني توفي سنة ٥٦١ هـ اي قبل ميلاد السعدي بعشرين سنة تقريباً



في وسع الباحث في حياة السعدي ان يدع جانباً حديث المؤرخين عنه بعد عهد المدرسة ويترك للسعدي نفسه الحديث عن هذه الحياة المليئة بالعبر والحوادث الجسام . فهو يصوّر لك اصدق تصوير في كتبه ثورة نفسه على النظام الحضري وعلى حياة الاستقرار التي اغرت سكان المدن بالركون الى النعمة والاّخلاق الى العيش الرافه اللين ويريك كيف جاب اقطار الارض ورحل في ثياب الدراويش ثلاثين عاماً الى ممالك الاسلام جميعها وكيف كان يتحرّق بنار الشمس خائف القوافل الميسّمة شطر بيت الله الحرام وقد حجّ اليه اربع عشرة مرة يردّد التساييح ويتغنّى بأغاني الشوق ويرتل قصائد العشق الصوفي في الذات الربانية والحضرة المحمدية الكريمة ويتوجد ويتشوّق على النحو الذي تراه في قصيدته التي يقول فيها

تعدّر صمت الواجدين فصاحوا      ومن صاح وجداً ما عليه جناحُ  
اسروا حديث العشق ما امكن التقى      وإن غلب الشوق الشديد فناحوا  
سرى طيف من يجلو بطلعه الدجى      وسائر ليل المبتلين صباحُ  
اصيح اشتياقاً كلما ذكر الحمى      وغاية وجد المستهام صباحُ

ويريك ايضاً كيف اسره الصليبيون والقوا به في سجن نابلس يعمل في بناء الحصون ويتصبّب عرقه من حمل الصخور . وكيف اقتداه من هذا الاسر تاجر حلي وزوجه ابنته فكانت هذه الزوجة على جماها وثروتها مجلبة احزانه ومثار آلامه وكيف رحل الى الهند ووقف هناك يتفرس في صنم الوثنيين في أحد المعابد فرآه الحارس فقتله السعدي خشية ان يخبّر عنه قومه فيقتلونه

ثم كيف حنّ بعد هذه الغربة الطويلة الى شيراز فعاد اليها وقد قارب السبعين وكيف كانت هذه الرحلات سماء عبقريته وماعها ومصدر خصبها ونماها . وهنا يريك كتابه العظيم وديوان اشعاره الجامع «الكليات» كيف بدأ بهذه العودة عهد الأثمار — كيف بدأ الروض المزهّر ينفتح بالعطر والعقل الخصب يجود بالحكمة والقلب المؤمن يفيض بالعبرة والقلم البليغ يرسل السحر الحلال — كيف بدأ بهذه العودة يدوّن آثاره الادبية واشعاره واقاصيصه فأنشأ كتبه الاربعة الكستان والبستان وبندامه ودواوين اشعاره



وتدلنا قصيدته العظيمة التي وصف بها نكبة بغداد وبكى بها مجد العرب ويدت  
 الخلافة أنه قد رحل مرة أخرى الى هذه المدينة وما جاورها كواسط وعبادان حين  
 سقطت في ايدي التتار وشاهد طولها وخرائبها بعد ان شاهدها جنة الدنيا وتاج  
 المدائن . ويبدو لنا ان هذه الرحلة لم تكن طويلة وان هموم الشاعر واحزانه على هذا  
 الملك الساقط لم تحجب اليه البقاء فيها فهو يستهل هذه القصيدة بقوله :

حبست بحجفي المدامع لا تجري فلما طغى الماء استطال على السكر  
 نسيم صبا بغداد بعد خرابها تميت لو كانت تمر على قبري  
 لأن هلاك النفس عند اولي النهى احب له من عيش منقبض الصدر  
 ثم يقول :

أيا ناصحي بالصبر دعني وزفرتي اموضع صبر والكبدود على الجمر  
 وقفت ( بعبادان ) ارقب دجلة كمثل دمٍ قان يسيل الى البحر  
 وفائض دمعني في مصيبة ( واسط ) يزيد على مدّ البحيرة والجزر  
 فان بنو العباس مقتخر الورى ذوو الخلق المرضى والغرر الزهر  
 غدا سمرأ بين الانام حديثهم وذا سمر يدعي المدامع كالسمر  
 جرت عبراتي فوق خدي كآبة فأنشأت هذا في قضية ما يجري  
 سطرت ولولا غض عيني من البكا ترقرق دمعني حسرة فحاسطري  
 أحدث أخباراً تضيق بها صدري وأحمل اوقاراً ينوء بها ظهري  
 ألا أن عصري فيه عيش مكدر فليت عشي الموت بادر في عصري

وهو في هذه القصيدة يملئ مواجع قلبه واحساساته الالّمية على مصير الخلافة  
 والاسلام ويحزّع من المنحدر السحيق الذي يهوى اليه تاريخ الجماعة الاسلامية  
 بحضاراتها وعلومها وعزتها وبمجدها السامي العظيم وتكاد هذه القصيدة تكون هي  
 الوحيدة في الشعر العربي التي صوّرت تصويراً رائعاً هذه النازلة الكبرى التي تزلت  
 بالمسلمين وذهبت بعظمة سلطانهم ومجد خلافتهم



وأدب السعدي يتمتع بمميزات الأدب الفارسي جميعها من العناية بالتشبيهات والاستعارات والجمال اللفظي والخيال المليء بأبداع صور الجمال الطبيعي والغزل الصوفي والتأثر إلى حدٍّ ما بالثقافة الإسلامية ولكنه يمتاز عن أدب نظرائه من الشعراء المعاصرين بأنه استطاع على الرغم من ولوعه بروح التصوف والآداب الدينية وعيش الدراويش أن يقسم شعره ونثره بين الحياتين : الروحية والمادية ويمنح كلا منهما من ذلك نصيبه الكامل فقد وفق أتم توفيق إلى أن يرضي الفقراء والأغنياء جميعاً . وهو هو الذي جعل أدبه أسير وأشهر من أدب غيره من شعراء فارس جميعهم

وكتابات السعدي تدل على أنه قد تأثر إلى أبعد حد بأستاذه ابن الجوزي فهو يجري في الكلستان والبستان مجرى هذا الشيخ في كتبه الاخبارية كإخبار الأذكياء والمجانين ونوادر الملوك وغيرها وكذلك تبعه في كتبه الوعظية متابعه يئس . وذلك يدلنا على أن حظ السعدي من علوم الجدل لم يكن وافراً وأن دراسته كانت تهذيبية عملية تصل اتصالاً وثيقاً بالحياة ومشكلاتها وتعنى في معالجتها بأسلوب الارشاد والقصص الذي تسلكه الشرائع كثيراً في الدعوة إلى الإصلاح

ولم يترك السعدي غرضاً من أغراض الشعر لم يقل فيه . فقد مدح ورثى ووصف واشتاق وتغزل ولكن حظ الهجاء من شعره رغم تاداره وفكاهته وقسوة لسانه كان قليلاً . أما غزله وهو أظهر هذه الأغراض في شعره فإنه وإن لم يبلغ في نظر النقاد ما بلغت غزليات حافظ التي تعتبر في القمة من غزل الآداب العالمية وعلى الرغم من أن معانيه عامة لا ابتكار فيها إلا نادراً ، على الرغم من ذلك كله فقد تمتع بحظ وافر من الروحانية التي تجعله محبوباً مستطاباً إلى النفس وهو يسوق هذه المعاني مساقاً وجدائياً يستهوي ويعجب . أفلا تراه يبت السحر في قوله :

قد اذعنم روائح المسك طيباً	وبهرتم محاسن الورد نشرها
فنسيم النسيم حيث حللم	حل بالواردين روح وبشرى
مقل علمت بيا بل . . هارو	ت على أن تعلم الناس سحرا
جمرات الحدود أحرقت قلبي	وتبقين في الجوانح حمرا
برزوا والربا تظل تنادي	ما لهذا النسيم يحمل عطرا



ابداً لا افيق من سكر عيشي ان سقتني من المرافش خمر  
وفي قوله من قصيدته التأثية التي تشبه كل الشبه في روحها ونسجها تأثية ابن  
الفارض المشهورة :

ألم ترني في روضة الحب كلما ذوت — مطرت سحب العيون فبلت  
أما كان قتل المسلمين محرماً لحى الله سمر الحى كيف استحل  
وها نفس السعدي اذكى نحية تبلغهم ريح الصبا حيث حلت  
وفي قوله من قصيدة اخرى :

حدائق روضات النعيم وطيبها تضيق على نفس يحور حيلها  
فيا ليت شعري اي ارض رحلوا وبينى وبين الحى يد أجوبها  
ذكرت ليالي الوصل واشتاق باطني فيا حبذا تلك الليالي وطيبها  
موضوع السعدي طويل اكتفي منه بهذه اللوحة واختم القول فيه بذكر آيات  
من قصيدته العاشرة التي يتحدث فيها حديث السكارى بجمهر العشق الرباني :

يا صاحبي يوم الوصال منادماً كن لي ليالي بعدهن سميراً  
هل بت يا نفس الربيع بجنة أم جئت من بلد العراق بشيراً  
عجبي بأنى لست شارب مسكر وأظن من سكر الهوى خموراً  
صرفاً محاً عقلي ورد قراعتي شعراً وصير مسجدي ماخوراً  
ظما بقلبي لا يزال يسيغه رشف الزلال ولو شربت بحوراً  
قطع المهامه واحتمال مشقة لرضى الأوبة لا اظن كثيراً  
حسو المرارة في كؤوس ملامة حلوا اذا كان الحبيب مديراً

وهو في هذا الهوى الالهى يذهب مذهب التصوف في الانصراف بنفوسهم الى  
الذات الالهية يعشقونها وحدها ويقطعون من قلوبهم كل امل بلذاذ هذا الحب وآثاره  
كما رووا ذلك عن السيدة رابعة العدوية . ويظهر هذا في شعر السعدي في قوله :

يا من به السعدي غاب عن الورى ارفق بمن اضحى اليك فقيراً  
صلى ودع ثم النعيم لاهله لا اشتهى الا اليك مصيراً  
فلعل ان تبيض عيني بالبكا ارتد يوماً ألتقيك بصيراً



# باب المراسلة والمنظرة

## ترجمة فرايم مصر

بقلم سماحة حليم نحوم افندي الحاخام الاكبر في القاهرة

وقعت بيدي للمطالعة مجموعة الفرامين الامبراطورية (السلطانية) العثمانية الموجهة الى ولاية مصر وخديويتها من سنة ١٠٠٦ هـ الى سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ — ١٥٩٧ م) وهي تحوي الترجمة — دون النصوص — من التركية الى الفرنسية (Recueil des Firmans Impériaux Ottomans ... Le Caire, 1934) بقلم سماحة حليم نحوم افندي الحاخام الاكبر في القاهرة والعضو في مجلس الشيوخ لمملكة مصر والعضو في مجمع اللغة العربية الملكي بمصر. فانه قام بهذا العبء الثقيل والعمل الشاق المستلزم رسوخاً في اللغتين وعلماً غزيراً ومعلومات واسعة فأدّى الخدمة التي ندب لها وهي خدمة قلما يتمكن الذي ينزل مضارها من الاجادة فيها مثله. ولكن اذ لا كمال لأعمال المرء فليس بالغريب ان نعث في هذا السفر القيس على ما يستوجب الملاحظة في ترجمة نصوص الأصل وتفسير كلها الغربية وشروحها فيما ألحق به وقد نظرت فيه غير متأثر كل صفحاته فصادفت بعض الهفوات لذلك جئت استأذن المترجم الجليل بايراد ما بدا لي مع اضافة زيادات اعتقدها تروقه وغيره

الصفحة العدد

قال: «حماس شرقي» وضبطها hammas sherbeti وصححها حمّاض (بالضاد المنقوطة) كما وردت في المعاجم العربية والتركية. والحمّاض هو ما يسمى بالفرنسية oseille وبالتركية «قوزى قولاغى» (أذن الحمّال) وراجع عنه وعن مفعول شرابه معجم لاروس الجديد المصوّر وتذكّرة داود وغيرهما

هل لحضرته ان يعيد النظر في قراءة «السيد عمر محصار السعاق» فان الذي يبين لي انه مغلوط فيها

١١٦ ٣٤



الصفحة	العدد	
٦٥	٢٠٥	قال : « عمر زيد صلاحه Omar Zeid Salaha » فحسب « زيد صلاحه » علماً من اعلام الرجال او شهرةً او لقباً . وكرر ذلك في الصفحة ٦٨ العدد ٢١٧ في كلامه على الشيخ محمد ووجه الغلط ظاهر لا يحتاج الى بيان وايضاح قال في كلامه على « شمعتين » blanc (شمع عسل) deux cierges de miel فقوله : « de miel » غير صحيح من وجهين اولهما كلمة cierge خاصة بالشمعة التي مادتها شمع العسل لا سواء وهي مشتقة من كلمة cire وهو هذا الشمع لا غيره . وثاني الوجهين اضافة mie الى cierge وهي ترجمة حرفية لا تقبلها اللغة الفرنسية . ولو قال cierge de cire لكان الامر نوعاً وان لا يصح ذلك
٣٤٥	٠٠٠	آرپه لق . خصها بمال يعطى مساهمة لرؤساء الانكشارية او للعلماء مع انها كانت تعطى لغير هؤلاء نقداً او بتخصيص اراد ( وراجع معاملة الاسلام ( Eueyclopédie de l'Islam ) ( ١ : ٤٦٥ ) ولي شواهد على ماقلته يطول سردها
٣٤٦	٠٠٠	باليمز . قال : ومعناها الحرفي الذي يأكل العسل وهو مدفع . . . ولو عرفنا بأصل الكلمة لأحسن فقد افادنا تاريخ بغداد بالفرنسية لمؤلفه هوار ( Huart ) ( الص ١٢١ ح ) نقلاً عن ملحق المعاجم التركية لباريه دومينار ( Barbier de Meynard ) انها « palla e mezzo » وهي تعني « قبرة ونصف » اما ش . سامي في معجمه التركي فانه صور الكلمة هكذا : « باليه مزى » وقال انها اسم الموجد الايطالي لهذا المدفع . وجاء بعده دبران كلكيان في معجمه التركي الفرنسي فكتبها كسابنه وبازائها بحروف افرنجية « balié -mezi » وقال انها من الايطالية « balliamenza » ولعل الصحيح ما قاله دومينار
٣٤٦	٠٠٠	بيت المال . قال : « خزينة الدولة قديماً . وفي التنظيمات الحديثة الصندوق الذي تحفظ فيه اموال الورثة المجهولين والغائبين » . قلت : وهو نقل على ما يبين لي من معجم ش . سامي . ومعناه الاول بقي جارياً بعد التنظيمات . ومن الادلة على ذلك ما ورد في المادة الثانية والثالثة من قانون الاراضي الصادر في سنة ١٢٧٤ هـ ( ٨ / ١٨٥٧ م ) وفي الارادة السنية المؤرخة في ٢٢



محرم سنة ١٣٠٠ الموافق ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٢٩٨ ( ١٨٨٢ م ) الصادرة بشأن مرور الزمان في الدعاوي التي تحدث بين خزانة الدولة والاهلين . ( راجع ذيل المجلد الثالث من الدستور الص ١٠١ السطر ٢ ) . وكذلك هو قديم بمعناه الثاني فالتايجد ذلك في « قانوننامه آل عثمان » التي امر بجمعها السلطان سليمان القانوني المتوفي في سنة ٩٧٤ هـ — ١٥٦٦ م ) . وقد طبعت في الاستانة في سنة ١٣٢٩ . وهذا تعريب ما فيها ( الص ٢١ ) : « يجب اعلام الناس الذين يأخذون ( يلتزمون بضمنون ) مقاطعة « بيت المال » و « مال الغائب » و « مال المفقود » انه حين وقوع « بيت المال » يسجل ذلك في دفتر القاضي ... » والقرينة هي التي تهدي القارئ الى المعنى المقصود كمر ك. حسب احداثه في سنة ١١٢١ هـ ( ١٧٠٩ م ) وتكلم عن النسبة المئوية التي كانت تستوفى وقد لخص ذلك — على ما بان لي — عن تاريخ احمد راسم ( ١ : ٤٦٧ الفائدة ١٣٧ ) . قلت ان احداث الكمر ك لم يكن في تلك السنة بل هو قديم . وابدأ بما هو ابعد من هذا التاريخ حتى انتهي الى اقصى ما وصلت اليه . فلقد وجدت للكمر ك ذكرأ في الكتاب التركي المسماة « قايتولا سيونر » لجار اسكندر وعلي رشاد المطبوع في الاستانة سنة ١٣٣٠ ( ١٩١١ م ) في « قايتولا سيون » تاريخه سنة ١٠٨٤ هـ « ١٦٧٣ م » ( الص ١٢٣ المادة ٨ والص ١٢٨ المادة ٤٥ ) . وهناك كلام على النسبة المئوية التي تستوفى . وفيه في « قايتولا سيون » آخر تاريخه سنة ١٠٠٥ هـ « ١٥٩٧ م » ( الص ٩٣ المادة ١٦ ) كلام ايضاً على الكمر ك . وذكره البعيد جداً هو الذي جاء في هذا الكتاب عينه ( الص ٤٩ وما بعدها ) في المعاهدة المقودة بين حكومة مصر في زمن سلطنة المباليك وبين قنصل فرنسا في الاسكندرية التي ايدها السلطان سليمان القانوني بتاريخ ٦ محرم سنة ٩٣٥ ( ٢١ ايلول ١٥٢٨ ) . فللكمر ك ذكر بعيد يتقدم سنة ١١٢١ بنحو قرنين متصرف . قال : معناه الحرفي propriétaire قلت وهذه الكلمة تعني المالك بينما التصرف شيء والملك شيء آخر كما هو معلوم . ويقابل المتصرف possesseur ( وراجع شرح قانون الاراضي للمحامي نجيب شيجا بالفرنسية ) المطبوع في القاهرة في سنة ١٩٠٦ وترجمة قانون الاراضي

٣٤٩ ٢١٤

٣٥٣ ٠٠٠



## الصفحة العدد

وغيره إلى الانكليزية بقلم ستانلي فيشر Stanley Fisher المطبوع في  
او كسفورد سنة ١٩١٩

محراب . قال : « موضع في الجامع في جنوبه الشرقي يقف قبالة الامام  
في الصلاة » . قلت والصحيح في تعيين موضعه هو ان يكون في صدر  
المسجد قبالة الكعبة بحيث اذا استقبله الرجل كان اتجاهه اليها لذلك  
يكون هذا الصدر في الجهة الشرقية من المسجد او الغربية أو الشمالية  
او الجنوبية بحسب الموقع الجغرافي الذي يكون فيه مع الميل الى اليمين او  
اليسار حسب ذلك الموقع الجغرافي . وهكذا تجد محراب مسجد في جنوب  
الهند متجهاً نحو الشمال الغربي وعكس ذلك في بلاد الانكليز فإنه يتجه الى  
الجنوب الشرقي وقس عليه البواقي . وما قاله حضرته ينطبق على البلاد  
الواقعة في الشمال الغربي لمكة من ذلك مصر

٣٥٣ ٢١٤

متسلم . قال substitut de mutéssarif اي وكيل المتصرف او نائبه او القائم  
مقامه . والصحيح هو وكيل الوالي او نائبه الذي يعينه الوالي نفسه او الذي  
تنصبه الحكومة وهو ايضاً الحاكم الاداري لمدينة من بعض المدن المربوطة  
بأمانة وكل ذلك قبل التنظيمات

٣٥٣ ٠٠٠

اوجاق . خصها بـ régiment ( وهو آلاي كما يسمى عند الأتراك )  
الانكشارية . والصحيح انها لا تخص « آلاي » من الجنود ولا صنفاً من  
صنوفهم . انما تطلق على كل صنف من العساكر القديمة ( وراجع عثمانلي  
تشكيلات وقيافات عسكرية سي لمحمود شوكت باشا ) ( ١ الص ١ ) ومعجم  
ش . سامي وديران كلبيان )

٣٥٤ ٠٠٠

قال « علوفة من اليونانية » قلت ولا مشاحة انها عربية  
ساليانه . قال . « الولاية المفروض عليها ضريبة سنوية » . قلت « ساليانه »  
هي الضريبة نفسها اما الولاية بل الولاية المكلفة دفع هذه الضريبة .  
فيقال لها : « ساليانه لي » اي ذات ساليانه ( وراجع تاريخ اهدرام  
١ : ٤٣١ والمعاجم )

٣٥٥ ٠٠٠

٣٥٦ ٠٠٠

وبالاخير ارجو من سماحة المترجم الجهد العفو ان صدرت مني جرأة في غير محلها او  
وقعت في سهو فان الكمال لله وحده  
بغداد يعقوب سرريس



# بَابُ الْأَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## الفصل - نقتل

مبارزة عدتها قوى النفس والمشيمة

تطلق قوى النفس على قوى النفس كأنها قبضة دمبسي تطلق على ذقن خصمه في حلقة الملاكمة وكان بين سامعي الزعيم ديشي الدكتور جون هرنفن وهو من اكبر علماء الاثنولوجيا الاميركية ( اي طبائع الاجناس وتقاليدهم ) فكان كلما تحدث الزعيم ومثل ينكس العالم رأسه تأمينا على مايقول . والهنود الحمر قلما يسمعون للييخ في حضور مثل هذه المعارك النفسية ولكن الدكتور هرنفن قضى سنين بين رجال هذه القبيلة ونساءها رغبة منه في دراسة تقاليدهم الآخذة في الزوال وقد حضر بعض هذه المبارزات وسمع روايات عن مبارزات اخرى هي جزء من تاريخ الهنود الحمر

وقد توصل الدكتور هرنفن بعد دراسة هذه الناحية من حياة الهنود الحمر الى القول بانهم يفوقون المتصوفين الشرقيين في الهند في عجائب قوة النفس . اما رأيه في ييخ اميركا من هذا القبيل فهو انهم اطفال اذا قيسوا بالهنود الحمر من حيث القوى العقلية والنفسية فالهنود الحمر يعلقون شأنًا عظيمًا على انماء قواهم النفسية ويدعون انهم يفوقون دراويش

المبارزة قديمة ولكن أغرب ضروبها وأعجبها مبارزة تجري في ولاية كاليفورنيا الاميركية ولا عدة لها الا قوة المشيمة وقدرة الخصم على مغالبة خصمه بالسيطرة على ارادته وقد يستغرب القارئ هذا القول فيظن انه وهو وارد من كاليفورنيا مما يستعمل في دور الصور المتحركة لاخراج الافلام المضحكة . ولكننا نؤكد له انه منقول عن مجلة علمية مشهورة تدعى « رسالة الانباء العلمية »

فالزاع في هذا الضرب من المبارزة يدور بين العقول فلا تتطلق المسدسات ولا تلمع السيوف . وما على المتبارزين الا ان يواجه احدهما الآخر فتدور المعركة بين قوتيهما النفسية والعقلية الى ان يخور اضعفهما فيقع معي الى الارض وقد يقع مشلولاً او قد يقع ميتاً — نعم ميتاً ايها القارئ الكريم وقالك الله

أفلا تصدق ايها القارئ ان الافكار تقتل ؟ فقد زار عاصمة وشنطن من عهد قريب الزعيم ديشي وهو من الهنود الحمر ورئيس قبيلة شن في كاليفورنيا وحدث بما وقع له في مثل هذه المبارزات ومثل لسامعيه بيديه ورأسه كيف



الهند في فهمهم لاسرار التنويم المغنطيسي حتى  
لقد بلغت بهم الدعوى انهم يستطيعون ان يقتلوا  
خصماً لهم على بعد مائة ميل

ويقول الدكتور هر نغتن ان هذه المبارزات  
النفسية تقع في اعيادهم العامة فهي اشبه ما يكون  
بمصارعة الثيران في اعياد اسبانيا العامة. وسكان  
القرى يتطلعون الى هذه الاعياد ويتوقفون الى  
مشاهدة هذا الضرب من المبارزة

\*

### الطب وجهاز كهربائي جديد

منذ ما ذاعت النظرية الجديدة في بناء  
المادة الكهربائي ، والعلماء يبحثون عن طريقة  
ممكّنهم من صنع مقذوفات قوية تفوق طاقتها  
طاقة الدقائق المنطلقة من الراديو من لكي  
يسدوها الى الذرات المختلفة بغية تهشيمها  
ومعرفة كيف تتركب في صميمها ومم تتركب  
وكان الاستاذ لورنس احد علماء جامعة  
كاليفورنيا اول من صنع جهازاً من هذا القبيل  
يسرع بواسطته انطلاق الدقائق المعروفة  
بالنترونات حتى اصبحت تفوق في طاقتها طاقة  
مقذوفات الراديو

وكان يعاونه شاب يدعى لفنغستون ذهب  
الى كاليفورنيا للتخصص على يديه في هذا  
النوع من البحث فلما عاد الى جامعته الاصلية  
وهي جامعة كورنل صنع جهازاً اكبر من جهاز  
استاذة واقوى واستطاع ان يقذف به دقائق  
من المادة بطاقة مليوني فولط

ولا بد ان يكون لهذا الجهاز تأثير كبير

في ترقية المباحث التي تدور حول تركيب الذرة  
ولكن ما يزيد ان نوجه اليه النظر ان  
علماء جامعة كورنل لا ينوون ان يحصروا  
استعمال هذا الجهاز في تهشيم الذرة بل سوف  
يجربونه او بالحري سوف يجربون فعل  
مقذوفاته في السرطان للعقابة بينها وبين  
مقذوفات الراديو من هذا القبيل

بل ان الناحية البيولوجية من هذا البحث  
ان تحصر في السرطان بل سوف تمتد الى  
معرفة تأثير هذه المقذوفات القوية في النباتات  
بوجه عام والاحياء الدنيا نباتاً او حيواناً كانت  
بوجه خاص. فمن المكتشفات الحديثة في علم الحياة  
ان الاشعة السينية اي اشعة اكس تؤثر في تلك  
الاجزاء من الخلية التي تستقر فيها عوامل الوراثة.  
وهو مكتشف خطير كل الخطورة لان  
التحوّلات الفجائية التي يقوم عليها تطور  
الاحياء كانت حتى هذا الاكتشاف من فعل  
الطبيعة لا يزيد بها ولا ينقصها برداً او حرّاً او  
رطوبة او ضغط. فلما وجهت الاشعة السينية  
الى نوع خاص من الذباب ظهرت فيه تحولات  
فجائية كثيرة — من تأثير هذه الاشعة. واذن  
فعمل التطور خاضع لقوة في متناول الانسان.  
فاذا استطاع الانسان ان يسيطر عليها ويوجهها  
كان في امكانه ان يوجه التطور الى حد ما كما يشاء  
وغرض علماء البيولوجيا من توجيه  
مقذوفات الجهاز الكهربائي الجديد الى الاحياء  
معرفة تأثيرها في الاجزاء الخاصة بالوراثة وهل  
في مكتبتها ان تحدث تحولات فجائية فيها



## امواج العقل الكهربائية

اسفرت دراسة النبضات الكهربائية التي يولدها عمل الدماغ عن حقائق جديدة منها ان فعل العقل كفعل القلب مستمر ولكن فعل العقل يختلف عن فعل القلب في ان سرعته وقوته تختلفان في حالي اليقظة والنوم وباختلاف الاعمال العقلية نفسها

ونبت كذلك « ان داء الصراع » ليس الانوعاً من عاصفة كهربائية تعصف بالدماغ فتؤثر في احد مراكزه التي تقبض العضلات فبضاً عنيفاً فتحدث الصرع

وأم الدوائر العلمية التي اشتغل علماءها بهذا البحث هي جامعة هارفرد وجامعة برون الاميركية ومعامل البحث العلمي التي تعرف بمعامل لوميس وجامعة برنستون

والامل معقود على ان يفضي هذا النوع من البحث الى كشف كثير من الاسرار التي تحيط بالافعال العقلية والعصبية

\*

## التخدير بسم الكوبرا

المورفين سيف ذو حدين . فهو نعمة من ناحية لانه يخفف وطأة الألم بالتخدير وهو لعنة من ناحية اخرى لانه يستعبد من يستعمله . لذلك عني مجلس البحث القومي في اميركا بالبحث عن طريقة تمكن الانسان من جني فائدة المورفين دون لعنته او من وجود مادة اخرى تحل محله تفيد ولا تضر

اما في الناحية الاولى فيرى الدكتور

سمول Small ان هناك شعاعاً ضئيلاً من الرجاء في تحويل المورفين الى المادة المرغوب فيها بإزالة جزيء من جزيئاته . وقد حاول ذلك وكانت النتيجة ان المورفين الذي تولد عنده كان فعله المخدر اقوى من فعل المورفين العادي عشرة أضعاف . ولكنه لسوء الحظ لم يفقد خاصته الاخرى وهي انشاء عادة في من يستعمله تقسره على طلبه . ولكن البحث في هذه الناحية فسيح الميدان ولا يعلم ما قد تسفر عنه التجربة في الغد

اما في الناحية الأخرى اي في ناحية البحث عن مادة غير المورفين تحل محله فقد اذاع الدكتور دافيد ماخت مدير احد معاهد البحث الصيدلي في اميركا امام الجمعية الفلسفية الاميركية ان سم الكوبرا يؤثر في قشرة الدماغ ( الكورتكس ) فيخدرها فاذا اعطيت مصاباً بالسرطان جرعة او حقنة من هذا السم ضعف احساسه بالألم . ففعل السم مشابه من هذه الناحية لفعل المورفين ولكنه يختلف عنه في انه لا يولد في من يستعمله عادة الادمان وهذا يذكرنا بما كان يفعله الاقدمون .

فقد كانوا يستعملون سم الحيات في معالجة الجذام والسرطان ولعل خطأهم كان في حسابهم فقد الشعور بالألم شفاء . وقد استعمل سم الحية ذات الاجراس في معالجة الصرع والظاهر ان بحث الدكتور ماخت قائم على مباحث أجريت في فرنسا واساسها استعمال سم الكوبرا في تخفيف ألم المصابين بنوام خبيثة



## الاماس الصناعي

في سنة ١٨٩٦ صنع الكيماوي الفرنسي هنري مواسان دقائق مكرسكوبية من الاماس باستعمال الحرارة العالية والضغط الشديد على الكربون ولكن الماساته كانت صغيرة جداً لا تصلح للامتحان . فسلم علماء الكيمياء على ما قرأنا في كتبها ايام الدراسة ان صنع الاماس مستطاع ولكن نفقته اعظم من قيمة الاماس الذي يصنع

\*\*\*

وقد قرأنا الآن ان عالماً اميركياً يدعى هرشي وهو استاذ في قسم الكيمياء بجامعة كانساس صنع الماساً بطريقة مواسان كل الماسة بحجم كعب الدبوس الصغير وهو تقدم كبير الشأن يأخذ هرشي بوتقة ويملؤها ببرادة الحديد وبعض كربون السكر ويضعها في فرن كهربائي ترتفع حرارته حتى تبلغ ٣٠٠٠ درجة مئوية ( سنتغراد ) فينصهر الحديد ويصبح كتلة مائعة بيضاء لشدة حرارتها ثم يأخذ البوتقة وداخلها هذه الكتلة المصهورة ويغطسها في ماء بارد فيقتلص الحديد وفي تقاصه يولد ضغطاً يعدل عشرة اطنان على البوصة المربعة الواحدة

هذا الحديد الذي أحمي وبرد يضم في مكان ما او في غير مكان واحد من داخله بعض بلورات الكربون . فهل هي الماس ؟ وكيف السبيل الى ازالة الحديد من دون الاضرار بالاماس اذا كان هناك الماس داخلها

يأخذ العالم هرشي قليلاً من الحامض النتريك والحامض الايدروكلوريك ويمزجها فيتولد من مزيجهما ما يعرف باسم « ماء الملوك » وهو السائل الذي يذيب الذهب ويضع الكتلة الحديدية وتبقى البلورات الكربونية وهي الماس حقيقي بحسب شهادة الدكتور سستا في المجلة الفلسفية الاميركية

\*\*\*

ويرى الدكتور هرشي ان الصعاب التي تحول دون صنع الاماس ليست الا صعباً فية فالبدء والاسلوب قد امتحنا وثبتنا على الامتحان في خلال الاربعين السنة الاخيرة

\*

## اعادة الذاكرة بالتنويم

رصيف مغطى بالجمد . . . رجل تزل قدمه فيصطدم قذاله بالارض . . . فيفقد ذاكرته . . . فيبقى ثلاث سنوات كذلك . . . فيعالج بالتنويم فتعود ذاكرته الى سابق عهدها هذه هي الخطوات الرئيسية في قصة عجيبه رويت امام المجمع الاميركي لتقدم العلوم في اجتماعه الاخير

وقد استوقفت هذه القصة عناية العلماء لانها تصف اصابة جسمانية غير مألوفة من هذا القبيل امكن علاجها علاجاً عقلياً او نفسياً والغريب في فقد الذاكرة في هذه الحادثة ان الرجل ظل يتذكر ما حدث له قبل وقوعه ولكنه عجز عن تذكر اي شيء بعده



## بنوك الدم

لا تعجب ايها القارئ من هذا العنوان . فقد عودنا ارتقاء المباحث العلمية ان لا يدهشنا ما يجسب من الخوارق عادة او على الاقل من الامور غير المألوفة . ولا يخفى ان الانسان يحتاج في بعض العمليات او بعدها الى دم من رجل قوي البنية صحيح الجسم يصاحبه دمه للامتزاج بدم العليل من دون ان يقع الالتباد في كرياتة الحمر وقد اطلعنا الآن على خلاصة بحث للدكتور

فتر رئيس قسم الفسيولوجيا في جامعة الينوي والدكتور دايفس مدير المدرسة الطبية فيها ان المباحث الحديثة التي قاما وأعوانهما بها في هذه الجامعة اسفرت عن اساليب تمكنهما من اخذ الدم من اي انسان كان وحفظه سليماً نقياً صالحاً لان يُحقن به من يحتاج اليه ويصلح له عند ما يشاء الطبيب المعالج

فالمرأة الحامل في آخر شهور الحمل مثلاً تكون قد خزنت في دمها مقداراً كبيراً من عناصر الغذاء اللازمة لها . فتستطيع في هذه الفترة ان تطلب ان يؤخذ من دمها مقدار معين ويحفظ في « بنك الدم » حتى اذا جاء وقت الولادة وأحست بالضعف امكن طبيبها حينئذ ان يأخذ ذلك الدم المحفوظ ويحقنها به فيقويها وقد اسفرت تجارب الدكتور دايفس مدير المدرسة الطبية عن طريقة لاستخراج الدم من الذين قتلوا في حوادث صدام او عوارض فيحفظ دمهم ويستعمل عند الحاجة اليه فيحقن به من يصلح له

## «النوترينو» او المحاييد الصغير

الذرة في علم الطبيعة هي اصغر جزء تمثل فيه « شخصية » العنصر اي صفاته وخواصه . والذرة في علم الطبيعة الحديث مؤلفة من جزئين النواة والجو الكهربائي حولها اي الفضاء الذي توجد فيه الكهارب . والنواة كانت الى قبل سنوات مركبة في رأي العلماء من كهارب (الكترونات) وبروتونات . ثم اكتشفت طائفة من العلماء وعلى رأسها الاستاذ شدوك الانكليزي ان في النواة دقيقة اخرى اطلقوا عليها اسم (النوترون) وأثبتت شدوك وجودها بالبرهان التجريبي . وقد ترجمنا النوترون بلفظ «المحايد» لان هذا معناه ثم اخذ علماء الطبيعة النظرية يكتبون ويقولون بوجود وجود دقيقة اخرى دعوها «النوترينو» اي النوترون الصغير اي المحاييد الصغير ووجود هذه الدقيقة ضروري لتفسير بعض الظاهرات في نظائر العناصر . فاذا وجد لبعض العناصر نظائر مجهولة يقتضي وجود هذه الدقيقة النظرية وجودها فهذا برهان عملي غير مباشر على وجود «النوترينو» . وقد جاء بهذا البرهان الآن الاستاذ باينبرج احد علماء جامعة كمبرج \*

## زيت الزيتون وتزييت السيارات

صرح الاستاذ باستيه احد علماء المعهد الزراعي بالجزائر ان زيت الزيتون يصلح لتزييت السيارات في البلدان الاستوائية ولكن يجب ان تستخرج الحوامض منه بعد عصره من الزيتون لكي لا تأكل المعدن الذي تصنع منه الاجزاء المزينة



## استعمال طاقة الشمس

الطاقة التي تطلقها الشمس في الفضاء بل ما يقع على سطح الارض منها عظيم جداً لا تقاس به الطاقة التي تولدها المصانع والمعامل في جميع انحاء العالم . ومصادر الطاقة اللازمة للصناعة والفعل سواء في ذلك الفحم او البترول مشكلة تهم جميع الناس على السواء لانه اذا نفذ الفحم والبترول لا نعرف سبيلاً عملياً الى توليد الطاقة الا من مساقط المياه . وهذه وحدها لا تكفي علاوة على انها لا تصلح الا لمنشآت مثبتة على سطح الارض الا اذا امكن اختراع بطاريات خازنة قوية خفيفة لتستعمل في الطائرات في الجو والسفن في البحار

لذلك عني علماء كثيرون باستخراج الطاقة او توليدها من مد البحار وجزرها ومن الفرق بين حرارة مياه البحار عند السطح وفي الاعماق ومن حرارة الشمس الساقطة على سطح الارض حرة مباحة لمن يشاء او بالحري لمن يعرف كيف يخزنها ويستعملها

وقد قرأنا الآن ان الدكتور أبت سكرتير المعهد السمبسوني الاميركي اتقن جهازاً لالتقاط طاقة الشمس تباع كفاءته ١٥ في المائة اي ان هذا الجهاز يستطيع ان يخزن ١٥ في المائة من طاقة الشمس الواقعة عليه

وهو مؤلف من مرآيا مقعرة تقعرها خاصاً مصنوعة من خليط خاص من معدن الالومنيوم فتبقى لامعة ولا تتكدر

هذه المرآيا تجمع الاشعة الواقعة عليها على

سائل اسود غير شفاف فيمتص الحرارة فترتفع حرارته الى ٣٥٠ فارنهایت ( اي نحو ١٧٦ درجة مئوية ) ومن حرارته تستمد الطاقة لتحريك مولد للكهربائية

ولست هذه الطريقة بالجديدة في تاريخ البحث عن اسلوب لحزن حرارة الشمس واستعمالها فقد سبقت بحارب كثيرة في كاليفورنيا واريزونا ومصر وروسيا ولكن الجهاز الذي صنعه الدكتور ابت اكثرها اتقاناً واشدها فعلاً ولا يخفى ان جهازاً يعتمد في توليد الطاقة على شروق الشمس وغروبها وظهورها او احتجابها وراء الغيوم لا يستطيع ان يولدها توليداً مستمراً ولكن الدكتور أبت اثبت انه يمكن استعمال هذا الجهاز في ساعات شروق الشمس وظهورها فتخزن الطاقة المولدة في بطاريات خازنة كبيرة او تستعمل في رفع الماء الى خزانات كبيرة ثم يستعمل سقوطها من الخزانات لتوليد الطاقة الكهربائية

\*

## عملية الطلق في الولادة

ثبت من بحث الهرموني المتصلين بالحياة الجنسية في النساء ان احدها يفعل فعل الكباس في البندقية عندما تحين الولادة فيؤثر في الجهاز العصبي وهذا يؤثر بدوره في العضلات فتبدأ عملية الطلق وهي العملية التي تنتاب المرأة في خلالها الا لام المرأة وباتقباض العضلات وارتخائها يقذف الجنين الى الخارج في الولادات السوية



## هرمونات النبات

قد يحىء يوم في المستقبل القريب تستطيع فيه ان تذهب الى الصيدلي فتشتري منه عقاراً تذيه في الماء الذي تروي به نباتك او تمزجه بالتربة حول جذوعه وجذوره فينمو النبات نمواً عجيباً لا عهد لك به من قبل

هذه هي النتيجة التي اعلنها باحثان اميركيان بعدما قاما بمباحث عظيمة الشأن في ما سمي «هرمونات النبات» ففازا بجائزة الف ريال من المجمع الاميركي لتقدم العلوم في اجتماعه الاخير في ديسمبر الماضي

والهرمون كلمة تطلق على المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد الصم في جسم الحيوان. ففي جسم الانسان مثلاً طائفة من الغدد التي لا تقوات لها ولذلك دعيّت بالغدد الصم. ولكن لها مفرزات تفرزها رأساً الى الدم الذي يجري في الانابيب الشعرية داخلها وهذه الهرمونات فعالة شديدة الفعل حتى اذا افرز منها مقادير يسيرة جداً. ومن اشهرها مفرزات الغدد الدرقية والكلوية والنخمية والبنكرياس (الحلوة) وغيرها

وقد وجد هذان الباحثان الاميركيان الدكتور هتشكوك والدكتور زمرمان ان هناك مواد تؤثر في نمو النبات تأثيراً عظيماً ولو استعملت منها مقادير صغيرة جداً. ولكن هذه المواد لا توضع جميعها في غدد في جسم النبات بل في معمل الكيماوي فاذا اضيفت الى الماء الذي يروي به النبات او الى التربة التي يستمد منها

بعض الغذاء او مزجت بدهن او زيت واستعملت كما يستعمل المرهم اثرت فيه تأثيراً عظيماً فأطلق اسم «هرمونات» عليها ليس الا على سبيل الاستعارة من ميدان الفسيولوجية الحيوانية او على سبيل تسمية الكل باسم البعض وقد وجد من هذه المواد خمس عشرة مادة تفعل هذا الفعل فخرّب بها هتشكوك وزمرمان التجارب في معاهد نباتية مختلفة بأميركا ومن هذه المواد ما يجعل الجذور تنمو على الجذوع او حتى على الاوراق أحياناً واجزاء الازهار وقد تستغرب ايها القارئ اذا قلنا لك — نقلاً عن رسالة العلم الاسبوعية — ان المادة الاولى التي استعملت في هذا السبيل هي غاز اكسيد الكربون الاول فشا عن استعماله نمو جذور في أماكن من جسم انبات لا عهد لها بالجذور مطلقاً. ثم مضى الباحثان في تجاربهما فكشفا مواد أخرى منها ما يصنع بالتركيب الصناعي كالحامض الخليك المستخرج من النفتالين ومنها ما يستخرج من الجذور او الازهار والثمار التي قاربت النضج اي ان هناك مواد تفعل هذا الفعل طبيعية وصناعية او عضوية وغير عضوية

\*

## نمل عجيب

عثر الدكتور فير احد اساتذة جامعة هارفرد الاميركية على عمارة من النمل العجيب في جزيرة ترينيداد. ووجه العجب في هذه العمارة انها مؤلفة من ٣٣٠ نملة كل منها نصفها ذكر والنصف الآخر انثى



# مكتبة المقتطف

تأليف المستشرقين

بقلم الدكتور بشر فارس

يوسف شخت — في الفقه الاسلامي — ١٤٥ ص — ٢٢ × ١٥

Joseph Schacht — G. Bergstraesser's Grundzuege des islamischen Rechts —  
Verlag von Walter de Gruyter & Co. Berlin 1935

من مخلفات المستشرق الكبير ج. ر. ج. شخت سر مجموعة محاضرات في الفقه الاسلامي وقد رتبها تلميذه الاستاذ شخت مدرس اللغات السامية في الجامعة المصرية ودونها تدويناً صالحاً. وهذه المحاضرات تعرض بسائط الفقه الاسلامي في وضوح واختصار. ولها مقدمة طريفة نفيسة تبحث في جلالة شأن هذا الفقه وتدل على تأثيره الشديد في نواحي الحياة العقلية في البلدان الاسلامية على نحو تأثير القانون الروماني في ذهنية الرومان. وفي المقدمة تميز بين الفقه الاسلامي وقانون الكنيسة ثم يبينه وبين الشريعة الموسوية. وخلاصة هذا التمييز ان الاسلام يختلف عن المسيحية بأنه لم يكن قط « كنيسة » بالمعنى المتواضع عليه اي هيئة دينية خلفها قوة منظمة، ثم انه يختلف عن اليهودية بأنه ليس قانوناً خاصاً بجماعة من الناس خارجاً على قانون الدولة المألوفة. ويتلو هذه المقدمة بحث في تاريخ التشريع الاسلامي وعرض مسألة المذاهب عرضاً مقبولاً. وفي الخاتمة مناقشة تدور حول قيمة الفقه الاسلامي وخاصيته. ثم للكتاب جدول للاصطلاحات الفقهية باللغة العربية منقولة الى حروف لاتينية ثم جدول للاصطلاحات الفنية باللغة الالمانية هذا وقد اثبت مقدم الكتاب وناشره طائفة من المصادر اللاحقة بالفقه الاسلامي (ص ٧٦ و٧٧)، ولكنه حين اشار الى قانون عرب البادية لم يذكر الا القليل من المراجع فما فات « خمسة اعوام في شرقي الاردن » لبولس سلمان (حريصا ١٩٢٩) و « تاريخ سينا القديم والحديث » لنعوم شقير (مصر ١٩١٦) و « Coutumes des Fuqara » Jaussen et Savignac باريس ١٩٢٠ و « Etude Sociologique sur la famille musulmane contemporaine en Syrie » لكازم الدغستاني (باريس ١٩٣٢)

الفن الاسلامي في مصر

للدكتور زكي محمد حسن — ١٣٣ ص و ٣٧ لوحة — ٤٣ × ٢٧

ان الدكتور زكي محمد حسن من نخبة الفتيان المصريين الذين شخضوا الى اوربة يطلبون العلم الرفيع فعادوا منها ناجحين ثم شغلوا في مصر مناصب عالية كانت العلماء من الفرنجة قابضة



عليها . وقد صرف الدكتور زكي حسن عنيته الى تاريخ الاسلام ولاسيما فيه . فكان موضوع رسالته ، في جامعة باريس (١٩٣٣) « الطولونيون ، بحث في مصر الاسلامية في خاتمة القرن التاسع » ٣٣١ ص و ١٦ لوحة ، ٢٦ × ٢١ Les Tulunides - Etude de l'Egypte musulmane à la fin du IXe Siècle (Editions Geuthner Paris) وقد بسط في هذه الرسالة الوقائع التاريخية لهذا العهد ثم فحس عن احوال الدولة من ادارة ونظام وعن نواحي الحياة المختلفة من دين وادب وخلق وتجارة وصناعة وفن . وقد وقعت الرسالة موقعاً لطيفاً في اندية الاستشراق في اوربة ( راجع مثلاً O. L. Z. Aug, Sept. 1935 )

ومما ينشرح له الصدران الدكتور زكي محمد حسن اصبح الامين العلمي لدار الآثار العربية غدنا وأنشأ يدرس التاريخ الاسلامي في الجامعة المصرية . واليوم اخرج هذا العالم الشاب كتاباً جميل الطبع حسن الشكل في الفن الاسلامي في مصر بل في الفن الاسلامي الاول فيها . واذا كان هذا الفن قد ضاعت معالمه او كادت فانما تناول البحث الفن الطولوني خاصة

والكتاب مقسم تقسيماً لطيفاً ففيه مقدمة تاريخية ثم عرض الفن الاسلامي في سامراً ثم بسط مناحي الفن الطولوني من عمارة دينية وحربية ومدنية وزخرفة المباني ومنسوجات وحفر على الخشب وخزف وتصوير . وبلي البحث جدولان احدهما للمراجع والاخر لاسماء الاعلام الجارية في الكتاب . واما زينة الكتاب فعدد وفير من اللوحات مأخوذة بالفوتوغرافية تبرز لعين خصائص فن سامراً والعهد الطولوني

والذي يستخلص من هذا الكتاب النفيس أن « الفن الطولوني يكاد يكون قد اخذ كل اصوله عن الفن العراقي الذي نشأ في سامراً عاصمة الخلافة العباسية » ( ص ٢١ ) وازدهر فيها وكان هذا الفن الاخير يرجع كثيراً او قليلاً الى الفن الفارسي والتركي ( ص ١١٩ ) . غير ان الفن الاسلامي في مصر ما ابطأ على ايدي الطولونيين أن ينحوا نحواً آخر استقل به عن مأخذه الاول ( ص ١١٩ ) ومن محاسن الكتاب ان المؤلف يسرد جميع آراء العلماء عند عرض مسألة دقيقة ، ويساعده على ذلك معرفته الانجليزية والفرنسية والالمانية . غير ان القارئ ربما بدا له ان المؤلف يفرط في التوازي خلف اولئك العلماء أو التشبث بأهداب هذا او ذلك . انظر مثلاً ركونه الى « مؤرخي الفن الاسلامي » لتفنيد رأي واحد من العلماء ، من دون تحليل ( ص ١١٠ ) . ومن المراجع التي لم يستند اليها كتاب عنوانه Musulman Painting by E. Blochet, London 1929 ( راجع مقتطف مارس ١٩٣٥ ) هذا وهل لنا ان نسأل المؤلف - لم لم يرتب المصادر العربية على حروف المعجم كما صنع عند اثبات المصادر الاfrنجية ؟

بقي ان اسلوب المؤلف يعوزه ما نقول له التشويق . والحق ان للكتب العلمية ان تكون



بعيدة عن مطارح العبارة الرشيقة الطريفة إلا أن هنالك تراكيب لا يخف حملها على الاذن العربية منها « وقد لعب دوراً كبيراً في الحوادث » (ص ١١) و « مكائد » (ص ١٣) و « ... من الصعوبة بمكان يذكر » (ص ٣٥) و « تأثير ... على الفن الطولوني » (ص ٦٨). ثم ان المؤلف يكثر من استعمال التعبير الواحد ومن ذلك استعماله « ومهما يكن من شيء » استعمالاً يصدم السمع لتوازه

\*\*\*

اويجين متهوخ — في نص عربي قديم — ٤ ص — ٢٥ × ١٧

E. Mittwoch—Eine arabische Baunschrift aus dem Jahre 136 H.  
in "Orientalia" 1935, S. 235—238

ان الاستاذ اويجين متهوخ من المتبحرين في اللغات السامية وقد تخرج عليه في جامعة برلين طائفة من طلاب العربية والسريانية والحبشية فيهم نفر من المصريين اذ كر منهم الصديق العالم الشاب السيد مراد كامل . وقد اتفق لي ان سمعت على الاستاذ متهوخ مرتين ايام كنت اقيم ببرلين فوفقت طريقته في التعليم من نفسي ألطف موقع

وللاستاذ متهوخ تاليف ضخمة نشرها في السنين الماضية ، ثم له هذا البحث الصغير ومداره ضبط نص عربي قديم يرجع الى سنة ١٣٦ للهجرة . وقد عثر السيد محمد صلاح الدين النجار (من القاهرة) على هذا النص في صنعاء منقوشاً في حجر . وفضل الاستاذ متهوخ انه حلّ مشكلات هذا النص ورد عباراته الى ما يشاكلها في القرآن وتاريخ الطبري وغيرها

\*\*\*

ميشال فغالي — قصص وأساطير وعادات شعبية لبنانية —

١٩٦ ص بالفرنسية و ٨٥ ص بالعربية — ٢٥ × ١٨

Michel Feghali—Contes, Légendes, Coutumes populaires du Liban  
et de Syrie — Editions Adrien — Maisonneuve, Paris 1935

ان المنسنيور ميشال فغالي ممن يصرف همه الى البحث في لغة العامة بحثاً علمياً دقيقاً . ومن آثاره الماضية « لهجة كفر عبيدة » (١٩١٩) و « نحو اللهجات العربية في لبنان » (١٩٢٨) و « نصوص لبنانية بالعربية الشرقية » (١٩٣٣) . والغرض البعيد من هذه المؤلفات تدريب طلاب العربية في فرنسة على فهم اللغة العامة اللبنانية

والحق ان المشتغلين بلهجاتنا العامة عدلوا الى لهجات المغرب ومصر والعراق وغيرها مهملين لبنان الا شيئاً . فانبرى المنسنيور ميشال فغالي له وهو من ابناءه والكتاب يعرض نواحي الكتابة



البنانية باللغة العامية ففيه آثار الحياة الدينية والاجتماعية والعقلية والزراعية والتجارية وطائفة من الحكايات والاقاصيص . وكل هذه النصوص ادرجها المؤلف بالعربية ثم نقلها الى حروف لا تينية وزجها الى الفرنسية وعلق عليها ارادة شرح الغوامض والدقائق الخاصة بلبنان هذا واني وان كنت ممن لا يميل الى قراءة اللغة العامية لا اعترف بأن نصوص هذا المصنف تشف عن عادات اهل لبنان وتدل على ذهنيهم وأنها تثبت نشوء الادب العامي ولا سيما الروايات والاغاني

\*\*\*

### هنري يريس — كتاب الامامة والسياسة

ودخول الشعراء على عمر بن عبد العزيز عن ابن قتيبة — ١٧ ص — ٢٥ × ١٦

H. Pérès—Le Kitab al-Imāma wa's-Siyāsa... Extrait de la Revue Tunisienne  
3e et 4e Trimestre 1934, p. 318—335.

مما لا يخفى على المشتغلين بالمشترقيات ان « كتاب الامامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة ليس له . وقد اقام الادلة على هذا مستشرقان توفاهما اللهها دوزي Dozy ودخوي De Goeje وانك تجد ادلة دوزي مبذولة لقراء العربية على يد الاستاذ احمد زكي العدوي في كلامه على مؤلفات ابن قتيبة في الجزء الرابع من كتاب عيون الاخبار المطبوع في مصر سنة ١٩٢٥ الى ١٩٣٠ . وأما أدلة دخوي فتصيحها في مجلة ايطالية Rivista degli Studi orientali ، السنة الاولى، المجلد الاول، الجزء الثالث . كل هذا يعرفه صاحب هذه الرسالة وانما أراد أن يزيد في تلك الأدلة فسلك في سبيل هذا سبيلاً قوياً ذلك انه عارض قصة دخول الشعراء على عمر بن عبد العزيز من كتاب الامامة والسياسة بالقصة نفسها من كتاب الشعر والشعراء للمؤلف نفسه فنقل الروايتين الى اللغة الفرنسية نقلاً حسناً واستخلص من ذلك ( ص ٣٢٩ ) :

(١) ان اسلوب كتاب الامامة والسياسة انما هو اسلوب الاساطير في حين اسلوب الشعر والشعراء اسلوب الاخبار ( وهنا لا نسلم التسليم كله بأن صاحب « كتاب الامامة والسياسة » عمد في تلك القصة الى اسلوب الاساطير ) (٢) ان الرواة مختلفين — (٣) ان حجاب الخليفة مختلفون — (٤) ان الشعراء المأذون لهم في الدخول على الخليفة مختلفون

ثم ختم المؤلف رسالته اللطيفة ( ص ٣٣٥ ) بقوله ان صاحب كتاب الامامة والسياسة اول من ساق خبر دخول جرير وغيره من الشعراء على الخليفة عمر بن عبد العزيز على النحو الذي ساقه وان تاريخ ذلك الكتاب يصعد الى مختتم القرن الثالث او مستهل القرن الرابع



مُحرر

## تأليف توفيق الحكيم

ان الموضوع الذي اختاره المؤلف موضوع طريف حقاً والطرافة فيه آتية من ناحيتين : الأولى ان حياة محمد لم تكتب في قصة تمثيلية قبل الآن ، فالاقدام على ذلك شيء جديد . والثانية ان حياة نبي العرب احيط بها من جميع نواحيها ودونت كل دقائقها واكثر وقائعها وقيدت جميع الاحاديث التي تتعلق بها على وجه التقريب ، فلم يترك المتقدمون من كتاب السير مادة واحدة يمكن ان يشعر المؤرخ حيالها بأنه في حاجة الى تفكير او مقارنة لاستخلاص حقيقة جديدة تخفى على الناس فيها . واذن يكون امام رجل الفن الذي يريد ان يضع قصة يتناول فيها حياة النبي احد أمرين : فإما ان يقص الحوادث مستخلصة من كتب السير كما وصلنا فيرتها في قالب قصصي كما فعل الاستاذ الحكيم ، وإما ان يبحث عن ناحية من نواحي البطولة جديدة في حياته بحيث تكون قد طويت في تضاعيف الحوادث والاحاديث التي وصلنا عنه فيجولها في ثوب جديد وصورة جديدة . اما الاستاذ الحكيم فلم ينتج المذهب الثاني وإنما انتحى المذهب الاول ، فقص الحوادث كما وقعت ونقل الاقوال كما قيلت بلسان اهل العربية الفصيح ، ولم يزد من عنده على الاحاديث من شيء الا وظهر كالرقعة الدخيلة في الثوب القديم ، فأ نقص ذلك بعض الشيء من قوة السبك الاسلوب في بعض مواضع القصة . وكل ما هو جديد في ما كتب الاستاذ الحكيم ، إنما هو الصور التي صور بها الاشخاص في بعض الحوادث فجعل هذا يقطب جبينه وذلك يجلس القرفصاء وغيرها يشير بيده . على ان هذا أيضاً يمكن استخلاص الكثير منه من كتب السير التي احاطت بوقائع ذلك العصر احاطة شاملة

على هذا تجد أن ما في هذه القصة من فن إنما هو فن الحوادث كما وقعت ، وكل ما فيها من بلاغة إنما هي بلاغة الاقوال كما قيلت ، وعندي أنه ليس في هذه القصة من جديد الا فكرة ان يسوق الكاتب بعض حوادث كتب السير مساق قصة تمثيلية وهي فكرة جميلة كذلك يلاحظ الناقد أن الاستاذ المؤلف لم يسق الحوادث التاريخية مرتبة كما وقعت تماماً . وهذا امر ان جاز في وضع قصة خيالية عن اشخاص غير تاريخيين ، فإنه لا يجوز اطلاقاً ولا هو مما يسمح به الفن في رجال عرفهم التاريخ ادق معرفة واحاط بأشخاصهم كل احاطة ودونت حوادث حياتهم أدق تدوين

على اننا اذا تجاوزنا وقلنا بان المؤلف ان يقدم في رواية بعض الحوادث وان يؤخر في رواية البعض ، فاننا لم نعرف ما هي الحاجة الفنية التي حملته على ذلك ، ولم نتبين وجه الحكمة التي ساقته



اليه . فان هذا لم يظهر بعض الحوادث مسبوكه في قالب اشد روعة مما حدثت بترتيبها التاريخي ولم يزد من سبكها الاصيل شيئاً . بل ان الناقد ليشعر بان الحكمة كانت في جانب سوق الحوادث مرتبة كما وقعت تماماً ، ما دام الكاتب لم يفتن فناً جديداً ، وإنما اكتفى بان يتخذ من فن الحوادث التاريخية مادة قصصية

يظهر على ان الكاتب استعان بفن الحوادث ، انك تشعر في بعض المواضع بانقطاع في سلسله الحوادث ، نظير ما يحدث في الحياة العادية تماماً . فقد تنتقل من المواقع الحامية وصليل السيوف وتطاحن الابطال فجأة الى حديث عائشة وصفوان اي الى حديث الإفك ، فاذا انتهى منه خرج الى حديث آخر لا علاقة له بسابقه ولا بسابق سابقه ولا بلاحقه . وامثال ذلك في سياق القصة كثير

\*

وعندي انه كان من المستطاع ان يقع المؤلف على مادة تمكنه من ان يجلو بطولة النبي العربي في صورة جديدة ، لو انه رجع الى كتب الاحاديث واطلع على تفسيرها وأحاط بدقائق العلاقات التي تصل حوادث السيرة بالاحاديث . غير ان هذه المهمة على ما ارى شاقة تحتاج الى كثير من الوقت والتعب . ولكنها خطة من الواجب ان ينتجها كل كاتب يقدر ما للنبي العربي العظيم من قدسية واحترام . غير اننا نقول مع الاسف الشديد ان زعة الآداب الحديثة تفضل آثاراً فنية خلصت قدر المستطاع من موازنات الحكيم وثقافة الفنان

كذلك اجد ان في الرواية نقصاً من ناحية الفن المسرحي بجانب ما فيها من نقص في الفن القصصي . فكيف يمكن اخراج فصل واحد مؤلف من ستة وثلاثين منظرًا متعاقبة على مسرح واحد ؟ أما علم ذلك عند المشتغلين بالتخريج ولعلمهم يستطيعون ان يذللوا امثال هذه العقبات بادماج بعض المناظر في بعض . على اني ارى ان ذلك متعذر في مثل هذه القصة

اسماعيل مظهر

### مجلة الشباب الاسبوعية

ليس الاستاذ محمود عزمي في حاجة الى التعريف ، وهو صحافي يُعَد من طليعة الصحافيين الشرقيين براعة وعلماً ونشاطاً . ولكن انتقاله من ميدان الصحافة اليومية الى ميدان الصحافة الاسبوعية كسب عظيم ، لهذا الضرب من الصحف في الشرق . فقد كنا في حاجة الى مجلة اسبوعية ، تنقل الينا طرفاً من السياسة والتاريخ والادب والفن والعلم في كل اسبوع ، وهذا على ما يظهر لنا غرض « الشباب » . فالمقالات السياسية والاقتصادية فيها ، لا تنافس الصحف اليومية



في سرد الاخبار ، ولكنها تدبر حوادث الاسبوع وتعلق عليها ، تعليقا قد لا يتسع مجاله للصحف اليومية . وهذا في الواقع هو عمل الصحيفة الاسبوعية التي من هذا الطراز . فقد تقرأ صحف لندن اليومية ، ولكنك مع ذلك ، اذا كنت من المثقفين محتاح الى مطالعة السبكتاتور والنيوسيتسمان الاسبوعيتين . فمطالعة المقطم او الاهرام او البلاغ او الجهاد لا تغني عن مطالعة الشباب والمقالات العلمية والفنية تمتاز من ناحية بصلتها بجاذب يقع في مصر او في بلد آخر من بلدان العالم او باكتشاف يكشف فطرته وتبين مقامه ، وبالتبسيط الذي ترغب فيه العامة ورضاء الخاصة . فمجلة الشباب من اي النواحي اتيتها ، اداة فعالة من ادوات الثقافة العامة العالية ، التي تحتاج اليها هذه البلاد ، في تنشئة شبانها وشاباتها . فعسى ان نجد من تأييدهم واقبالهم ما يضمن لها تحقيق هذا الغرض

### الموسيقى

مجلة الموسيقى لسان حال المعهد الملكي للموسيقى العربية يرأس تحريرها الدكتور «محمد احمد الحفني» وهي مبهوبة تمويلاً فنياً . حاوية موضوعات نفيسة في الصور الموسيقية المنوعة . واتصالها بالادب والفن . ولقد عرضت للغناء واثره في تاريخ الادب . والادب الموسيقي . ومبادئ الموسيقى النظرية . والتربية الموسيقية . والموشحات . وبشترك في تحرير موادها المختلفة طائفة من اعلام المثقفين والمفكرين امثال الاساتذة الاجلاء محمد زكي علي وحسن نبيه المصري وصفر علي وعلي الجارم وابراهيم رمزي والمجلة تحوي ايضاً دروساً عملية في النوتة الموسيقية بأقلام مفتش الموسيقى بوزارة المعارف وهذه الدروس وان كانت بدائية الا انها تهيء للمبتدئين طرق التقدم في هذا الفن لسهولة وروعتها والدراسات الموسيقية من بواعث تقدم الفن في النهضة الادبية الحديثة . ولن ترقى الموسيقى بتأناً في عصور الركود الذهني . فالموسيقى لغة الحرية ولسان الفن واساس الجمال في الموسيقى مبلغ الاثر الذي تتركه في الاحساس النفسي لأن الفنون لا تتصل الا بالروح . وفن الموسيقى يقوم على قوة التركيب في موضوع الالحن والايقاع وقوة المعنى . وينتهي الاثر الموسيقي الى ان يثير في النفس عوامل التفكير والشعور والانسجام

\*\*\*

فالمجلة لها مكانتها الموضوعية والفنية وحاجة الهواة والطالبة اليها لا تسكر . فنرجو لها التقدم المطرد بقيادة الاستاذ «الحفني» الذي تثقف ارفع ثقافة موسيقية في برلين



## مكتبة القراءة والثقافة للحبيب

تصنيف الدكتور فريد رفاعي

من الكتب ما لا تكاد تلمحه حتى تخاله يقول لك « ها أنذا » ومنها ما لا يمكن ان تلتفت اليه الا اذا قيل لك « ها هوذا » . . . والكتب في هذا تشبه الناس ومن الناس ملايين يحيئون ويذهبون ولا يؤبه لهم جاءوا او راحوا . . . ولكن ناساً قليلين جداً هم الذين يفرضون شخصياتهم على الحياة فرضاً . اولئك هم السادة من الزعماء والقادة المفكرين . ومتى ظهر كتاب او رجل من هذا الصنف فخرى بعلماء الاجتماع أن يستعدوا لاستقبال بعض الظواهر المبثوثة في اثناء تلك المظاهر فليس ظهور هذا الكتاب او ذاك الرجل إلا بشير تطور اجتماعي وفكري ومنذ اعوام ظهر الرجل ثم ظهر الكتاب . أما الرجل فكان الدكتور احمد فريد رفاعي . وأما الكتاب فكان عصر المأمون . .

فتسابق الناس والصحف وتنافسوا في الترحيب به وعده بعضهم وقتئذ كتاب العام ومع ذلك فقد ظهر انهم كانوا مقصرين لانه ليس كتاب عام وانما كان كتاب الحيل ولكن الدكتور فريد لا تشبع نهمة ولا يكفيه ان يتقدم الى موضعه من الخلود بشهادة عصر واحد ولو كان هو عصر المأمون اعظم عصور العربية حضارة وثقافة وتفكيراً وكأنه يقول للمعجبين به اذا أدهشكم حشد عصر واحد في كتاب فسوف اريكم كيف احشد العصور كلها في كتاب اصغر حجماً وأخف حملاً وهكذا شرع مؤلف عصر المأمون في حشد عصور الادب العربي جميعاً ولكن في أي صورة؟ في صورة مكتبة صغيرة توضع في الحبيب

اي والله لقد عمد الدكتور احمد فريد رفاعي الى الأدب العربي كله في جميع عصوره ونحله وغربله ثم غربله ونحله ثم بعثه للناس خالصاً سائغاً في صور تستهوي الاعين وتصبى الافئدة وقد دعاها مكتبة القراءة والثقافة للحبيب

ولكن لماذا ألف الدكتور هذه المكتبة ؟ قال في المقدمة :

ان اللغة العربية على ما فيها من نقائس وثرورات وروائع وامهات وفنون وعيون وغرر ودرر وطرف ومناج وكنوز وافادات ومواعظ وثقافات ما زالت العناية بالقراءة فيها بعد في ابائها وشدها تحتاج تواليها بعثاً وتجديداً ونباءً وتسنيداً وتشذيباً وتهذيباً فلم تقارق بعد امها ولم توجه كغيرها من اللغات توجيهاً يتفق والزمن والبيئة . فآثار شيوخ الأدب وأئمة الثقافة من السلف الصالح منسية في كنها وينما يعنى الغريون بتعدد ابواب القراءات واصدار متبائن الطبعات واسعاف القارئ بمختلف الثقافات فاننا لم نقدر بعد اوقات الحياة التي تقطعنا بشئ واجباتها ومتابع أعبائها



ولم نلبس مع كل زمان بردته . . . وكم تساءل المفكرون عن حكمة الاحجام دون امتاع الشباب بما دلت تجارب الغرب على اصابته للمحجة : من احيائهم تراث كتبهم النابيين وادبائهم النابيين وشعرائهم الساحرين في طبقات بحجم الحبيب يدرسها الطالب ليصيب منها علماً جديداً ويقوم بها لساناً جديداً وذهناً رشيداً ولماذا لا نعى بيت روح القراءة في الجميع ولماذا لا نحاول رفع مستوى القراءة وقد انحطت الى ما هو تافه رخيص من قصص الغرام وَاَحاييل الاجرام ومفاجآت البوليسيات والاسفاف بالبذاءات وسياسة قتل الوقت سدئ في غير نفع ولا افادة والوقت علم الله من ذهب...». هكذا كشف المؤلف الدكتور في المقدمة عن السبب في اقدمائه على تأليف هذا الكتاب وأظن أنه لا يوجد أديب عربي واحد يطلع على هذا البرنامج الا ويرفع صوته قائلاً أحسنت أحسنت يا دكتور

بالأمس كان كتاب عصر المأمون فتحاً جديداً لفن جديد هو فن التأليف في الادب واليوم هاهي مكتبة الحبيب فتح جديد لفن جديد ايضاً هو فن القراءة . وقد كنا نعجز عن تهنئة الرجل على نبوغه في فن واحد فكيف نقدر على تهنيئته وقد نبغ في فنين . الحق ان الدكتور فريد رفاعي قد اثبت في هذا المؤلف الحديث أنه احد جهابذة الاصلاح في عصره كما اثبت من قبل أنه أحد أئمة الادب المصريين

\*\*\*

### البدائع — للدكتور زكي مبارك

جزآن — ٤٢٢ ص — ١٦ × ٢٤ — ( المكتبة المحمودية التجارية ) ١٩٣٥

ان الدكتور زكي مبارك من يمتد نفس الفصحى على ايديهم في هذا الزمان فسواء نثر او نظم اتحفك بانشاء تصيبه في بطون الكتب التي كاد الناس ينصرفون عنها عفا الله عنهم. الا ان الدكتور مباركاً عرف كيف يحفف وقع قلمه فرد عبارته سهلة واضحة بعيدة عن مطارح الاغراب قريبة من نواحي الاسلوب الحديث . هذا وكان ملازمة الدكتور مبارك لطائفة من كتب الادب العربي ارهفت صفحتين من صفحات قلمه ارهافاً عجيباً : صفحة التزل ثم صفحة اللذع . وكان للثانية الغلبة واما الرجل فألعب صفاته صراحته ، وما أعرف شيئاً يرهق القلم واللسان مثل الصراحة وبعد فهذه الطبعة الثانية لكتاب البدائع وهو مجموعة مقالات فيها من كل شيء طرف : ادب وسياسة وتاريخ وتأثر . والظريف ان المؤلف اثبت قطعاً لهود مختلفة بحيث انك تقرأ زكي مبارك الازهري ثم السياسي ثم الطالب ثم الصحافي ثم الدكتور ثم الاستاذ . وهذه المقالات على بساطة موضوعاتها في الغالب ( فقد كانت تعد للصحف السيّارة مثل « الافكار » قديماً و« البلاغ » حديثاً ) لتلد القارئ من حيث انها تطوي على سيرة كاتب ذي شأن وتاريخ جيل من المصريين بشر فارس



## رحلتي الى الحجاز

بقلم محي الدين رضا — صفحاته ١٦٠ — ثمنه ٥ قروش

كتب الرحلات لذيدة بطبيعتها ومشوقة لان اصحابها يكتبونها عادة اثر حافز نفسي قوي يفهمهم الى كتابتها. وهذه الرحلة ضمت المباحث التي كتبها السيد محي الدين رضا على اثر حجته وقد رمى فيها الى اظهار فضائل الحج الصحية والدينية. فالحج ركن لا يتم إسلام المرء الا بادائه اذا كان قادراً. وقد حقق في ما كتبه ان ابا بكر رضي الله عنه حج في شهر مارس من عام ٦٣١ م اي السنة العاشرة الهجرية وان الرسول عليه السلام حج في مارس من عام ٦٣٢ م اي الحادية عشرة الهجرية ودعا المسلمين الى التماسي بالخليفة الاول والنبي الكريم بان يحجوا فلي دعوته كثيرون وكان من ذلك ما سمعته في خلال حجته قول بعض الحجاج له في منى انهم حجوا تلبية لدعوته وقد توسع في تحبيب الحج الى الناس واطهار فوائده الصحية من استنشاق هواء البحار وهواء الصحاري وكلاهما منعش وجالب للقوة والعافية، وقد ناله منها قسط وافر. وسطر على القرطاس ما اتيج له مشاهدته في الحجاز فوصف داخل الكعبة المشرفة وغار حراء ومسجد الرسول عليه السلام ومزارات المدينة ومنى وعرفات وطرق المواصل والقصر الملكي ومقابلات الملك واساليب المقابلات ووقع الاعتداء على جلالة الملك وحالة الملك نفسه على اثر الاعتداء ونفسية الحجاج. وتحدث مع رئيس كشافة العراق عن طريق الحج البري بين العراق والحجاز ومع السيد عبود شلاش صاحب شركة السيارات التي أعدت تلك الرحلة ونقل كل ذلك الى القراء. ودفع عن الوهابيين تهمة عدم حبهم للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بنقل اقوال عالم نجد الكبير الشيخ ابن بليهد وملك الوهابيين وامير المدينة كما نقل تلك الكلمة الجريئة التي قالها امير المدينة للمستر فلي يثمه بان اسلامه على دخل ويقول له ارجع الى دينك بعد ما قضيت مأربك من تصنعك بالاسلام وجواب المستر فلي ومحريه بعد ذلك تأدية الفروض الدينية ولا سيما الصلاة في اوقاتها. ووصف كذلك رجال الدولة السعودية وما اشتهر به كل منهم و اشار الى المقصرين اشارات كانت على خفتها افعال من وخز الابر ونوّه بعمل مصر الخيري في الحجاز ولا سيما تبرع الوزارة النسيمة لاهل المدينة والاثر الطيب الذي خلفته الدعوة التي قام بها الاستاذ محمد توفيق دياب للتبرع للحجاز وما جمعه بنك مصر لهذا الغرض الشريف وآراء اهل المدينة في ذلك واقوالهم الصريحة التي كان لها صدى استحسان في مصر

كل ذلك كتب فيه السيد محي الدين مفصلاً ومجماً فجاء كتابه من أمتع الرحلات الاسلامية وأنفعها وحلاه بصور للملك والامراء ورجال الدولة السعودية، جزاه الله عن الاسلام خير الجزاء



## فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والثمانين

صفحة	
٢٩٧	العلم بحاري الطبيعة
٣٠٥	الموسيقى العربية وعبد الحمولي : خليل مطران ( مصورة )
٣١٢	المقامة الككبجية : لأمين الريحاني
٣١٥	الحركات الاستقلالية في مصر القديمة : للدكتور حسن كمال ( مصورة )
٣٢٣	بين الحقيقة والخيال ( قصيدة ) : لراحي الراعي
٣٢٦	تركة التاريخ في نفوس الشعوب الضعيفة : لعبد الرحمن شكري
٣٣٠	كوندياك وديدرو وأثرهما في فن الترية : لحسن كامل
٣٣٧	سياحة الى باطن النجوم : لفخري معلوف
٣٤٢	خيرى الشاعر والفنان : لحليم متري ( مصورة )
٣٥٢	موقعة ناغارين البحرية : للدكتور علي مظهر
٣٥٦	بهاء الدين الآملي : لقدرى حافظ طوقان
٣٦١	اليزيدية عقائدهم وتقاليدهم : لقيصر صادر
٣٦٨	مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
٣٧٢	ابدع طرق الشام وأروعها : لوصفي ذكريا
٣٧٩	النور والاضاءة : للدكتور الياس صليبي
٣٨٥	سير الزمان * اركان السلام هل يمكن ان تتوطد : ابراهيم باشا : البرنس ساينونجي
٤٠١	حديقة المقتطف * سعدي الشاعر الفارسي : لهية فرج
٤٠٧	باب المراسلة والمناظرة * ترجمة فرامين مصر : لسماحة حليم نجوم افندي
٤١١	باب الاخبار العلمية * الافكار تقتل - مبارزة عدتها قوى النفس والمشيمة : الطب وجهاز كهربائي جديد : امواج العقل الكهربائية : التخدير بسم الكوبرا : الالاماس الصناعي : اعادة الذاكرة بالتنويم : بنوك الدم : «النترينو» او الحايذ الصغير : زيت الزيتون وتزييت السيارات : استعمال طاقة الشمس : عملية الطلق في الولادة : هرمونات النبات : فم اعجيب مكتبة المقتطف * تأليف المستشرقين : للدكتور بشر فارس - محمد : لاسماعيل مظهر - الشباب - الموسيقى - مكتبة الجيب - البدائع - رحلتي الى الحجاز